معركة العلمين



بقلم: مايكل كارفر
ترجمة: محمد إبراهيم عبدالعزيز
مراجعة: حسين الحوت

من الشرق والغرب



معركة العلمين

بقلم : مايكل كارفر

ترجمة : محمد إبراهيم عبد العزيز

مراجعة : حسين الحوت

تقديم

بعد ثلاث سنوات طويلة مظلمة تلاحقت فيها خسائر الحلفاء بسبب ضربات هتلر القاصمة على بريطانيا وفرنسا ثم روسيا بعد ذلك ـ تمكنت بريطانيا أن تحرز أول نصر لها فى الحرب العالمية الثانية عند العلمين. فقد ركعت فرنسا جاثية أمام جحافل هتلر الظافرة وفى بحر ستة عشر يوما كان قد انتهى أمرها وأعلنت ايطاليا الحرب الى جانب ألمانيا على الحلفاء . وهنا يصف الكتاب مسرح المعركة وصفا دقيقا شاملا ثم قيام قوات الجنرال ويفل البريطانى بالاستيلاء على برقة والاستعداد للاستيلاء على طرابلس لولا هجوم الالمان على كريت واليونان وارغامه على ارسال بعض من قواته الى مسرح القتال هناك ثم ما تلا ذلك من خوف هتلر أن تفلح القوات البريطانية فى الاستيلاء على طرابلس مما يسهل لها الاتصال بقوات الفرنسيين فى تونس والجزائر ومراكش وبهذا يقع شمالى افريقية كله فى قبضة الحلفاء وهو خوف دعا هتلر أن يبعث قائدا ألمانيا عبقريا ملهما الى شمال افريقية هو «اروين رومل»

وتدور حوادث الكتاب بعد ذلك فى ترتيب شـــائق مشوق يصف الكاتب كيف وصل روميل الى مشارف الدلتـا وعزمه على طرد بريطانيا من وادى النيل لولا تقصير القيـادة الايطالية فى امداده بما يطلبه من تموين وعتـــاد ثم زيارة تشرشل للاراضى المصرية مرتين وكيف أنه كان يعـارض فى اسناد قيادة الجيش الثامن الى مونتجمرى ولم يقبل اسناد القيادة اليه الا بعد مقتل الجنرال جوت الذى رشحه لهـــذا المنصب والحاح السير آلان بروك رئيس أركان حرب القوات الامبراطورية والجنرال ســمطس رئيس حكومة جنـــوبى أفريقية .

ولقد خلق مونتجمرى فى الجيش الثامن بعثا جـديدا فتمكن هذا الجيش من صد الهجوم الالمانى الايطالى فى معركة العلمين الاولى أو ما اصطلح على تسميته بمعركة علم الحلفاء فى المدة من ٣١ من أغسطس الى ٧ من سبتمبر سنة ١٩٤٢ .

ولقد ألح تشرشل فى عناد على أن يقوم هـــذا الجيش بالهجوم فى موعد غايته اكتمال القمر ويوافق ذلك الثـانى والعشرين من سبتمبر الا أن مونتجمرى تصدى له وأمكنه فى حزم أن يؤخر هذا الموعد شهرا كاملا والواقع أن تشرشل كان قد رسم فى ذهنه أن يقوم الجيش الثامن بالهجوم فى هـــذا الموعد حتى يحرز نصرا مناسبا يشجع اتمام عمليـــة «تورش» . وهى العملية التى بموجبها تنزل القوات الامريكية والبريطانية فى الطرف الآخر من البحر الابيض المتوســط بقيادة الجنرال أيزنهاور الا أن تأجيل هـــذه العملية جعـل تشرشل يوافق على مضض تأخير بدء الهجوم الى ٢٢ من اكتوبر سنة ١٩٤٢ وهو ما عرف فى التاريخ بمعركة العلمين .

ولا شك أن الكاتب قد عاصر هذه الاحداث الهامة التى كانت نقطة تحول فى الحرب العالمية الثانية فهو يصف المواقع والمراكز والتحركات وصفا دقيقا لا يشوبه نعرة وطنية جارفة واذا كان يبدو خلال السطور نزعة تحيز طفيفة لبنى جنسه من البريطانيين الا أن وصفه للمعارك على وجه العموم وتقديره الدقيق لقوة الالمان كل ذلك يتسم بالانصاف وعدم المغالاة .

ولم يتعرض الكاتب للنواحى السياسية والاقتصـــادية

والاجتماعية والعسكرية فى بلادنا والواقع أن اســـم بلادنا العزيزة لم يجر على لسانه الا بقـــدر ما كان يصف المواقع الحربية والتحصينات العسكرية أو فيما أورده من نبذة قصيرة عن احتلال البريطانيين لمصر عام ١٨٨٢ وســـلخ بلادنا عن الامبراطورية العثمانية ثم بقائها تحت الاحتـــلال البريطانى حتى الحرب العالمية الثانية وفيما عدا ذلك لم يتعرض الكاتب للوطن العربى ٠

ويزخر الكتاب بالمعلومات العسكرية القيمة ويظهـــر كثيرا من الخبايا العسكرية التى ظلت خافية حتى الآن ويبين فى أسلوب سلس بسيط وعلى لسان الحوادث ما نجح وما لم ينجح من التحركات العسكرية اقداما وانسحابا وأســـبابا متفرقة لنجاح أو فشل كل عملية مما لا غنى عنه لكل مهتم بالشئون العسكرية . واذا كانت المواقع المذكورة فى هذا الكتاب لم يتعرض لها كاتب باللغة العربية من قبل أو أنهـــا تدرس للمهتمين بها بلغة غير لغة الضاد فان فى ترجمة هذا الكتاب ما يساعد أبناء وطننا العزيز الباسل من مدنيين ، وعسكريين على الالمام بهذه الاحداث الهامة التى غيرت وجه المعركة ومن ثم وجه العالم الذى نعيش فيه الآن ٠

والله يحفظ أرض الكنانة ويقود خطاها الى طريق الرقى والرفعة والسداد بزعامة رئيسنا النابه المحبوب الرئيس جمال عبد الناصر ٠



الفصل الأول

نظرة جغرافية

تقع محطة العلمين الصغيرة على الخط الحديدى الساحلى الموصل الى مرسى مطروح على بعد ٥٠ ميلامن الاسكندرية ــ وقد اخذت المحطةاسمها عن المرتفع القائم بين الخط الحديدى والبحر والمعروف بتل العلمين وهــو تل ذو صورتين متماثلتين ويذكر الجنود البريطانيون الذين كانوا يرابطون فى مصر قبل الحرب العالمية الثانية عنه أنه محطة لقضاء الليل على الطريق الى مرسى مطروح ، الا أن الطريق لم يكن ممهدا فى ذلك الوقت . ويواجه المحطة واحد من تلك الاماكن القليلة التى يسهل على الجنود فيها أن ينزلوا الى شاطىء البحر حيث يمكنهم الاستمتاع بمياهه الصافية الزرقاء والاغتسال من غبار الطريق .

كما كانت قرية الحميمات وتقع على بعد ٢٨ ميلا الى الجنــوب من الاماكن المألوفة للجنود أيضا باعتبارها علامة هامة فى الطريق الموصــل عبر الصحراء بين القاهرة ومرسى مطروح ثم يمتد بعد ذلك فى اتجـــاه الجنوب حاجز هائل لايمكن للسيارات اختراقه الا فى موضع أوموضعين ـ فى مسافة مائتى ميل حتى واحة سيوه، هذا الحاجز هو منخفض القطارة ذلك المستنقع الملحى الضخم الذى ينخفض مائتى قدم عن مستوى سطح البحر ولا تستطيع حتى الجمال اجتيازه الا فى بضع مواضع ، ويحفه فى الطرف الشمالى جرف شديد الانحدار ، وفى الركن الجنوبى الغربى لهذا المنخفض الملحى بالقرب من سيوه يقوم حاجز ضخم آخر يمتد غربا وجنوبا مئات الاميال ويعرف ببحر الرمال العظيم .

فاذا ما اتجه الانسان شرقا أو جنوبا من هذين الحاجزين صادفته الصحراء الرملية تغطيها قشرة من الحصى النـــاعم يمكن النـاقلات ذات العجلات المهيأة للسير فى الصحراء أن تخترقه بســـهولة اذا لم تعترض سبيلها كثبان الرمال الطويلة التى تجمعها الرياح . الا أن مرور عدد كبير من العربات قد يؤدى فى بعض الاحيان الى تكوين منخفضات رملية رخوة لا يمكن الا للخبراء اجتيازها ان وجدوا .

أما اذا اتجه الانسان شمالا أو غربا من الحاجز فان طبيعة الصحراء تختلف اختلافا بينا وفيما عدا الاماكن القريبة من الســاحل حيث تكثر المستنقعات المحلية أو كثبان الرمل نجد الارض صخرية فى غالب الاحيان

تستطيع أن تتحمل حركة نقل لا حد لها اذا استثنينا بعض المنخفضات أو المنحدرات أو مناطق رخوة من الرمال أو أكوام متشعبة يمكنها أن تحد وتعرقل الحركة فى كل وقت وقد تجعلها مستحيلة فى الظلام وذلك فى غياب الانوار الكاشفة ويستطيع كل من يلقى نظرة على الخريطة أن يتبين الاهمية الاستراتيجية لهذه البقعة باعتبارها عنق الزجاجة التى يتعين على الجيوش الغازية للاراضى المصرية من الغرب أن تجتازها وأن يتخيل أنها لا بد كانت مسرحا لمعارك عدة عبر الاجيال منذ فجر التاريخ . الا أن الصحراء المترامية الاطراف كانت تقف حاجزا له منعته أمام الغزوالاجنبى قبل العصر الآلى .

الاحتلال البريطانى :

لقد رابطت القوات البريطانية فى مصر منذ عام ١٨٨٢ وهى السنة التى بدأ فيها الاحتلال . ولم تترك بريطانيا فرصة تمر دون أن تعبر عن رغبتها وعزمها على الجلاء عن البلاد بمجرد أن تستقر الأوضاع فى مصر . وظل الحال كذلك حتى عام ١٩١٤ حين طرأ على الموقف عامل جديد . فقد كانت مصر حتى ذلك الوقت تابعة من الوجهة الاسمية الى سلطان تركيا فلما أعلنت هذه تحالفها مع ألمانيا فىالحرب العالمية الاولىسنحتلبريطانيا الفرصة فى أن تعلن استقلال مصر عن المملكة العثمانية التى وصلت جيوشها بمساعدة الالمان خلال تلك الحرب حتى قناة السويس عبرأراضى فلسطين . وهكذا كانت مصر خلال الحرب العالمية الاولى قاعدة ومركزا لعمليات حربية تستند اليهما حملات بريطانيا والحلفاء على غاليبولى وسالونيك وفلسطين أما فى الصحراء الغربية فقد كانت هناك بعض العمليات الصغيرة التى قام بها السنوسى بمساعدة الالمان والاتراك وقد أخمدتها قوات الدوق وستمنستر فى النهاية .

ولما تداعت الامبراطورية العثمانية بعد الحرب تضخمت مسئوليات بريطانيا فى الشرق الاوسط كما تدعى ومع زيادة الاهتمام بموارد البترول والتقدم فى استخدام الطيران أصبحت مصرمركزا هاما بالنسبة لبريطانيا ومن هنا ظلت القوات البريطانية ترابط فى القاهرة والاسكندرية والاسماعيلية برغم الصيحات المتكررة من أجل الاستقلال .

حملة ايطاليا على الحبشة :

تم قامت ايطاليا عام ١٩٣٥ بتجهيزحملة ضد أثيوبيا لغرضالانتقام والتوسع الاستعمارى شعرت ازاءها كل من مصر وبريطانيا بخطر احاطة

مصر بقوات من الفاشست ومن ثم اتخذت خطوات من شأنها تقوية الحامية البريطانية فى مصر وتجديد أسلحتها ٠

الهجوم البريطانى عام ١٩٤١/٤٠ :

وهكذا اتضح عندما اشتركت ايطاليا مع المانيا عند سقوط فرنسا فى مايو سنة ١٩٤٠ أن لبريطانيا فرقة مدرعة فى الصحراء الغربيـة هى الفرقة السابعة فى قاعدة مرسى مطروح ثم عبرت فرقة الهوسار الحادية عشرة الحدود غربا جنوبى السلوم خلال بضع ساعات من اعلان ايطاليا الحرب تؤيدها قوة الطيران الصحراوية المكونة من سرب استكشاف لقوات الجيش المتقدمة وسرب من المقاتلات وثلاثة أسراب من قاذفات القنابل ٠

ولقد تمت هزيمة الجيش الايطالى هزيمة ساحقة مع أوائل العـام التالى اذ كانت موقعة سيدى برانى فى ديسمبر سـنة ١٩٤٠ هى بداية هذه الهزيمة ووضعت خاتمتها معركة « بدافوم » جنوب بنغازى فى فبراير سنة ١٩٤١ ٠ حينئذ شعر الالمان بالمخاوف من أن يسقط شمالى افريقية كله فى قبضة الحلفاء اذا استطاعوا السيطرة على طرابلس مما يمهد لهم سبيل الاتصال بأفريقية الشمالية الفرنسـية التى قد تسـتطيع أن تحرر نفسها من قبضة حكومة فيشى ومن ثم يتغير الموقف فى البحر الابيض جميعه تغييرا كاملا ليس فى مصلحة الالمان ٠

أرويم رومل :

وهنا عمل الالمان بسرعة على تجهيز قوة متحركة صغيرة أرسلت الى طرابلس لمساعدة الايطاليين فى الدفاع عن الولايات الغربية فى ليبيا تحت قيادة أروين رومل الذى كان قد أظهر كفاية ممتازة فى قيادة فرقة البانزر خلال المعارك التى خاضها فى بولندا وفرنسا فى السنة السابقة ٠ هـذه القوة الصغيرة كانت أصلا فرقة البانزر الخامسة الخفيفة ثم عرفت فيمـا بعد بفرقة البانزر الحادية والعشرين وكانت النواة الاولى للفيلق الالمانى الافريقى ثم لجيش البانزر الافريقى فيما بعد ٠

ولم تسارع القوات البريطانية المرابطة فى مصر وبرقة وكانت تشمل قوات من استراليا ونيوزيلندا والهند وروديسـيا كما كان مقـدرا أن تنضم اليها قوات من جنوبى افريقية بعد الانتهاء من الحملة الأثيوبية ــ لم تسارع الى استغلال النصر الذى أحرزته قوات الصحراء الغربيـة المتجهة الى طرابلس وبدلا من ذلك فقد تحولت جهـودها الرئيسية الى

المحاولة الفاشلة لانقاذ اليونان وكريت من الغزو الالمانى . وبينما تستعد هذه القوات لتلك الحملة قام روملِ مخالفا بذلك أوامر وخطط القيـــادة العليا فى ايطاليا وألمانيا بالهجوم على القوة البريطانية الصغيرة فى مرسى بريحه عند انحناء خليج سيرت فسحقها وقد شجعه النصر السريع الذى أحرزه على مواصلة التقدم ناشرا الاضطراب فى كل مكان وهــكذا أرغم القوات البريطانية المرابطة فى ولاية برقة على التقهقر وطوق ميناء طبرق ثم تقدم بسرعة خاطفة حتى الحدود المصرية عند السلوم وهنا توقف قليلا بعد أن استعاد فى أسابيع معدودة كل ما كان الايطاليون قد خسروه فى الحملة التى قام بها البريطانيون طيلة الشـــتاء ـ توقف بعــد أن حقق معجزات حربية كان لها أثر حاسم على مســتقبل الحملة . فهو أولا قد خالف الاوامر الصادرة اليه من رؤسائه الالمان والايطاليين وأثبت أنه اذا كانت مخالفته هذه قد أدت الى النجاح فانه من المحتمل أن تتجاهلهـــا القيادتان وربما ترحبان بها . ثم انه رفض ثانيا الاستماع الى هيئة أركان الحرب ، والقيادة وما كانا يبذلانه من نصح قائم على الحنكة العسكرية . فلقد أثبت بما لا يدع مجالا للشك أن ما كانت تصفه الآراء المدربةالعتيقة بأنه غير ممكن قد أصبح حقيقة واقعة بفضل الادارة الحازمة وسرعةالحركة وحسن استغلال الارتباك الناجم عند خصمه من الهجوم الخـاطف اذ أتم ببراعة وجرأة ومع حسن استخدام الموارد التى وقعت فى قبضته الىأقصى حد ممكن استطاع أن يحافظ على خطوطمواصلاته الى مسافات أبعد بكثير مما قدره له رجال القيادة العليا ولكنه عندما حاول ذلك مرة أخرى فيما بعد لم يكن نصيبه غير الفشل .

غلطة كريت واليونان :

ولقد حاول البريطانيون فى شهرى مايو ويونيو سنة ١٩٤١ خلال الحملة الفاشلة على اليونان وكريتوبعدها أن يحملوا روملِ علىالانسحاب حتى يتمكنوا من رفع الحصار عن حامية طبرق المطوقة ولكن دون جدوى. ومن ناحية أخرى فقد فشل روملِ هو الآخر فى كسر شوكة هذه الحامية. ولقد ضرب الالمان طبرق من الجو كما ضربوا الاسطول البريطـانى الذى يمونها الا أن طبرق لم تصمد أمام هذه الضربات فحسب بل اســتبدلت حاميتها التى كانت مكونة معظمها من الفرقة الاسترالية التاسعة بالفرقة السبعين البريطانية . واللواء البولندى الكاراباتى ثم عززت الحاميـــة أيضا بوحدات بريطانية خلال الصيف .

أوكنلك :

وفي هذا الوقت حل الجنرال سير كلود أوكنلك محل الجنرال سير ارشيبالد ويفل في منصب القائد الأعلى للقوات البريطانية في الشرق الاوسط ، وكانت أولى خطوات القائد الاعلى الجديد هي اصدار الاوامر الى الجنرال سير جيمس مارشال كورنوال قائد القوات البريطانية في مصر للاسراع بانشاء مركز دفاعي قوي في العلمين وقد استمر العمل بطيئا في هذا الموضوع طول الفترة الباقية من العام . وقد شملت الاوامر أيضـا تقوية جميع المراكز الدفاعية في الصحراء الغربيـة بما في ذلك المراكز الدفاعية المواجهة لرومل على الحدود . أما المركز الرئيسي للدفاع الذي وكل أمره الى فرقة كاملة من المشاة فيقع على الساحل ويشمل الطريق ويحمى البحر جناحه الشمالي وكانت أهم ميزة لهذا المركز المرتفع فوق تل العلمين هو ما يتمتع به من قدرة على مراقبة الارض المنبسطة أمامه الى الجنوب الغربي . وكان المركز الثاني في منتصف خط الدفاع على بعد ١٥ ميلا الى الجنوب الغربي ويشمل قمة قرية المعبد والتي يمكن منها مراقبة الجزء الشمالي بصفة خاصة مراقبة فعالة وكانت المنطقة المحيطة بها مليئة بالمنحدرات والمنخفضات التي تجعل حركة العدو في منتهى الصعوبة بصفة عامة . وبين هذين المركزين تمتد الارض منبسطة لا يرتفع فيها الا جرف الرويسات في منتصف المسافة تقريبا والذي يتجه غـربا . وهو جرف لا يمثل عقبة حقيقية أمام المتقدم من الغرب وتمتد الارض مستوية شمال الجرف تتخللها مواضع رخوة من الرمل . أما في الجنوب فترتفع الارض في شبه هضبة تمتد حافتها الجنوبية اثني عشر ميلا شرق قرية «العبد» ثم تستدير الى الشمال الشرقي مخترقة « علم الحلفا » حتى الطرف الشرقي من جرف الرويسات جنوبي المحطة التي تحمل هذا الاسم أما مركز الدفاع في أقصى الجنوب من الخط فقد تم اختيـاره في موقع يتحكم في الممر الموصل من الجرف الى منخفض القطارة عند نقب أبو دويس ويبلغ ارتفاعه ضعف ارتفاع قرية العبد تقريبا . وهو موقع تحف به مناظر رائعة تبعث الرهبة في النفوس الا أنه لم يكن من الاماكن التي يمكن اجتيـازها ولم تكن للقوات المرابطة فيه من فائدة سوى صد ما يوجه اليهـا من هجوم مباشر فقط .

خطة الهجوم الالماني :

وعلى هذا كان على القوات المهاجمة الآتية من الغرب . في تقـدير القيادة البريطانية . أن تسلك واحدا من طرق ثلاثة اما الطريق الشمالي

بين الخط الحديدى وجرف الرويسات ، أو الطريق الاوسط الذى يمر شمال قرية العبد ثم يتجه شرقا الى أن يصل الى جنوب جرف الرويسات وشمال علم الحلفا وأخيرا الطريق الجنوبى الواقع شمال جبل الكلخ والمحميات وسمكة جاب الله . هذه المسالك الثلاثة هى أفضل الطرق التى يزحف فيها المهاجم وفى أى منها سوف يمر بأحد مراكز الدفاع البريطانية الثلاثة وهى مراكز لا تتسع فى مجموعها لأكثر من فرقتين من المشاة . فاذا زحف العدو لا يمكن عندئذ وقفه أو منعه من المرور بين هذه المراكز فيستطيع عزلها فى شكل جيوب يمكنه تجويعها أو الضغط عليها حتى الاستسلام الواحد تلو الآخر وكل ما تستطيع أن تفعله حاميتها هو أن تطلق عليه نار مدافعها محدودة العدد . هذا ان رأته - وهى المدافع التى أمكن اقامتها على قوس الدائرة الذى يربط بينها . كما أن أى توسع فى هذا القوس كان يتطلب المزيد من القوات اللازمة للمرابطة والمحافظة عليه وبخاصة زيادة عدد المدافع المضادة للدبابات وفى هذه الحالة لن يتسنى لحاميات المراكز الثلاثة حرية الحركة دون أن تزدحم بالناقلات المكشوفة التى تكون عرضة للاصابة .

ولقد فكرت القيادة البريطانية فى كل هذه المتاعب ورأت أن خير حل لهذا الموقف هو تزويد المراكز الثلاثة بفرقتين ميكانيكيتين تعملان بين المراكز الثلاثة . وأن تتصدى لأى مهاجم قد يتسلل بين هذه المراكز أو يركز هجومه على أى منها . وعلى هذا فقد كان خط دفاع العلمين فى حاجة الى اربع فرق : اثنتين منهما من المشاة المرابطة فى المراكز، والأخريين ميكانيكيتين للعمل بينها علاوة على القوات اللازمة لتوفير الاحتياطى وذلك وفقا للخطة التى وضعت عام ١٩٤١ .

ولقد بدأ العمل فى تنفيذ هذه الخطة فى أواخر صيف سنة ١٩٤١ فى الوقت الذى كان فيه روميل يستعد للقيام بمحاولة أخيرة لسحق مقاومة طبرق فى حين كان البريطانيون يقومون بتجهيز قوة حول مرسى مطروح لمعاودة الهجوم ولقد وقع الجنرال البريطانى أوكنلك تحت ضغط شديد خلال شهرى سبتمبر وأكتوبر سنة ١٩١١ للقيام بهذا الهجوم ولكنه قاوم هذا الضغط حتى يضمن لقواته بقيادة الجنرال آلان كانتجهام والتى كانت تعرف حينئذ بالجيش الثامن تدريبا وتجهيزا واعدادا كافيا . ومن ثم وقع اختياره على اليوم الثامن عشر من نوفمبر ليبدأ زحفه وكان الغرض من هذه الحملة التى أطلق عليها الحملة الصليبية هو انقاذ طبرق، واعادة الاستيلاء على برقة حتى يمكن بذل مساعدة جوية وبحرية أكبر الى مالطة وتمهيد الطريق الى تحرير شمالى افريقية جميعه . وقد نجحت الحملة فى

تحقيق جميع الاغراض وفشلت في تحقيق الاخـير منها كما كلفها ذلك كثيرا .

وعلى هذا لم يأت شهر يناير سنة١٩٤٢ حتى عاد الموقف الى ماكان عليه في فبراير سنة ١٩٤١ . وكانت القوات الايطالية والالمانية ما زالت بالاسم تحت القيادة الايطالية قد ردت ثانية الى مرسى البريجة بعـد أن أنهكها التعب وخسرت عددا كبيرا من أفرادها ، وكان الجيش الثامن بعد أن أصبح ـ تحت قيادة الجنرال ريتس الآن ـ قوة متقدمة مشتبكة مع الالمان والايطاليين هناك الا أن معظم قواته اتخذت مراكزها في برقة أو في طبرق حيث يمكن تموينها بسهولة . وكما حدث في عام ١٩٤١ فقـد وصلت الى طبرق قوات جديدة لتحل محل حاميتها التي ظلت دون انقطاع شهرين متتاليين .

وكما حدث أيضا في عام ١٩٤١ من نقل قوات الى كريت واليونان تكررت المأساة بالنسبة للجيش الثامن ولكن على مسرح آخر بعيد عن أوربا وافريقية هذه المرة فقد سقطت سنغافورة وكان الموقف في بورما يهـدد بخطر عظيم وعلى هذا أرسلت الفرقتان الاستراليتان والفرقة البريطانية رقم سبعين واللواء السابع المدرع وبضعة أسراب من السـلاح الجوى البريطاني الى مسرح القتال في الشرق الأقصى .

وفي الحادى والعشرين من يناير سنة ١٩٤٢ كرر روميل المحـاولة التي قام بها في السنة السابقة ولكن بقوات كبيرة العدد هذه المرة وحصل على نتائج باهرة خاطفة سريعة ، وبالرغم من أن الجنرال روميل حرر برقه من قبضة البريطانيين فان غنائمه من الرجال والعتاد لم تكن كبيرة على أية حال وتمكن البريطانيون من وقف تقدمه على الخط الذى يسير جنوبا من عين الغزالة على بعد ٤٠ ميلا غرب طبرق .

وعندما تقابل الجانبان عند هذا الخط أخذ كل منهما يعد العـدة للجولة التالية وكانت الاهداف التي وضعتها القيادة العليا للجنرال روميل هي الاستيلاء على طبرق ، ودفع القوات البريطانية الى ما وراء الحـدود المصرية وبطبيعة الحال تكبيدها أقصى ما يمكن من خسائر .

الخطة البريطانية :

أما أهداف الخطة البريطانية فكانت اعادة انشاء مطارات في برقة نظرا لاشتداد الكارثة التي كانت تعانيها مالطة فقد انخفضت كمية المؤن المرسلة اليها لحد مخيف كما أن خسارة اقليم برقة جعـل من المستحيل

ارسال البواخر الى مالطة من الشرق وقد منيت محاولة تزويدها من جهة الغرب بخسائر فادحة .

موقف تشرشل :

وتحقيقا لهذا الغرض اشتدت لندن فى ضغطها على أوكنلك كى يبدأ هجومه ويعاود الاستيلاء على برقة بأسرع ما يمكن الا أنه كان مترددا فى مباشرة هذا الهجوم ذلك أنه كان على يقين من أن الجيش الثـامن سوف يصاب بنكبة للمرة الثالثة على يدى رومل اذا حاول القيام بمثل هـــذه العملية ما لم تكن قواته فى موقف يمكنها من تحقيق النجـاح ثم ان نقل جزء من قواته الى الشرق الاقصى قد قلب خططه كلها ، هذا فى الوقت الذى سبب له انتصار الالمان الباهر فى روسيا قلقا بالغا على جنـاحه الشمالى فى العراق ولكن بعد تبادل وجهات النظر قرر مجلس الحرب البريطانى المخاطرة ورأى أن يبدأ الجيش الثامن هجومه على رومل فى منتصف مايو سنة ١٩٤٢ .

الا أن الموقف بصفة عامة ساده القلق عندما اقترب هذا الموعد فقد توالت أنباء الخسائر من الشرق الاقصى اذ سقطت بورما وقويت الظنون فى أن تقع سيلان فى يد اليابان كما أصبح موقف الهند ذاتها فى خطر شديد .

وكان من جراء هذه الانباء أن اضطر أوكنلك الى اعادة النظر فى خططه الاستراتيجية جميعا وأشار الى الاخطار المحققة التى يتعرض لهـا الجيش الثامن اذا حاول القيام بهجوم فى هذه الظروف وبقوات مدرعة غير كافية .

الا أن لندن لم تأخذ هذه المزاعم على محمل الجد واعتقدت أن أوكنلك يبالغ فى تصوير الاخطار ، ومن ثم أصدر مجلس الحرب البريطانى أوامر صريحة الى الجنرال أوكنلك أن يبدأ الزحف فى شهر مايو حسب الخطة التى سبق الاتفاق عليها أو فى أوائل يونيو على أقصى تقدير وذلك مساعدة للقوافل المتجهة الى مالطة . وما من شك فى أن أوكنلك كان يســـتطيع تسوية الخلاف بين وجهتى النظر لو سافر الى لنـــدن كما طلب وبهـذا تدهورت العلاقات التى كانت طبيعية بين القائد العـــام ورئيـس وزراء بريطانيا وظلت سائرة فى طريق التدهور منذ ذلك الحين .

وقد كان أول مظاهر النشاط الذى قام به الجيش الثامن بعــد أن توقفت الحركة فى الغزالة هو تهيئة مراكز للدفاع تعتمد على الاحتفاظ ،

بمواقع متقدمة خفيفة مع بقاء معظم القوات عند خط الحدود المصرية المار بالسلوم والتضحية بطبرق • وبعد تغيير الخطة بذلت الجهـــود لتقوية الدفاع عند خط الغزالة بدلا من السلوم باقامة خط دفاع فى الشـــمال لا يمكن للدبابات الالمانية اختراقه ثم مراكز دفاع الى الجنوب وحقـــول ألغام تغطى مساحات واسعة اضطر أمر تجهيزها سحب الالغام التى كانت تحيط بطبرق لبثها فى الحقول الجـــديدة ثم مدت الخطوط الحـديدية وأنابيب المياه من الاسكندرية حتى قوس الدائرة الشرقى لطبرق الذى أصبح قاعدة أمامية واسعة • ثم امتد خط الدفاع جنوبا الى بير حكيم وبهذا تركت ثغرات واسعة مكشوفة فى خط الدفاع لا تحميها سوى الالغام •

ولم تغفل عين رومل الساهرة عن هذه الاستعدادات وعن قوة الجيش الثامن المتزايدة مما سبب له القلق • وكل ما كان يشغل باله هو العمل على اجتناب موقف تتمكن فيه قوات أعدائه البريطانيين أن يشغلوا جـل قواته فى الوقت الذى يتيسر لهم فيه قوات أخرى تستطيع الالتفاف حول جناحه وتقطع خطوط تموينه ومواصلاته مع بنى غازى وطرابلس • ومن ثم كانت فرصته الاكيدة فى أن يسبق الجنرال رينشى فى توجيه الضربة وقد وضحت نيته هذه فى شهر مايو سنة ١٩٤٢ حين قام هو بالمبـادأة عندئذ استطاع الجيش الثامن وقيادته أن يشـعروا بالارتياح بعـد أن اضطرهما رومل الى الدفاع بدلا من الهجوم الذى كانت تفرضه لنـدن عليهما فرضا • ووقف الجيش الثامن كله ينتظر ملاقاته فى المكان الذى يختاره هذا الجيش •

هجوم رومل الخاطف :

وقد بدأ رومل زحفه عصر اليوم السادس والعشرين من مايو سنة ١٩٤٢ وقد بدأ للوهلة الاولى أنه يتجه الى وسط خط الدفاع كما أشـار أوكنلك على رينشى • ولكن طائرات الاستكشـاف التى حلقت فى الدقائق الاخيرة من غروب شمس ذلك اليوم حملت أنباء تخالف ذلك وهى أنباء أيدتها بعد ذلك التقارير الواردة من المركبات المصفحة وآلاى السيارات التابعة للفرقة السابعة المدرعة فان جزءا كبيرا من جيش رومل قد تحول الى الجنوب نحو بير حكيم حيث آلاى فرنسا الحرة •

والواقع أن كل القوات المتحـــركة فى الفيلق الافريقى قد اتجهت جنوبا واستطاعت قبل فجر اليوم التالى أن تلتف حول بير حكيم ومن ثم أخذت تتجه رأسا الى مشارف طبرق وعكرومة فى الغرب والعـــادم فى

جنوب طبرق لقد كانت خطة جريئة رائدها تطويق فرقة نورى المدرعة رقم ٣٠ وقد اختل توازنها حيث كانت آلاياتها الثلاثة متفرقة على مسافات كبيرة فى حين كانت الفرقة المدرعة السابعة فى شرق بير حكيم بعيدة عن المعركة ٠

وعلى كل حال لم تمر سوى فترة قصيرة حتى استعاد الجيش الثامن تماسكه فاستطاع أن يضع روميل فى موقف حرج ،ذلك أن قوات روميل أصبحت الآن محصورة فى بقعة محدودة الى الشرق من حقول الالغـــام التى بثها الجيش الثامن وقد أوشكت ذخيرة هذه القوات على النفاد ، فى حين انقطعت عنها خطوط المواصلات والتموين ٠ ولكن روميل الذى كانت تغلب عليه طبيعة المقامر اتبع الآن سبيل الحكمة فاحتفظ بقواته مجمعة وشق لنفسه طريقا خلال حقول الالغام وأعاد انشاء خط مواصلاته وأخذ يصد الهجمات الفاشلة غير المتناسقة التى كانت توجه اليه وتحسين مواقعه يوما بعد يوم حتى استطاع أن يزيل الشوكة الرئيسية فى جنبـــه وهى آلاى المشاة رقم ١٥٠ ـ التابع للفرقة رقم ٥٠ نورتمبرلند ـ الذى كان مرابطا فى ظهر العصلج وآلاى فرنسا الحرة فى بير حكيم وعندما أخمـد حركتهما واصل تنفيذ خطته الرئيسية واستطاع بعد عدد من معـــارك الدبابات أن يقضى على دبابات الجيش الثامن فلم يترك له سوى ٧٠دبابة فى حين استطاع أن يحافظ لنفسه على ما يقرب من ١٠٠ دبابة ألمانية و٦٠ دبابةايطالية ، ثم كانت الكارثة يوم ١٢ من يونية سنة ١٩٤٢ حين تم لروميل الفضاء تماما على قوات رينشى المدرعة واضطر الى الانسحاب بما بقى لديه من قوات المشـــــاة وأجهزة القتال التى كانت معدة أصلا للهجوم ٠

وقد كان من جراء الآمال العريضة لدى البريطـــانيين والتى خذلها روميل أن ظهر سوء التفاهم واضحا بين قيادة الشرق الاوسط ولندن فلم يكن من رأى أوكنلك الاحتفاظ بطبرق ، وقد خالفته فى ذلك لندن بالطبع اذ كانت التضحية فى سبيل ذلك جسيمة ومن ثم أعطى الاوامر بصـــد هجوم روميل عند القوس الغربى لطبرق والممتد جنوبا وقد حاول الجنرال رينشى تنفيذ الامر الصادر له ولكن ليس حرفيا فأعطى بدوره أوامره بأنه يجب الاحتفاظ بحصن طبرق وحتى يمنع استغلال هذا الحصن أمر بأن تتجمع القوات وتعيد تنظيم نفسها عند الحدود المصرية بدلا من تجمعها واعادة تنظيمها وسط ميدان المعركة حول موقع العادم ٠

وترتيبا على ذلك انتهز روميل ذلك الثعلب الماكر الفرصة واستدار

بقواته حول طبرق ثم وجه اليها ضربة خاطفة من الجنوب الشرقي فوقعت صريعة بين يديه .

وعندما سمع رينشي سقوط طبرق قرر أن يركز دفاعه مستندا الى قاعدة مرسى مطروح وأن يحاول صد القوات الزاحفة عند السلوم وقد وافق أوكنلك على هذه الخطة ، وقد عهد الى الفرقة العاشرة القادمة من فلسطين باتخاذ مراكزها في مرسى مطروح للدفاع عنها بقيادة الجنرال هولمز . كما أرسلت من الدلتا الفرقة الثانية النيوزيلندية بقيادة فرايبيورج الى هناك كما عادت الفرقتان الهندية العاشرة والفرقة الخمسين البريطانية من الحدود عند السلوم الى مرسى مطروح لتكونا تحت قيادته . أما القوات الباقية على الحدود جميعها فقد ضمت الى الفرقة الثالثة عشرة تحت قيادة الجنرال جوت في حين أشرف الجنرال نورى على عودة الفرقة الثلاثين الى مطروح ثم توجه الى العلمين بعد أن حلت محله فرقة جنوبى افريقية وقام بعد ذلك بتنظيم مراكز الدفاع عن العلمين .

ولم يمض سوى يومين على سقوط طبرق الا وكان رومل قد زحف الى الحدود المصرية وعبرها بقوة من الدبابات لم يتجاوز ٤٤ دبابة وبعد ذلك بيومين أى في الخامس والعشرين من شهر يونية كان قد اشتبك مع الفرقة الثالثة عشرة بقيادة جوت جنوبى مطروح . عندئذ طار أوكنلك من القاهرة الى ميدان المعركة وعزل رينشي وحل محله في مساء اليوم نفسه في قيادة الجيش الثامن الذى كان قد أصابه الانحلال وأخذ منه التعب كل مأخذ فانتهز رومل هذه الفرصة وتمكن من تشتيت الفرقة الثالثة عشرة التى كانت في الوقت نفسه معقودا لواؤها على كل القوات الواقعة خارج قوس مرسى مطروح بما في ذلك الفرقة النيوزيلندية كما أحاط بالفرقة العاشرة ولكنهما تمكنا من شق طريقهما عائدين الى العلمين الا أن رومل لم يتوقف حتى ان بعض القوات التابعة للجيش الثامن كانت في ارتدادها تنسحب في خط مواز لخط هجوم رومل والبعض الآخر كان وراءه . وفي اليوم الأول من يوليو سنة ١٩٤٢ توقف رومل عند خطوط دفاع العلمين نفسها ، تلك الخطوط التى كانت تحافظ عليها الفرقة الأولى من جنوبى افريقية . كما كان الآلاى الهندى العاشر المشاة مرابطا في موقع دير الشين وهو موقع أنشىء بسرعة وعلى عجل . وبالمثل تجمعت الفرقة النيوزيلندية في موقع قرية العبد جنوبى الآلاى الهندى ومعها الفرقة البريطانية المدرعة الأولى التى عقدت لها القيادة على كل القوات في جرف الرديسات . أما نقب أبوديس فقد عسكرت فيه الفرقة الهندية التاسعة في حين تحصنت الفرقة الخامسة الهندية بالقرب

من الحميمات ومعها الفرقة المدرعة السابعة • وقد استمر القتال سجالا طيلة شهر يوليو على خط العلمين ولكنه كان قتالا يشبه جولة الملاكمة ولكن بشكل معكوس فقد كان الجانبان – وقد نال منهما التعب والاجهاد – يقومان بهجمات ضعيفة لم ينتج عنها سوى خسائر طفيفة لكل من الطرفين وعلى كل حال فقد تمكن كل جانب من استعادة قوته وظن أنه فى مقدوره أن يوجه الى خصمه الضربة القاضية فاذا ما حاول وضع ظنونه هذه موضع التنفيذ وجد أن خصمه قد اشتد ساعده وأصبح أكثر قوة مما توقع وبخاصة فى وسائل الدفاع ولذا فقد كانت كل ضربة من أى من الجانبين لا تحقق نجاحا يذكر الا أنها تكلف من يوجهها خسائر جسيمة وبدا كأن الجولة لن تنتهى •

أما فى جبهة الجيش الثامن فقد انضمت الفرقة الاسترالية الى فرقة جنوبى افريقية وأخذت مواقعها غربا عند تل العيسى وهنا تغيرت مواقع الجيش فى آخر يوليو سنة ١٩٤٢ كالآتى : –

الفيلق الافريقى ويسيطر على قرية العبد ونقب أو رديس وعنق الزجاجة المحيط بجبل الكلخ •

الجيش الثامن ويسيطر على تل العيسى فى الشمال ثم يمتد خط الدفاع فى استقامة الى الجنوب مخترقا دير الشين شرق قرية العبد وغرب قرية الحميمات •

وفى هذا اليوم أرسل أوكنلك الى لندن التقرير التالى :

انعقد أمس اجتماع بين قادة الجيش الثامن لبحث الموقف التكتيكى بعجالة وتبين أنه نظرا لنقص مواردنا واستحكامات العدو القوية فقد قررنا على غير رغبة منا أنه ليس من الممكن فى الظروف الحاضرة أن نجدد جهودنا لتحطيم جبهة العدو أو الالتفاف حول جناحه الجنوبى كما أنه ليس من المحتمل أن تسنح لنا الفرصة لمعاودة الهجوم قبل منتصف سبتمبر سنة ١٩٤٢ وهو أمر يتوقف على قدرة العدو على تكوين قوته من الدبابات • وعلى هذا فان سياستنا الآن سوف توجه مؤقتا نحو اتباع أساليب الدفاع والقيام بالاستعدادات الدقيقة وتقوية منطقة الدفاع بأكملها وفى الوقت نفسه فسوف ننتهز أية فرصة تسنح لنا باتخاذ موقف الهجوم فجأة ومباغتة العدو •



الفصل الثاني

جيش شجاع ولكنه يثير الحيرة

قلق تشرشل :

لقد كان المسئولون عن ادارة دفة الحرب فى لندن يشعرون من زمن طويل قبل وصول رسالة أوكنلك أن الموقف فى الشرق الأوسط يتطلب اتخاذ اجراء حاسم لوضع الامور فى نصابها . فقد حصل الشرق الأوسط منذ عام ١٩٤٠ من بريطانيا على كل شيء استطاعت أن تعده بريطانيا من الرجال والعتاد وفى كل مناسبة هامة منذ منتصف ١٩٤١ حصل جيش وطيران الصحراء على كل ما يجعله متفوقا ماديا وعدديا على العدو وبالرغم من ذلك فقد انسحب هذا الجيش منهزما الى دلتا النيل هـــذا فى الوقت الذى يصر فيه قائده العام على الحصول على فترة من الراحة .

ولقد كان من جراء الارتباك الناجم عن معارك الصيف ثم سقوط طبرق وقيام العدو بأسر كثير من الرجال والاستيلاء على كميات ضخمة من العتاد ثم الانسحاب الذى بدا للعالم وعليه ســمة الذعر الى العلمين وكذا الشـــائعات التى راجت فى العالم من أن هناك خططا قد وضــعت للجلاء عن مصر ذاتها كل هذه أثارت قلقا شديدا فى انجلترا التى كانت فى ذلك الوقت قد دخلت العام الرابع للحرب .

وقد بدا للعيان أيضا أن هذه الوقائع قد أثرت بدرجة خطيرة عــلى الروح المعنوية للجيش الثامن . هذه الهزائم المتوالية ثم الانســـحاب وتتابع الحوادث بشكل مزعج منذ شهر مايو سنة ١٩٤٢ دفعت التوتر والغيرة والشكوك الى الظهور على السطح وهى أمور من المتوقع وجودها فى كل الجيوش الا أنها تكون فى نطاق ضيق مســتور ولقد انتشرت خرافة منذ ذلك الوقت قائلة : ان الجيش الثامن قد فقد معنوياته بشكل يدعو الى اليأس كما فقد بعض الثقة فى قواده فقدانا تاما ولا شك أن فى هـــذا الأمر من المبالغة الشيء الكثير وألقى البعض الآخر اللوم على العتاد وهو أمر كان فيه شيء من الصحة .

الا أن أخطر ما فى الأمر أن بعض الأسلحة أو بعض مكونات هذا الجيش كان ينحو باللائمة على البعض الآخر ولقد كانت هيئـــة القيادة وهيئة أركان الحرب التى تعلو على قواد الفرق تضـــم قوادا معظمهم من انجلترا ذاتهـــا كما كانت الحال كذلك بالنسبة لوحدات الدبابات وكل

وحدات الفرق المدرعة ما عدا فرقتين فقط من السيارات المصفحة تابعتين لجنوبى افريقية ٠

كانت هـــذه الحالة مبعثا لايجاد عدم الثقة بين قواد الدومنيون والقواد الانجليز وأصبح ظاهرا للعيان الحاجة الماسة الى ايجاد الوسائل الكفيلة بتحقيق المزيد من التناسق والتعاون وقد كان للمحاولة التى قام بها أوكنلك بعزل رينشى وتولى القيادة عنه ، والربط بين مهام القائد العام وقائد الجيش فى الميدان أثر كبير فى تحقيق الكثير من التناسق والتعاون الا أنها لم تقض على كل بواعث القلق ٠

آلان بروك رئيس أركان حرب الامبراطورية فى موقف حرج :

وعلى هذا فقد كانت عبارة تشرشل المأثورة عن الجيش الثامن ، من أنه جيش شجاع ولكنه يبعث على الحيرة ، ليست مبعث دهشة كبيرة ، فقد أخذت الأدلة تتواتر على لندن وقد كان على الجنرال السير آلان بروك رئيس أركان حرب الامبراطورية منذ نهاية مايو سنة ١٩٤٢ أن يتحمل يوميا ملاحظات وأسئلة رئيس الوزراء المحرجة عن السبب فى أن هذا الجيش الذى أمدته بريطانيا بالرجال والعتاد بسخاء قد كتب له ألا يحقق سوى الهزائم فى الميادين الوحيدة التى وكل اليـــه أمرها وهى ميـادين الشرقين الأقصى والأوسط ؟ ولا شك أن بروك شـــعر بالحرج عميقا فى نفسه فقرر أن يتوجه بذاته الى الشرق الأوسط ليبحث الأمر على الطبيعة ويكشف العيوب بنفسه وفى اليوم الخامس عشر من شهر يوليو سنة ١٩٤٢ بدا له أن تشرشل معتدل المزاج فطلب منه الاذن بالســـفر فى نهاية ذلك الشهر وحصل على هـــذا الاذن لزيارة جبل طارق ومالطة فى طريقه الى الشرق الأوسط ٠

الا أن رئيس الوزراء قرر فى اليوم الثلاثين من شهر يوليو وهـو اليوم السابق لرحيل رئيس هيئة أركان حرب الامبراطورية أن يتوجه بنفسه الى القاهرة لزيارتها فى طريقه الى طهران للاجتماع مع ستالين ٠ ولم يرحب بروك بما تطورت اليه الأمور لأنه كان يأمل أن يكون حكمه على الموقف بنفسه بعيدا عن تأثير المستر ونستون تشرشل ومن ثم كان عليـــه أن يرحل بسرعة اذا قدر له أن يسبق رئيس الوزراء الى الشرق الأوسط والواقع أنه وصل القاهرة قبل وصول تشرشل اليها ببضع ساعات فى الصباح الباكر لليوم الثالث من أغسطس ســـنة ١٩٤٢ ٠ وفى اليوم نفسه وصلها الفيلد مارشال ســـمطس من جنوبى افريقية والجنرال ديفل من الهنـــد ، وكان أول مـا فعله تشرشل أن انهمك فى

محادثات طويلة مع الماريشال سمطس مما أتاح الفرصة للجنرال بروك أن يجرى محادثات استطلاعية مع الجنرال كورنيت رئيس أركان حرب أوكنلك فى مركز القيادة العامة قبل أن يصل أوكنلك من مركز قيادة الصحراء للاجتماع برئيس الوزراء البريطانى ثم استدعى بروك فيما بعد ليجد رئيس الوزراء يضيق الخناق على أوكنلك للقيام بهجوم قبل التاريخ الذى سبق أن حدده الأخير وهو ١٥ من سبتمبر سنة ١٩٤٢ ٠

ترشيح جوت لقيادة الجيش الثامن :

ثم استدعى بروك بعد العشاء لمواصلة بحث الموضوع فى الوقت الذى كان يتوق فيه الى فراشه بعد ثلاثة أيام لم يذق فيها طعم النوم ٠ وكان من رأى رئيس الوزراء أن يعود أوكنلك الى القيادة العامة فى القاهرة ويسلم قيادة الجيش الثامن وهى القيادة التى تخضع له بحكم منصبه الى قائد آخر وقد كانت هذه الأنباء على كل حال أنباء مقبولة من جانب بروك نظرا لأنه كان يفكر فى هذا الأمر فعلا من زمن طويل ٠ ثم ألح تشرشل بعد ذلك فى أن يعهد بقيادة الجيش الثامن الى الجنرال جوت ٠

وهنا توقف بروك ٠ انه يعلم تماما أن جوت منهوك القوى فقد وقع عليه الحمل منذ بداية حرب الصحراء وخاضها جميعا وتقلب فى مناصب القيادة وكان قد عهد اليه مهمة المحافظة على سلامة القوات حول طبرق عندما اضطر الجيش الثامن الى الانسحاب بعد موقعة الغزالة ٠

ولم تستند رغبة تشرشل فى ترشيحه الى المسئوليات التى تحملها فحسب بل يضاف الى ذلك صفاء الذهن وحسن ادراكه للأمور وتصريفها وعناده المشهور ثم هناك أيضا بديهته الحاضرة لوضع خطة العمل فى أمور يتردد فيها غيره ، كل هذه الصفات مجتمعة مع خلقه المسيحى الصادق جعلته القبلة التى يتوجه اليها الجميع ، علت مراكزهم أو اعتدلت يلتمسون منه النصح والاطمئنان فى كل الأوقات وخاصة أوقات الشك والقلق والنكبات الا أنه لم يكن مما يثير الدهشة أن أخذت هذه المهام الجسام تثقل كاهله ويصبح كغيره من القواد الذين كانوا فى المعركة منذ نكسة ٢٧ من مايو سنة ١٩٤٢ متعبا مكدودا جسمانيا وذهنيا ٠

وقد أدرك بروك كل هذه الأمور كما أدرك أنه بالرغم من أن الجنرال جوت كان محلا لكل ثقة واخلاص وتفان بين قواد الصحراء القدماء فقد كان هناك أيضا من القواد ، وخاصة بين فرق الدومنيون من لا يشاركونه هذا الرأى ؛ لقد كان بروك على يقين من أن الحاجة ماسة الى قائد جديد

يتمتع بقوة الشخصية والارادة والاعتداد بالنفس ولم يراوده أى شك فى أن مونتجمرى هو رجل الساعة وعلى كل حال فلم يشأ أن يتخذ قرارا قبل أن يحادث جوت أولا ·

أما من ناحية تشرشل فقد كان متأثرا بتوصية ايدن على ترشيح جوت زميله القديم فى فرقة البنادق وعلى اعتبار أنه أحد القواد القدماء الذين مارسوا حرب الصحراء فلم يكن هناك مرشح سواه وكان تشرشل على حق فى ذلك ·

تشرشل يرشح آلان بروك :

وعندما أصر بروك على تأجيل البت فى هذا الموضوع رد رئيس الوزراء عليه قائلا : انه فى هذه الحالة يرشح آلان بروك نفسه لاستلام القيادة وقد كان الاغراء الماثل فى هذا العرض لاشك كبيرا بالرغم من أن فى ذلك تخفيضا لدرجته من رئيس أركان حرب القوات الامبراطورية وهى أعلى درجة فى الجيش الى قيادة الجيش الثامن الا أنه كان من الواضح لبروك أنه لا ينبغى له قبول هذا المنصب على اعتبار أنه الحل الذى ينقذه مما يلاقيه من المصاعب ، والهموم التى تكالبت عليه وهو فى طريقه الى الفراش قبيل فجر اليوم الرابع من أغسطس سنة ١٩٤٢ ·

وعندما استيقظ بعد فترة قصيرة فى مباحثات طويلة مع الجنرال أوكنلك بمفردهما قبل الاجتماع بزملائه الاميرال سير هنرى هاورود ومارشال الجو السير آرثر تيدر ثم بعد ذلك اجتمع بالجنرال سمطس والقواد الثلاثة قبل الغذاء ثم واصل اجتماعاته بالقواد وفى حرارة صيف أغسطس القائظ استمر فى مباحثاته مع أوكنلك والتى انتهت بالاتفاق التام على أن يتولى مونتجمرى قيادة الجيش الثامن كما يستبدل كوريت بغيره فى وظيفة رئيس أركان حرب القيادة العامة وأن يحل جوت محل الجنرال السير هنرى ميلاند ويلسون فى قيادة القوات البريطانية فى مصر ·

تشرشل يرفض تعيين مونتجمرى لقيادة الجيش الثامن :

وقد اجتمعا مرة أخرى فى السفارة البريطانية فى القاهرة فى السادسة والربع مساء برئيس الوزراء وحضر الاجتماع الجنرال سمطس والمستر كايس الاسترالى وزير الدولة البريطانى فى الشرق الأوسط · وقد انحصر هم تشرشل فى أمر واحد هو المبادرة بالهجوم وقد عارض

هذا الرأى بشدة كل من الجنرال بروك والقواد العاميون المحليون (للجو والأسطول والجيش) وقد احتدت المناقشة وطالت حتى الساعة التاسعة مساء حيث تناولوا العشاء ثم سحب رئيس الوزراء بروك الى الحديقة لمواصلة بحث الموقف .

ولم يكن رئيس الوزراء راضيا عن الاتفاق الذى انتهى اليه بروك مع أوكنلك وكان من الواضح أن تعضيد رئيس الوزراء للجنرال جوت فى تولى قيادة الجيش الثامن تستند الى أن جوت كان هناك فى الصحراء وأنه عاصر المعارك جميعا وأنه يعرف حقائق الموقف برمته كما يعرف الأشخاص القائمين على أمر هذا الجيش وعلاوة على هذا كان قريبا من الموقف ويمكنه أن يباشر مهام المنصب فى الحال . أما تعيين مونتجمرى فقد يستغرق منه بعض الوقت قبل أن يتولى المنصب فى حين كان الشغل الشاغل لرئيس الوزراء هو أن يسارع باللحظة التى يبدأ فيها الهجوم وقد استمرت المناقشات حتى الواحدة من صباح يوم ٥ من أغسطس سنة ١٩٤٢ وعلى هذا فلم يكن أمامهما سوى ثلاث ساعات ونصف الساعة للراحة قبل بدء الرحلة المحدودة من قبل لزيارة مواقع الجيش الثامن .

وبالرغم من المتاعب التى عاناها بروك مع رئيس الوزراء فقد شعر أن يومه لم يضع سدى فقد شعر بالرضا مع قليل من الدهشة عندما اتضح له أن أوكنلك يرحب بقبول مونتجمرى قائدا للجيش الثامن أما قلقه الآن فقد كان مبعثه الشك فى أن تستقيم الأمور بينهما اذا ما عملا معا وذلك لأنه كان من عادة أوكنلك أن يتدخل فى كل صغيرة وكبيرة من كل من يعملون تحت أمرته وهو أمر لن يسمح به مونتجمرى اطلاقا ومن ثم اتجهت أفكاره الى نقل أوكنلك الى قيادة أخرى وهى الفكرة التى كانت تراود رئيس الوزراء دائما .

وقد تمت زيارة مواقع الجيش الثامن فى الخامس من أغسطس حيث خرج الجميع الى العلمين وسنحت الفرصة خلال هذه الزيارة لأن ينفرد بروك بالجنرال جوت ليستطلع رأيه الذى أبداه بصراحة تامة كما هو رائده دائما ، قائلا : انه ينبغى تغذية القيادة بدم جديد ، أى قائد جديد له أفكار جديدة وكثير من الثقة فى هذه الأفكار وكان من الواضح أن جوت أصبح منهوكا متعبا والا لما تكلم فى هذا الاتجاه .

وكان من أثر هذه الزيارة أيضا أنها عززت بما لايدع مجالا للشك صواب الرأى الذى سبق أن كونه بروك فى أمرين ، الأول منها : أن الجيش الثامن جيش شجاع ولكنه يثير الحيرة وأنه فى حاجة الى قليل من

الزمن والى شخصية قوية عنيدة حازمة قبل أن يتسنى له القيام بأى هجوم جديد • أما الأمر الثانى فهو : أن الجنرال جوت بالرغم من كل صفاته واخلاصه وتفانيه التى ألهمها جيش الصحراء فانه ليس الرجل الذى يصلح لقيادته • الا أنه أدرك كذلك أن أمامه مهمة شاقة وهى كيف يقنع رئيس الوزراء والجنرال سمطس الذى كان له أثر كبير على رئيس الوزراء باعتناق رأيه •

وفى صبيحة اليوم التالى أعد بروك عدته للتمهيد لهذا الأمر ولكنه فوجىء باتجاه رئيس الوزراء فى تقسيم القيادة عند قناة السويس الى قسمين : قيادة شرق القناة ، وقيادة أخرى غربها على أن يتولى أوكنلك القيادة الشرقية ويتولى بروك نفسه القيادة الغربية فى حين يتولى مونتجمرى قيادة الجيش الثامن وبالرغم من أنه لا يمكن اتخاذ القنال كحد فاصل بين القيادتين فان هذه الفكرة كفيلة بتحقيق معظم ما كان يعتقد بروك أنه الوضع السليم •

ومرة أخرى كانت قيادة الشرق الأوسط بالنسبة لبروك مليئة بالكثير من الاغراء الا أن رأيه كان الرفض على الفور • انه كان يدرك تماما أن مهمته الأساسية كانت غير ذلك ولو أنها كانت أشق المهام جميعا • فقد كان واجبه أن يمسك الزمام ويوجه طغيان رئيس الوزراء وطاقته التى لا حد لها الى السبيل الذى تتحقق فيه أكبر مصلحة للوطن ، وأن يستغل قوته المتفجرة دون أن يعارضها ولكنه يستطيع توجيهها الوجهة الصالحة •

وقد استعمل تشرشل كل ذكائه وسعة حيلته حتى يحمل بروك على قبول رأيه وهو رأى كان مستعدا لأن يبذل كل ما فى وسعه للحصول عليه لولا شعوره بالواجب وقد دعا المستر تشرشل الجنرال سمطس كى يساعده فى اقناع بروك بقبول المنصب ولكن هذين السياسيين المحنكين اللذين أثرت قوتهما وصفاتهما وقدرتهما الخطابية على شعوب بأسرها خلال نصف قرن لم يستطيعا الصمود أمام قوة الارادة والاخلاص للواجب اللذين يتمتع بهما هذا الجندى الشجاع •

تعيين الكسندروجوت :

وأخيرا انتهى الأمر الى اقتراح تعيين الجنرال الكسندر لقيادة الشرق الأوسط والجنرال جوت لقيادة الجيش الثامن وكان الجنرال السير هارولد الكسندر على رأس احدى الفرق تحت قيادة بروك مثله

فى ذلك مثل مونتجمرى فى أثناء الحملة البريطانية فى فرنسا فى أوائل الحرب ثم تولى بعد ذلك من نهاية سـنة ١٩٤٠ الى فبراير سنة ١٩٤٢ واحدة من أهم القيادات فى انجلترا الا وهى القيادة الجنوبية • ثم أرسل الى بورما فى الوقت الذى كان لا يمكن فيه محاولة الدفاع عنها ضـد اليابان • ثم أظهر خلال كارثة الانسحاب الى الهند الصفات التى كان قد لاحظها فيه بروك فى أزمة الانسحاب من دنكرك وتتلخص فى الثبات وصواب الحكم على الأمور وحسن الادراك ولم يكن قد مضى على عودته الى انجلترا لتولى قيادة الفرقة الأولى المعدة لغزو شمالى افريقية سـوى وقت قليل ولقد رحب بروك باختيار الكسندر ولكنه لم يستطع أن يغالب شعوره بأن وقوع الاختيار على جوت قد جانبه الصواب ولكنه على كل حال لم يكن متيقنا من هذا الشعور لدرجة تجعله يعارض هذا الاختيار •

وفى تلك الليلة أرسلت من القاهرة البرقيات اللازمة الى مجلس الوزراء البريطانى للموافقة على هذه الاجراءات وكذا بالتوصية على أن يحل مونتجمرى محل الكسـندر فى تولى قيادة الفرقة الأولى المزمع ارسالها الى شـمال افريقية تحت قيادة ايزنهاور • وعلى الفور وردت الموافقة من مجلس الحرب البريطانى والذى قبل الرأى القائل بتقسيم الشرق الأوسط الى قيادتين •

مصرع الجنرال جوت : تعيين مونتجمرى :

ثم مر يوم ٧ من أغسطس هادئا حتى الغروب وقضاه رئيس الوزراء فى زيارة فرقة الهايلاند الواحدة والخمسين التى وصلت حديثا وكان الجنرال جوت فى زيارة لبرج العرب بالطائرة وهى الطريق التى سبق للمستر تشرشل وجماعته أن سلكوها بالطائرة قبل ذلك بيومين • وقد عاد الجنرال جوت بالطائرة سالكا الطريق نفسه ثم حدثت الفاجعة • فقد تصدت لطائرته مقاتلتان ألمانيتان وأرغماها على الهبوط فى الصحراء وخرج معظم ركابها بما فيهم الجنرال جوت ولم يبق فيها الا قليل منهم لم يستطيعوا الخروج ومن ثم عاد جوت لمساعدتهم الا أن المقاتلتين الالمانيتين عاودتا الهجوم فأشعلتا النيران فى الطائرة وقضى على كل من كان فيها بما فيهم الجنرال جوت • وكانت الصدمة قاسـية للجميع الا أنها كانت تعنى أيضا بالنسبة لرئيس الوزراء وبروك العودة الى مشاكلهما السابقة وكان من رأى تشرشل ترشـيح هنرى ميلاند ويلسون لقيادة الجيش الثامن أما سمطس رئيس وزراء جنوبى افريقية فقد أيد بروك فى اختياره مونتجمرى لهذه المهمة ونجحا فى اقناع المستر تشرشل بأن يوافق أخيرا

وأجمع الثلاثة على ضرورة حضوره على الفور وبقيت أمامهم صعوبة اعلان النبأ الى ايزنهاور بعد أربع وعشرين ساعة من النبأ الذى سبق أن أبلغوه بتعيين مونتجمرى قائدا للجيش الأول .

ثم كانت هناك مهمة أخرى هى اعلان هذه الانباء الى الجنرال أوكنلك ومن ثم عهد الى الجنرال آيان جاكوب بالتوجه الى قيادة الجيش الثامن والقيام بهذه المهمة الكريهة . وقد قابل أوكنلك الضربة برصانة وأمانة الا أنه رفض العمل فى منطقة العراق وايران الحالية من النشاط وفضل اعتزال الخدمة وفى الوقت نفســـه قام رئيس الوزراء وبروك والجنرال ريتشارد مكريرى ـ الذى رشحه بروك لمنصب رئيس هيئة أركان حرب لقيادة الشرق الأوسط تحت الكسندر بدلا من الجنرال كوريت ـ بزيارة الآلايات المصفحة الثامن والتاسع والرابع والعشرين . وكانت هذه الآلايات ستحصل فى القريب العاجل على دبابات شيرمان الجديدة وهى الدبابات التى أدت دورا هاما فى انتصار العلمين وكانت هذه الدبابات مرســلة أصلا الى الفرقة الأولى الأمريكية وعندما وصلت أنباء سقوط طبرق فى أثناء اجتماع المستر تشرشل بالرئيس روزفلت والجنرال مارشال الامريكى فى واشنجتون تمكن من الحصول على موافقتهما بارسال ثلثمائة دبابة منها الى الجيش الثامن ، وكانت السفن التى تحملها فى طريقها فى ذلك الوقت الى السويس .

وصول الكسندر ومونتجمرى :

وفى اليوم التالى الموافق ٩ من أغسطس سنة ١٩٤٢ ، ولسوء حظ بروك وصل الجنرال الكسندر فى أثناء تناول الأول افطاره مع المستر تشرشل . فقد كانت رغبة بروك أن ينفرد أولا بالجنرال الكسندر قبل أن يستطيع رئيس الوزراء التأثير عليه فيما يختص بكيفية ادارة المعارك المستقبلة . والحملة الزاحفة ، ولكن الجنرال بروك استطاع أن يختلس بضع دقائق مع الجنرال السكندر ، ومن ثم انقضى اليوم فى اجتماعات شاملة غادر مصر بعدها رئيس الوزراء ومن معه فى منتصف ليلة العاشر من أغسطس سنة ١٩٤٢ الى طهران . وأصــدر تشرشل قبل رحيله الى الجنرال الكسندر تعليماته النهائية وتشمل : ـ

١ ـ ان المهمة الأساسية الأولى للجنرال الكسندر أن يبادر الى أسر أو تدمير الجيش الايطالى الالمانى بقيادة الفيلد مارشـــال أروين روملى وكذا مئونته وخطوط تموينه ومنشآته فى مصر وليبيا .

٢ — أن يتخلص وأن يعمل على التخلص من كل مهمة أخرى تدخل في اختصاص قيادته يكون من شأنها تعطيل تنفيذ المهمة المنصوص عليها في الفقرة السابقة — وهي المهمة التي تعتبر ذات أهمية قصوى لمصلحة صاحب الجلالة ٠

وفي هذه الليلة نفسها غادر الجنرال مونتجمري انجلترا قادما الى الشرق الأوسط فرحا بتعيينه في المنصب الجديد كقائد للجيش الثامن وبذا يكون على اتصال مباشر بالعدو ومن ناحية أخرى فسوف يكون تابعا للجنرال الكسندر الذي يعرفه ويحبه ٠ ولم يكن لديه وقت ليذهب الى المدرسة ليودع ولده ولكنه استطاع أن يجد من يرعاه في غيابه ٠

ولم يكن مونتجمري ليتسلم القيادة من أوكنلك قبل الخامس عشر من أغسطس كما أنه لم يكن قد أعلن بعد عن سبب مجيئه الى القاهرة ٠ وكان على مونتجمري أن يقدم نفسه الى أوكنلك حال وصوله في اليوم الثاني عشر من أغسطس وأن يتلقى أوامره ٠

والواقع أن هـــذا الموقف كان فريدا في نوعه فقد كان أوكنلك يعلق أهمية كبيرة على الاحتفاظ بالجيش الثامن الذي أصبح ما زال قائدا له بالاسم وينوب عنه رامسون وكان على مونتجمري أن يتوجه الى الصحراء ولكن ليس ليتولى مهـــام القيادة ٠ بل للزيارة — أمـا تولى المنصب فلن يتم قبل الخامس عشر من الشهر نفســه عندما يسلمها أوكنلك نفسه الى الكسندر ٠ فاذا مـا تطور الموقف قبل ذلك التاريخ فالواجب عندئذ أن يعود أوكنلك لتولى مهام القيادة في الميدان ٠

مونتجمري يباشر مهمته :

هذه الأوضـــاع لم تعجب مونتجمري ومن ثم توجه مباشرة الى الجنرال الكســندر وقدم اليه اقتراحه بتكوين جيش احتياطي متحرك يشبه فيلق رومل الافريقي ٠

وعندما وافق الكسندر على الاقتراح توجه مونتجمري الى الجنرال جون هارونج أحد نواب رئيس أركان حرب القيادة العامة وهو الوحيـد من هيئة أركان الحرب الذي تقرر بقاؤه ٠ وقد وعد هارونج بأنه يستطيع تكوين هذا الفيلق الاحتياطي من الفرقة النيوزيلاندية والفرقة الأولى وكذا احدى الفرقتين المصفحتين الثامنة والعاشرة وسوف يطلق عليه الفيلق العاشر ويباشر عمله خلفا للفرقة الثلاثين التي سبق تكوينها لمثل هــذا الغرض ٠

بدء العلاقة بين مونتجمرى وجينجاند :

ومن ثم غادر مونتجمرى القاهرة فى الخامسة من صباح يوم ١٣ من أغسطس سنة ١٩٤٢ بالسيارة الى الصحراء ـ وعند التقاء الطريق الصحراوى بالطريق الساحلى الموصل الى الاسكندرية تقابل مع الجنرال فريدى دى جينجاند الذى كان يشغل منصب لواء أركان حرب الجيش الثامن ونظرا لأنه كان صديقا قديما لمونتجمرى فقد حمله الأخير على أن يصرح له بوجهات نظره عن الحالة التعسة التى وصل اليها الجيش الثامن مما جعل مونتجمرى يقرر أن يتخذه رئيسا لأركان حربه وعندما وصلا الى مركز قيادة الجيش الثامن وجدا الجنرال رامسون هناك وقد أخذ مونتجمرى يمطره بأسئلة لا نهاية لها عن الخطط الموضوعة . وبعد ما حصل مونتجمرى على كل ما يريد معرفته ، قال : انه لا يمكنه أن يقضى اليومين الباقيين دون عمل وفىهذه الظروف ومن ثم أبلغ رامسون بالعودة الى مركزه وعزم على أن يباشر مهام منصبه فى الحال بالرغم من أوامر الجنرال أوكنلك ولم يسع رامسون الا السكوت وقد انتابته الدهشة .

وفى خلال وجبة خفيفة من الغذاء اتخذ مونتجمرى قرارا باصدار أوامر صريحة تلغى كل أمر سابق لقوات الوحدات بالانسحاب ثم أرسل اشارة فى الثانية بعد الظهر الى مركز القيادة العامة يبلغها بكل ما اتخذه وأصدره من قرارات . ثم غادر قيادة الجيش الثامن لزيارة الفرقة الثالثة عشرة التى كانت تحت القيادة المؤقتة للجنرال فرايبورج الذى كان قد شفى من جراحه بعد مصرع الجنرال جوت . وقد وجد مونتجمرى منه أذنا صاغية للفكرة التى كان قد كونها عن الموقف . ثم عاد الى مركز قيادة الجيش الثامن فى السادسة والنصف حيث أوضح خطته لأعضاء هيئة أركان الحرب الذين تجمعوا لهذا الغرض وتتلخص فى عدم الانسحاب وأن على الجيش أن يحافظ على خطوطه الحالية وأن يرسل وسائل مواصلاته الى المؤخرة فى حين يضع مؤنه فى المقدمة ولتحقيق ذلك كان ينبغى جلب قوات أخرى من دلتا النيل وان مصر ينبغى الدفاع عنها من العلمين وليس من خلف خط العلمين وأن فيلقا احتياطيا مصفحا فى طريق التكوين ، وأنه ينبغى على الفرق أن تحارب كفرق كاملة وليس كوحدات متفرقة وأخيرا فانه ينبغى أن تكون مركز قيادة الجيش مريحة وعلى هذا يجب نقلها الى القرب من البحر حيث تكون أكثر قربا من القيادة الجوية . لقد صدرت اليه الأوامر بتحطيم رومل وجيشه فاذا هاجم رومل فى وقت قريب فان الموقف سيكون محفوفا بالمخاطر . أما اذا تأخر هجومه

أسبوعا فسوف يكون الجيش الثامن على استعداد ، واذا تأخر أسبوعين فسوف يمكن القضاء عليه ، ومهما يكن من أمر فان مونتجمرى نفسه لن يهاجم قبل أن يكون على أتم استعداد . ثم أن رئيس أركان حربه هو الجنرال جينجاند وينبغى أن تكون له السلطة التامة على مركز القيادة وفروعها ، وأى أوامر تصدر منه يجب النظر اليها ، على أنها صادرة عن مونتجمرى شخصيا ، وينبغى تنفيذها على الفور .

مراكز القوات الألمانية الايطالية :

وقد خصص اليوم التالى لبحث الاجراءات التى ينبغى اتخاذها اذا ما شرع رومل فى الهجوم فى المستقبل القريب كما يتوقع الجميع .

ولقد شرح لهم مونتجمرى موقف العدو كما تخيله منهمكا فى الحفر وبث الألغام ففى القطاع الشمالى كان هناك الجنرال نافارينى على رأس الفرقة الحادية والعشرين الايطالية وعلى الخط الأمامى من الساحل الى دير الشين كانت ترابط الفرقة الرابعة الألمانية وقد انضمت لها فرقة ترنتو الايطالية . ثم تقف الفرقة الايطالية بولونيا على الخط المتجه من دير الشين الى ما قبيل قرية العبد ببضعة أميال . أما القطاع الجنوبى فقد وكل أمره الى الجنرال أوزرى قائد الفرقة الايطالية العاشرة . والى الشمال من جبل الكلخ كانت ترابط فرقة بريشيا الايطالية تعززها فصائل ألمانية من لواء الباراشوت الخاص رقم ٢٨٨ تحت امرة الكولونيل رامكه الألمانى . والى جنوب هذا الموقع فى المنطقة بين هضبة الطاقة ونقب أبو رويس كانت تعسكر فرقة فوجلورى الايطالية للمظلات . أما القوات الاحتياطية خلف هذه القوات فقد تكونت من الفرقتين المتحركتين والفرقة العشرين الايطالية بقيادة الماجور جنرال استيفانى وفرقة أريتيت المصفحة خلف فرقة بريشيا فى الشمال الغربى من فرقة العبد وفرقة ليتوريو خلف فرقة فوجلورى الى الغرب من جبل الكلخ وفرقة تريستا الميكانيكية على بعد بضعة أميال الى الشمال الغربى أما الفرق الالمانية فقد رابطت فرقة البانزر فى الشمال على بعد ستة أميال الى الشمال الغربى من دير الشين فى حين كانت فرقة البانزر الخامسة عشرة فى الوسط على البعد نفسه شمالى قرية العبد فى حين شرعت الفرقة التسعون الخفيفة فى الانسحاب من الخط الأمامى وأخذت تتجمع بين فرقتى آريتيت وليتوريو الى الغرب من قرية العبد .

وقد أجمعت الدلائل على أن رومل يعد قواته المتحركة للقيام بالهجوم

من جديد وساد الاعتقاد أنه سوف يوجه ضربته فى الوقت الذى يكتمل فيه القمر أى حوالى السادس والعشرين من أغسطس سنة ١٩٤٢ ونظرا لأنه كان منهمكا فى بث الألغام فى القطاع الشمالى شأنه فى ذلك شأن الجيش الثامن البريطانى فقد ساد الاعتقاد كذلك أنه سيحاول القيام بحركة التفاف جريئة ـ كما هى عادته ـ حول الجناح الجنوبى للجيش الثامن متجها الى الساحل ٠

خطة رومل للدفاع :

ولقد وجد مونتجمرى أن الخطة الموضوعة من قبل لمواجهة هذا التهديد هى أن تقاوم الفرقة الثلاثون فى الشمال هذا التهديد وتحتفظ بمراكزها بقوة خلفا للفرقة التاسعة الاسترالية وأن تقوم كل من الفرقتين التاسعة الاسترالية والاولى التابعة لجنوبى افريقية بالدفاع عن المنطقة الممتدة من تل العيسى جنوبا الى مرتفع العلمين ثم جنوب ذلك حتى جرف الرويسات كما تقضى الخطة بتكوين الاحتياطى خلف هذه القوات من الآلاى الثالث والعشرين المدرع تعززه دبابات فالنتين ٠ ومن الفرقة النيوزيلندية التى تعمل تحت امرة الفرقة الثالثة عشرة جنوبى جرف الرويسات ومن الآلاى الحادى والعشرين الهندى فى علم الحلفا خلفا للآلاى الهندى الرابع الذى كان قد سحب الى القاهرة لاعادة تنظيمه وعلى هذا فقد كان هناك فراغ كبير فى النقل العريان بين الآلايات المتقدمة من فرقة نيوزيلندا وبين الآلاى الهندى فى علم الحلفا ٠

كما انضمت الفرقة المدرعة السابعة الى الفرقة الثالثة عشرة ولها فى علم الحلفا الآلاى الثانى والعشرين المصفح فى حين كان على آلاى السيارات السابع القيام بدوريات فى حقول الألغام بين النيوزيلنديين على التل العارى وبين الحميمات ٠ أما الآلاى الرابع المدرع الذى كان يملك أورطة السيارات حول الحميمات فقد كانت سياراته المصفحة تباشر العمل فى غرب حقول الألغام نهارا كما تعمل أيضا جنوب الحميمات ٠

وكانت قوات الدومنيون بصفة عامة ذات نظام طيب الا أن الفرقة الخامسة الهندية والفرقة السابعة المصفحة كانتا فى حاجة الى تكتل وحداتهما ٠ أما مئونة الجيش وعتاده فلم تكن فى حالة سيئة وتشمل ستمائة دبابة أربعمائة منها كانت فعلا مع الوحدات وجاهزة للقتال ، كما كان لدى كل فرقة ٢٠ مدفع ميدان الأانه كانت هناك فرقتان متوسطتا الحجم لم يتجاوز كل ماجهزتا به ٢٦ مدفعا ٠ وكان النقص خطيرا

فى المدافع المضادة للدبابات وخاصة الجديد منها عيار ٦ أرطال وفى خلال ذلك الشهر حصل كثير من آلايات المشـــــاة على مدافع عيار رطلين كما حصلت المدفعية المضادة للدبابات على مدافع عيار ٦ أرطال ٠

ثم تبين لمونتجمرى أن بعض المحن التى مر بهـا الجيش الثامن فى الحرب الدفاعية فى الصحراء قد طغت على تفكير أوكنلك وأركان حربه من ذلك : ــ

أولا : أنه لم تكن هناك فائدة ترجى فى وضع كثير من قوات المشاة فى المراكز الدفاعيـــة ان لم تكن مجهزة بعـــدد كاف من المـــدافع المضـــادة للدبابات ومدافع الميدان تساعدتهما فى اقامة دفاع قوى ٠

ثانيا : ان المراكز الثابتة للدفاع بمفردها لا تجدى ما لم تصاحبها قوات متحركة تستطيع أن تركز النيران لأقصى حد ممكن حيثمـــا يتجمع العدو للهجوم وعلى هذا فقد كان الواجب يدعو الى ايجاد توازن فى توزيع القوى وبخاصة المدفعية الموكول اليها حماية المراكز الدفاعية أو المدفعية المخصصة للحركة ٠

ثالثا : أنه كان ينبغى على الوحدات المختلفة ومراكز القيادة اللازمة للخطوط الخلفيـــة للمعركة ألا تنسحب اطلاقا أمام قوات روميل اذا تقدمت الى هذه المنطقة ولـــكن يجب أن تظل محتفظة بمراكزها أطول وقت ممكن حتى تستطيع القوات البريطانية المتحركة تصفية القوات المهاجمة ٠

وتحقيقا لهذا الغرض يجب على هـــذه القوات أن تتجمع وتنظم فى مراكز اقليميــــــة للدفاع الذاتى ٠ وأخيرا فانه اذا قدر للعدو أن ينجح فى اختراق الخطوط البريطانية الخلفية فيجب اتخاذ الاجراءات الكفيلة لحماية أو اجلاء القوات غير المتحركة الكبيرة العدد والتى غالبا ما تكون غير قادرة على مباشرة دفاع قوى عن نفسها ٠

وقد دعت هذه الاعتبـــارات جميعا أوكنلك الى اصـــــدار أوامره بأن تتكون المراكز الدفاعية من جيوب أو ما اصطلح على تسميتها ــصناديقــ تتسع كل منها لـــكتيبتين من المشاة وبطارية من مدافع الميـــدان والمدافع المضادة للدبابات والمدافع الخفيفة المضادة للطائرات على تنظيم بقية القوات التابعة لكل فرقة خارج هذه المراكز أو الصناديق « فى مجموعات متحركة تستطيع الحركة والتجمع لصد العدو » ٠ أما فى المناطق الخلفية لهذه المراكز ومنطقة القيادة والفيالق كان ينبغى الاحتفاظ بعشرة من هذه «الصناديق» ينظم فيهـــا كل الوحدات الأخرى للـــدفاع ٠ وخلف هـــذه المراكز كذلك

أنشئت مراكز الاحتياطى بالقرب من الأميرية ووادى النطرون لتغطية منطقة المطارات فى الخط الأمامى ٠

وعلاوة على ذلك فقد تضمنت الخطة انشاءات دفاعية أخرى والقيام بفتح جسور النيل لاغراق الدلتا وكذا القيام بدوريات عبر الصحراء بين القاهرة وسيوه الا أن هذه الدوريات لم تكن تابعة لقيادة الجيش الثامن ٠

فاذا ما شرع رومل فى الهجوم على القطاع الجنوبى كما كان متوقعا وحاول الالتفاف حول مواقع الفيلق الثلاثين تقضى الخطة الموضوعة بأن تترك الفرقة الثالثة عشرة الجناح الأيسر للخط ـ من التل العريان حتى علم الحلفا وهى الوضع الذى تم فى مايو سنة ١٩٤٢ ولكن على مسرح آخر جرت حوادثه بين بير حكيم وبير الجوبى الا أن الصعوبة التى كانت قائمة وهى عدم كفاية القوات للقيام بهذا العمل دون حبس القوات المتحركة الفعالة الموجودة على مسرح الحوادث ٠ وهى الفرقة السابعة المدرعة عن الحركة وملء الثغرة بين المراكز المنعدمة لفرقة نيوزيلندا على التل العريان وآلاى المشاة الهندى الحادى والعشرين عند علم الحلفا ـ هذه الصعوبة ظلت دون حل ، والدليل على ذلك أن الجنرال رنتون الذى يحتفظ بذكريات مريرة منذ ٢٧ من مايو سنة ١٩٤٢ عن صعوبة وصول آلاى السيارات والآلاى المدرع الى مراكزهما فى الوقت المناسب ويمكن سحبهما شرقا الى موقع جنوبى علم الحلفا حتى يستطيعا ضرب جناح رومل اذا حاول الاتجاه شمالا ٠

ولم تعجب مونتجمرى بعد تفاصيل هذه الخطة وأول ما كان موضع اعتراض مونتجمرى الفكرة القائلة بأن قوات رومل تستطيع اختراق الخطوط الأمامية وتصل الى ماوراء المواقع الدفاعية المتقدمة ٠ ثم أن موقع الرويسات بدا له وكأنه لم يستفد منه الاستفادة الممكنة وعلى هذا تقضى الحكمة بالاحتفاظ بهذا الموقع مهما كان الأمر وعندما بحث موقف الفيلق الثالث عشر فى القطاع الجنوبى أدرك فى الحال بثاقب نظره أن هناك أمرين قد غابا عن واضعى هذه الخطة ، الأول : هو أهمية منطقة علم الحلفا ، والثانى : يتلخص فى أنه اذا أمكن تعزيز القوات الميسورة له هناك تعزيزا بسيطا يستطيع الاحتفاظ بالجناح الذى قدر له الانسحاب من التل العريان هناك وفى الوقت نفسه الاحتفاظ بقوات متحركة تكفى لضرب جناح رومل ضربة قاضية وللاقاته اذا جازف بالتوسع فى الهجوم ٠ ان هذه القوات متوافرة فعلا فى دلتا النيل سواء القوات التى وصلت اليها حديثا أو القوات التى أعيدت اليها لاعادة تنظيمها ولم يجد

هنـــاك ما يدعو اطلاقا للتعرض الى مخاطر جسيمة فى ميدان المعركة الرئيسى فى حين تتوافر هـــذه القوات فى منطقة قريبة من الميدان ، وهى دلتـا النيل دون عمل تقريبـــا ، فاذا ما انضمت هـــذه القوات الى الجبهـــة فليس هنـــاك ما يدعو الى اتبـــاع الخطة العتيقة المعروفة « بخطة الصناديق » ومعاناة كل هذا القلق عن منــاطق الخطوط الخلفية · وبغض النظر عن كون هذه الخطة بعيدة عن المألوف فانها تبدو غير منظمة وغير مجدية ·

تقوية الخطوط الامامية :

وكما سبق بيانه فقد كانت تقوية الخطوط الامامية هى أهم ما كان يشغل بال مونتجمرى مع الغاء كل الاجراءات التى تلقى أى ظل من الشك على قدرة القوات المرابطة فى الاحتفاظ بها حتى النهاية · ومن ثم أخذ على عاتقه مهمة ملء الثغرات فى القطاع الجنوبى للفيلق الثالث عشر وفى تلك الليلة نفسها أصدر أوامره الى دى جوينجاند بالاتصال تليفونيا بالقيادة العامة وطلب سرعة ارسال الفرقة الرابعة والاربعين فى الحال فى حين انه بحسب الخطة السابقة كان مقدرا لهذه الفرقة أن تنقل الى الجبهة فى آخر أغسطس وقد ردت القيادة قائلة انها سوف تحاول ارسال جزء من الفرقة فى خلال بضعة أيام ، ولكنها لن يكتمل عددها وعتادها فى الجبهة قبل الموعد السابق تحديده لها · وعندما أبلغ جوينجاند مونتجمرى هذه الأنباء أمسك الأخير سماعة التليفون واتصل بالجنرال هارونج الذى عرض بدوره مونتجمرى على كوريت فرفعه هذا الأخير الى أوكنلك وأخيرا الى الجنرال الكســـندر ومن ثم وافق الجميع على بذل كل جهد ممكن لتحقيق رغبة مونتجمرى ، وهكذا وصلت الفرقة فى السادس عشر من أغسطس ما عدا آلايا واحدا وصل بعد ذلك بيوم واحد وفى الحال قام مونتجمرى بتوزيعها على المراكز فوضــــع الآلاى الثانى والثلاثين بعد المائة من تلك الفرقة تحت أمرة الفرقة النيوزيلندية وبذا تم تحصـــين مراكزهـــا الأمامية عنـــد التل العريان · أما بقية قوات الفرقة فقد حلت محل الآلاى الهندى الحادى والعشرين عند علم الحلفا وأخذت على الفور فى العمل على تقوية وتوسيع مواقعهـــا وفى الوقت نفسه وصـــل الجنرال هوروكس لتولى قيـادة الفرقة ١٣ فى القطاع الجنوبى وهـــو قائد متحمس شـــجاع يثق فيه مونتجمرى وخدم معه قبل ذلك فى أماكن متعددة ·

وفى خلال الأيام العشرة التالية على ذلك استطاع الجيش الثامن أن يستقبل المزيد من العتاد والمدفعيـــة والدبابات فوصلت الفرقة العـــاشرة المدرعة ومعها الآلاى الثامن المدرع وفى الوقت نفســـه اتخذت الاجراءات

المعمل على تضليل العدو . وكان أهم ما يرمى اليه مونتجمرى هو أن يدعو العدو الى ارجاء هجومه كليـة وذلك بالعمل على جعـله يظن بوجود قوات هائلة فى القطاع الجنوبى وتحقيقا لهذا الغرض فقـد وضعت كتيبتان من الدبابات الخشبية للتضليل فى المنطقة الواقعة شرق الحميمات . ثم أنشىء موقع وهمى لآلاى من المشاة عند سمكة جاب الله . كما بثت الألغام الوهمية كذلك وقد تمت جميع هذه العمليات فى الخامس والعشرين من أغسطس سنة ١٩٤٢ فاذا قدر لروميل بالرغم من كل هذه الاحتياطات أن يخترق المواقع البريطانية فهناك ترتيب آخر ، فقد تركت احدى الخرائط المزيفة له عمدا فى الطريق بحيث تبدو كما لو كانت قد فقدت من احدى الدوريات فى المنطقة الأمامية وعلاوة على ذلك فقد ظهرت فى هذه الخريطة المنطقة الرملية الرخوة جنوبى علم الحلفا كما لو كانت أرضا صلبة تتحمل مرور المصفحات والدبابات فى حين ظهرت بعض المناطق صلبة الأديم كما لو كانت مناطق رخوة لا تتحمل الحركة عليها .

وعندما اكتمل القمر كان الجيش الثامن على أتم أهبة لملاقاة روميل وأصدر مونتجمرى أوامر حاسمة بعدم التراجع على الاطلاق ، وعرف كل قائد المهمات الموكولة اليه وهى ضرب المهاجم دون هوادة وعدم التزحزح عن المواقع التى ترابط فيها قواته .

وكانت قيادة الجيش الثامن قد انتقلت فى السادس عشر من أغسطس الى موقع لطيف على ساحل البحر بالقرب من برج العرب ومن مركز قيادة القوة الصحراوية الجوية بقيـادة مارشـال الجو كونجهام . وقد انضما معا فى وضع الخطط لملاقاة روميل اذا ما هاجم وعندئذ سـوف تتعرض تجمعاته للهجوم ليلا من السلاح الجوى الملكى البريطانى ، وكذلك طائرات الاسطول التى سوف تسقط الصواريخ المضيئة لكشف وتحديد الأهداف كما اتخذ الترتيب اللازم كى تشترك كل طائرة فى الهجوم نهارا وكان على طائرات بوسطون وهى قاذفات حقيقية أن تضرب المطار الالمانى فى الدابة ومركز قيادة روميل الذى كان يعتقد أنه فى المنطقة المجاورة .

ثم كان السادس والعشرون من شـهر أغسطس وهـو اليوم الذى اكتمل فيه القمر ولكن روميل لم يشرع فى الهجوم فى حين كان كل فرد فى قوات الصحراء البريطانية على أهبة الاستعداد لملاقاته . ثم توالت الأيام بعد ذلك حتى أخذ القمر فى التحول الى هلال الا أن الهجوم المتوقع لم يتم .



الفصل الثالث

ضربة المقامر الأخيرة

بمجرد سقوط طبرق فى يد رومل – آلان برتبة فيلد مارشال – اقترح أن يطرح جانبا الخطة القاضية بتوقف زحفه الى الحدود المصرية وأنه فى استطاعته بما حصل عليه من مئونة وعتاد – وقعا فى يديه بسقوط طبرق – أن يواصل زحفه الى الاسكندرية مستغلا الارتباك والهزيمة اللذين ألحقهما بالبريطانيين الى أقصى حد ومن ثم يواصل زحفه حتى القاهرة بسرعة هائلة لن تمكن البريطانيين من التغلب على الصدمة الناجمة من هجومه الخاطف أو تنظيم مقاومة لتعويقه ٠

الا أن رومل بوصفه قائدا لجيش البانزر الالمانى الايطالى لابد أن يتلقى أوامره من القيادة الايطالية العليا التى يرأسها المارشال كافالليرو الايطالى والتى الحق بها الجنرال فون رينتلين الالمانى بوصفه ممثلا للقيادة الالمانية العليا ٠ وكان يعمل فى ايطاليا كذلك الفيلد مارشال كيسلرنج قائد القوات الجوية الالمانية فى البحر الابيض المتوسط والذى كان رومل يتبعه من الوجهه الرسمية فى سلسلة القيادة الالمانية البحتة . وفى مجال الواقع كان رومل يتلقى أوامره من القيادة الالمانية العليا مباشرة ، وغالبا ما خالفت هذه الاوامر ما كانت تصدره القيادة الايطالية العليا وبالرغم من انه كان دائم الشكوى منهذا التناقض فانه فى الواقع كان يستغله لفائدته الخاصة .

وكان رومل قد اقترح قبل انتصاره الباهر فى الغزالة فى نهاية شهر مايو سنة ١٩٤٢ أنه من الضرورى القضاء أولا على مالطة ، ومن ثم وضعت خطة أطلق عليها « هرقل » لهذا الغرض ولكن كان ظاهرا أن هذه الخطة لن توضع موضع التنفيذ فى الوقت المحدود مع أنه أعد لتنفيذها منذ شهر فبراير . ثم الاتفاق أخيرا على تنفيذها بمجرد أن يشرع رومل فى الهجوم لاستعادة طبرق وسوف تحول القوات الجوية اللازمة للتوجيه والقضاء على مالطة ٠

غير أن كلا من الايطاليين والمارشال كيسلرنج عارض فى طلب رومل السماح له بالزحف الخاطف حتى مجرى النيل ذلك أن مواردهما لن تستطيع أن تسند قواته لمسافة أبعد من ثلثمائه ميل فيما وراء طبرق وسبعمائه ميل من بنى غازى – فضلا على الاستعدادات اللازمة لسحق مالطة . فاذا لم يمكن القضاء على مالطة فسوف يكون فى وصول قوات

روميل الى مصر كارثة عليه كما أن هذا الاعتقاد نفسه كان لدى الكولونيل سيجفريد دستفال رئيس أركان حرب عمليات روميل . الا أن الفيلد مارشال روميل رأى فى اتباع هذه السياسة الحكيمة دليل جبن وتردد فقد سنحت له فرصة نادرة للاستيلاء على مفتاح الشرق الاوسط كله ـ مصر ـ لتكون حلقة اتصال مع الجيش الالمانى الزاحف فى القوقاز شمالا أما ادعاء الحذر وتصوير مصاعب وعقبات فى سبيل مساندة السلاح الجوى الالمانى وامداده فينبغى له اهمالها لان فكرة هذه المصاعب والعقبات نفسها سبق أن اعتنقتها القيادة فى المناسبتين السابقتين عندما شرع فى الزحف من الأخيلة وسوف يصل الى دلتا النيل قبل أن تستطيع القوات البريطانيا تنظيم نفسها وسوف تقع كل الموارد البريطانية والعتاد فى قاعدة الجيش الثامن الجوية فى يده وعلاوة على ذلك فلن يكون الاسطول البريطانى ولا الاسطول الجوى البريطانى قادرين على مباشرة عملياتهما فى شرق البحر المتوسط بعد ذلك وسوف تختفى الصعاب القائمة فى سبيل تموينه من ايطاليا بالقضاء على هاتين القوتين ـ أو تعطيلهما .

وحصل روميل على تأييد هتلر الذى لم يكن يؤمن أبدا بضرورة القضاء على مالطة أولا والذى وقف بشدة فى وجه معارضة القيادة الايطالية العليا عندئذ أسرع روميل فى هجومه تجاه النيل تاركا الحذر جانبا .

وكما سبق بيانه ـ فقد فشل فى هجومه السريع الاول فتوقف عند العلمين ولم يحقق كل ما كان يصبو اليه ، ذلك أن المعارك الكبيرة المتتالية التى خاضها بسرعة خاطفة استنفدت ما لديه من مؤن وذخيرة كانت لديه أو استولى عليها عند سقوط طبرق وعندما توقف الجانبان المتحاربان فى نهاية شهر يوليو سنة ١٩٤٢ كان روميل فى موقف لايحسد عليه . أن قدرة طبرق باعتبارها ميناء تستطيع تفريغ حمولة ٦٠٠ طن على الاكثر يوميا من العتاد أو الذخيرة أو المئونة وهذه كميات لا تساوى جناح بعوضة مما يحتاج اليه وكانت فى كل الاوقات عرضة للهجوم الجوى البريطانى ولذا تطلب الامر استعمال بنغازى وطرابلس أيضا ولم تكن هناك وسيلة يمكن بها استخدام الخط الحديدى بين طبرق وخطوط روميل الامامية بالرغم من المحاولات التى بذلت فى هذا السبيل وعلى هذا كانت وسيلة النقل هى سيارات اللورى الا أن هذه الوسيلة كانت تستغرق اثنى عشر يوما ذهابا وايابا بين طرابلس وخطوط روميل الامامية وسبعة أيام من بنى غازى وتلك الخطوط وعلى هذا كانت تنقص روميل وسائل النقل

ونظرا لان معظم ما كان لديه من عتاد كان من المستولى عليه وعندما نفدت قطع الغيار والذخيرة الخاصة بهذا العتاد اصبحت الاسلحة لا قيمة لها . ومما زاد الامر سوءا ـ أن التعزيزات التى وصلته وهى فرقة المظلات ١٦٤ الالمانية التى كانت تعمل فى كريت وفرقة الكولونيل رامكة الخاصة رقم ٢٨٨ وفرقة المظلات الايطالية فولجورى قد وصلت جميعا عن طريق الجو ولم تأت معها بعربات أو عتاد .

متاعب رومل :

ولقد سببت مشكلة نقص العربات والمئونة متاعب كبيرة الا أنه اخذ الآن ينحو باللائمة على هؤلاء الذين سبق لهم التكهن بهذه الصعوبات لانهم لم يبذلوا جهودا ولو كانت فوق طاقة البشر لكى يوصلوا اليه العربات والعتاد والمؤن التى كان يعلم تماما بتوافرها فى المانيا وايطاليا ولكن نظرا لاشتداد الهجوم الجوى والبحرى البريطانى من مالطة ومن مصر فقد أصبحت حركة النقل فى البحر الابيض المتوسط فى منتهى الصعوبة وأطول من أى وقت مضى كما أن تفريغ حمولة السفن ان تسنى لها الوصول فى موانى برقة التى دمرتها القوات البريطانية أصبحت تكلف كثيرا وعملية محفوفة بالمخاطر وبهذا لم يكن فى الاستطاعة تفريغ ما يزيد عن ٦٠٠٠ طن وهى تمثل خمس الحصة الموضوعة فى خطط التموين للفياق الافريقى . أما فى الاسابيع الثلاثة الاولى من أغسطس وبالرغم من أنه لم تنشب عمليات حربية ذات أهمية فقد استهلك جيش البانزر الافريقى ضعف كمية التموينات التى وصلته خلال تلك المدة عن طريق البحر الابيض المتوسط ، ومما زاد العلاقات سوءا بين رومل والايطاليين أن القيادة الايطالية العليا أرسلت الى ليبيا فرقة بتسويا ومعها ما يتردد بين ثلثمائة وأربعمائة عربة . وكانت الخطة تقضى بعدم استعمال هذه الفرقة فى الاراضى المصرية أى فى ميدان القتال هذا فى الوقت الذى كانت فيه الفرقة الألمانية المائة الرابعة والستون التى تعمل على خط النار فى المقدمة ليس بها سوى ستين عربة ولم تغادر ايطاليا عربة واحدة للقوات الألمانية فى افريقية .

وقد دعت هذه الحالة رومل أن يبلغ كيسلر فى شكواه وامتعاضه فأشار الى النسبة بين عدد الالمان والايطاليين فى شمالى افريقية وكانت ٨٢٠٠٠ ألمانى الى ٤٢٠٠٠ ايطالى أى بمعدل اثنين من الألمان لكل ايطالى وبالرغم من ذلك فقد حصلت القوات الالمانية على أقل من ثلث احتياجاتها من المئونة (٨٢٠٠ طن) فى حين حصل الايطاليون على ثلاثة أضعاف هذه

الكمية وحتى قوة الالمان الجوية حصلت على أقل مما حصـــل عليه الجيش الالمانى مما جعلها غير قادرة على مباشرة القيام بمهمتها .

تأخير الهجوم الالمانى :

والآن وقد مر وقت طويل على هذه الامور فانه من الصعوبة بمكان تبين الصدق فى شكوى رومل الا أن ما أكدته المخابرات البريطانية وأثبتته الوثائق فيما بعد أنه أرسلت من ايطاليا خلال شهر أغسطس السفن التالية قاصدة شمالى افريقية : ٣٠ سفينة شحن و ١٤ صندلا و ٦ غواصات ــ أغرقت الغواصات البريطانية منها آربع ســـفن والقوات الجوية البريطانية ثلاث سفن فى الطريق ، وأن ما وصل طبرق سالما ١٤ سفينة وثلاثة عشر صندلا وغواصتان وماوصل بنغازى سبع ســـفن وغواصتان أرسلت واحدة منهما الى طرابلس ثم غواصـــة واحدة الى أدرنة . وقد أغرقت القوات البريطانية ١٦٦٠ طنا من الذخيرة المشحونة فى ايطاليا والتى كانت أصـــلا ٣٧٢٠ طنا كما أغرقت ٢٧٠٠ طن من الزيت من جملة المشحون منه البالغ قدره ١٥٥٠٠ طن ثم أغرقت كذلك الشحنات الآتية : ٢١٢٠ طنا من الامدادات العامة من جملتها البالغة ٦٣٧٠ طنا و ٤٣ مدفعا من ٢٢٠ و ٣٦٧ عربة من ١١٤٧ ــ أما الدبابات المرسلة والبالغ عددها ٣٩ دبابة . فقد وصلت سالمة وقد كانت النسبة فى خسـائر البترول أقل بكثير من غيره من الامدادات ــ ومع ذلك فقد كان معدل استهلاك جيش البانزر الافريقى منه مرتفعا بدرجة أنه كان المصدر الرئيسى لشدة القلق والمتاعب .

وعلاوة على هذه المتاعب فقد ظهر مصدر جديد للقلق هو المرض . فلم تكن صحة أفراد القوات فى الفيلق الالمانى الافريقى من الامور التى تحظى بكبير عناية . وترتيبا على ذلك فقد ظلت نسبة كبيرة من الجنود فى عمليات مستمرة لسنتين ونصف السنة متواصلة فأخذت تظهر عليهم آثار الانهاك الناجم عن السرعة الخاطفة التى كان يمارس بهـــا رومل عملياته بما فى ذلك رومل نفسه ومن ثم ارتفعت نسبة الامراض بينهم ثم بدا الانهاك شاملا عليهم جميعا بمجرد أن خمدت جذوة الانتصار . فقد تعرض رومل ذاته عدة مرات للاغماء وصارحه طبيبه الخاص البروفسور دكتور هور ستر بأنه مصاب بالتهاب مزمن فى المعدة والأمعاء والتهابات أنفية واضطراب شديد فى الدورة الدموية كما أن الجنرال جوسى رئيس أركان حرب رومل كان يعانى كثيرا من الصداع فى حين أصيب الكولونيل دستفال بمرض الصفراء .

وعلى هذا فلم تقتصر مصادر القلق عند الجيش الافريقى الالمانى الايطالى على ما يسببه لهم البريطانيون . وبينما كان رومل منهمكا فى حل مشاكله الخاصة باقامة قوة فعالة لجيشه أدرك أن أعداءه البريطانيين يتمتعون بميزة ضخمة اذ يعملون تقريبا فى منطقة قواعدهم وأن الامدادات الواردة من انجلترا وأمريكا فى طريقها اليهم . وأنها ستصلهم بعد تفريغها فى السويس فى مدى بضعة أيام وأن زيارة تشرشل الاخيرة تظهر مدى اهتمام العالم الغربى بالاحتفاظ بمصر مهما كلف الامر . وقد أكدت المخابرات الالمانية أن مايزيد على مائة ألف طن من الامدادات والتموينات سوف تصل الى مصر قبل أول سبتمبر . وأنها ستكون لدى الجيش الثامن فى موعد أقصاه السادس والعشرون من أغسطس وهو اليوم الذى يكتمل فيه القمر .

ولم يكن هـــذا هو السبب الوحيد الذى يدفع رومل الى المبادرة بالهجوم فان كل يوم يمر كان يحمل معه تعزيزا جديدا لدفاع الجيش الثامن البريطانى وخاصة فى بث وتقوية الألغام . وأصبح من المتعذر الآن القيام بأى هجوم خاطف ــ كما هى عادة رومل ــ على الجزء الشمالى من خط الدفاع البريطانى الممتد من الساحل الى جرف الرويسات . كما أخذت التحصينات والاستحكامات المنيعة تمتد بسرعة تجاه الجنوب مع مرور الايام مما جعله يوقن باستحالة القيام بحركة التفاف سريعـــة حول الجيش الثامن وقذفه الى البحر . فاذا ما تراءى لرومل القيام بالهجوم فسوف تستطيع استحكامات الجيـــش الثامن أن تخل توازنه وبذا كان أمله الوحيـــــد ينحصر فى فرض معركة متحركة على الجيش الثامن لا يتمكن فيها من جلب المدافع الضخمة وقوات الطيران للمساعدة السريعة بسبب ما عرف عن البريطانيين من بطء الاستجابة عند القيادة العليا من ناحية ومن ناحية أخرى لجهلهم بمتاعب رومل ذاتها .

وقد حل اليوم الاول من الفترة التى قرر رومل أنه ينبغى فيها الهجوم ولكنه لم يستطع أن يتسرع فيه حتى يتحسن موقف امداداته ، وخاصة البترول ولم يتوقف رومل أبدا عن الضـــــغط على كيسلرنج وكافالليرو بامداده بما يطلب ولكن دون جدوى ــ فنحا باللائمة عليهما ثم اشتد غضبه ويأسه مما أدى بصحته الى التدهور وساءت العـــلاقات بينه وبين الايطاليين بشكل مزعج .

واذ اكتمل القمر فى اليوم السادس والعشرين من أغسطس المحدود للهجوم شرع رومل فى دراسة الخطة الموضوعية للهجوم . وكان من جراء المعارك التى دارت فى شهر يوليو والتى أثبتت قوة مراكز الدفاع المتزايدة

على الجانب الآخر أن قضت علــى كل أمل لروميل فى اختراق الخــط البريطانى بسهولة عند جرف الرويسات أو أى جزء من الخط شمالى هذا الموقع . أما جنوبى هذا الجرف حتى منخفض القطارة فقد كان الجيش الثامن منهمكا فى الحفر وبث الالغام فاذا اقترب الشهر من نهايته أصبح الامل فى الاختراق السريع لخط الدفاع ضئيلا أيضا . كما كانت الفرقة البريطانيــة الســابعة المدرعة ـ عــدوته القديمة ـ ترابط فى استحكاماتها جنوبى المنخفضات وشمالى التل الممتد من جبل الكلخ الى الحميمات وكانت هذه الفرقة تعمد الى حيلتهــا القــديمة من القيــام بدوريات من السيارات المصفحة فى القطاع الامامى وطوابير من سيارات المشاة تعضدها المدفعية من الخلف مما جعل من الصـــعب على روميل تبين حقيقة الموقف هناك ، ولكنه مال الى الاعتقاد أن الدفاع فى هذا الجزء لا يرتكز الى استحكامات قوية كغيره من الاجزاء والالمانيا بثت الالغام بكثرة مما يعوق تقدم الجيش الثامن اذا جاء دوره فى الهجوم من هذه المواقع .

وعلى ذلك قرر روميل القيام بالعملية التى قام بها فى ٢٧ من مايو السابق وأحرزت له النصر الباهر جنوبى طبرق اذ أن كل شىء يتوقف على سرعة هجومه الخاطف فى جولة ليلية واحــدة مع الجناح الجنــوبى للجيش الثامن عند الحميمات على أن تكون فرقتا البانزر رقم ١٥ ، ٢١ جنوبى علم الحلفا وفى مؤخرة مواقع الجيش الثامن قبل الفجر وعلى أن تقوم كل وحدات الاستكشـاف الالمانية والايطالية بحماية الجناح الايمن للفرقتين . أما جناحاهما الايسر فتوكل مهمة حمــايتهما الى الفــرقة العشرين الايطالية وفرقتى آرييت وليتوريو المصفحتين وتساعدهما فى خط مواز لعملياتهما فرقة كليمان الالمانية الخفيفة رقم ٩٠ فاذا كانت الثالثة والنصف صباحا تكون كل هذه القوات قد وصلت الى مواقعها ومتجهة نحو الشمال .

فاذا ما ظهرت أول خيوط الضوء يكون الفيلق الافريقى مسرعا فى تقدمه نحو الشمال الى الساحل بالقرب من محطة الرويسات على الخط الحديدى وفى الوقت نفسه تكون الوحدات المتقدمة مع الفيلق على جناحه الى اليسـار منهمكة فى عمل خطافات صغيرة فى مؤخرة الجيش البريطانى حول جرف الرويسات . وبهذا يمكن الاحاطة بهذا الجيش وعزله عن خطوط تكوينه عزلا تاما وبذا يمكن تهديد مطاراته ومنطقة الامدادات وحتى الاسكندرية نفسها ولن يقف بعد ذلك شىء فى طريق روميل الى القاهرة . وذلك أنه اذا ما وصل نهرنج قائد فرقتى البـــانزر ١٥ و٢١ الى الساحل عليه ان يتجه بسرعة خاطفــــة شرقا نحو منطقـــــة الامداد

البريطانية وبهذا قد يضطر البريطانيون الى سحب قواتهم المتحركة الى الوراء وهى القوات التى كان واثقا من القضاء عليها فى معركة مائعة وبذا يمكن مشاة رومل أن يعالجوا مراكز الدفاع البريطانية حول العلمين كما يحلو لهم كما تم لهم الامر مع طبرق فى يونيو الماضى فى حين تتحرك قواته المتحركة شرقا وبسرعة البرق نحو الاسكندرية والقاهرة وغيرها فتسرع فرقة فون بيسمارك من البانزر نحو الاسكندرية من الجنوب فى حين تتقدم فرقة فون فارست الخامسة عشرة من البانزر وفرقة كليمان الخفيفة رقم ٩٠ مخترقة الصحراء نحو القاهرة على أن تحل محلهما الفرقة الايطالية المتحركة عن طريق وادى النطرون والطريق الصحراوى فى القاهرة ومن ثم تتوجه فرقتا فون فارست وكليمان الى السويس فى حين تقوم فرقة استيفانى الايطالية باقتفاء أثر فلول البريطانيين حتى وادى النيل والقضاء عليها .

شروط نجاح الخطة :

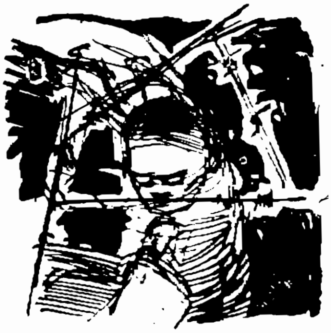
وكان يلزم لتنفيذ هذه الخطة توافر أركان ثلاثة هى المفاجأة والسرعة والامدادات الضرورية لخوض معركة متحركة . ولتوافر الركن الاول وهو المباغتة فقد كان عليه أن يتكتم بشدة وحتى النهاية كل تقدم لقواته المتحركة نحو الجنوب فتتحرك الدبابات ليلا الى مكان أمين غير مكشوف فى أثناء النهار بجوار جبل الكلخ ، ويمكن انجاز هذه المهمة فى بحر أربع ليال . أما العربات المتحركة فيمكن أن تقطع هذه المسافة فى ليلة واحدة وهى الليلة السابقة للهجوم مباشرة ويمكن تعمية الطيران والاستكشاف البريطانى عن ملاحظة اختفائها بوضع وحدات التموين مكانها ولتعزيز عنصر المباغتة يمكن القيام بهجوم ثانوى على جرف الرويسات لتحويل الانظار عن الجبهة الجنوبية قبل الهجوم الرئيسى عليها بفترة وجيزة .

اما الركن الثانى وهو السرعة فيمكن تحقيقه بالتقدم على جبهة عريضة مع ازاحة كل حركات المقاومة البسيطة المتوقعة جانبا والتقدم فى جرأة وسرعة الى الامام دون اقامة وزن للخسائر التى قد تسببها حقول الالغام ولكن ضوء القمر المكتمل كان ضروريا ولن يصير القمر بدرا قبل السادس والعشرين من شهر أغسطس .

وكان قلق رومل البالغ ينصب على الركن الثالث وهو الامدادات وخاصة البترول ـ ان قدرته على التقدم صبيحة يوم الهجوم تقدما خاطفا وفرض معركة متحركة مائعة على البريطانيين واستغلال الارتباك الذى يحدثه بين صفوفهم تتوقف جميعا على ضمان وصول التموينات قبل اللحظة التى يصل فيها الى قاعدة البريطانيين الامامية .

الا انه لم يفه اى دليل على ارسال البترول الذى كان يحتاجه رومل . واذا رأى الفرصة تفلت منه بمرور الايام ساءت حالته الصحية. وفى الثانى والعشرين من أغسطس تقدم رومل الى فون رنتلن القائد الالمانى فى القيـادة الايطالية العليا بقائمة تشمل الحد الادنى لمطالبه ، والتى أبلغه أنه لابد له من الحصول عليها بأى ثمن قبل أن يبدأ الهجوم واشترط فيها ضمان وصول الحد الادنى الذى عينه لكمية البترول والذخيرة التى تكفى تموين القوات أربعة أيام فقط علاوة على ما لديها . ولما حل اليوم السابع والعشرون من أغسطس وهو اليوم التالى لاكتمال القمر طار كيسلرنج لمقابلة رومل الذى كان فى أشـد حـالات اليأس والقنوط ولكنه استطاع أن ينتزع وعدا من كيسلرنج بأنه اذا سدت كل السـبل أمامه فانه سـوف يوافيه بخمسمائة طن من الامدادات يوميا بطريق الجو . ولكن الايام الاخيرة من أغسطس أخذت تمر ولم تصـل الامدادات كما وعدته القيادة العليا وأخذ القمر يتضاءل .

وكان رومل يعلم جيدا أنه اذا لم يشرع فى الهجوم فسوف تفلت منه الفرصة فى سحق الجيش الثامن الذى سيكون قد وصلته التعزيزات والامدادات — التى هى فى طريقها اليه الآن أو قد تكون فى البحر الاحمر على وشـك التفريغ وبمجرد أن غادره كيسلرنج أمر رومل بتجميـع الدبابات ، لان أى تأخير أكثر من ذلك قد ينقص من عنصر المفـاجأة ثم استدعى أعضاء قيادته فى اليوم الثامن والعشرين من أغسطس بما فيهم فون فارست وكليمان وفون بيسمارك لتلقى تعليماته الاخيرة فيما يختص بالهجوم المزمع القيام به يوم ٣٠ من أغسطس سنة ١٩٤٢ ، وأخطرهم أنه سوف يعزز هذه التعليمات بمجرد وصول ثلاث ناقلات بترول فى بحر اليومين التاليين . وكان عدد دبابات جيش رومل فى ذلك الوقت كالآتى : ٢٦ دبابة مارك (٦) الجديدة المجهزة بمدفع عيار ٧٥ مم الطويل و ١٠ دبابات من الطراز القديم المجهز بموفع عيار ٧٥ مم القصير ، ٧١ دبابة طراز مارك (٣) المجهزة بمدفع طويل عيار ٥٠ مم و ٩٣ دبابة من الطراز القديم ذات مدافع أقصر طولا ويبلغ مجموع هذه الدبابات جميعا حوالى مائتى دبابة بخلاف ٢٩ دبابة خفيفة وخمس دبابات للقيـادة . أما الايطاليون فقد كان لديهم ٢٤٣ دبابة من النوع الايطالى المتوسـط و ٣٨ دبابة خفيفـة . وفى يوم ٣٠ من أغسـطس أخطر كافالليرو المارشال رومل بأن ناقلات الزيت فى طريقها الى طبرق وبنى غازى وانها ستصل خلال ساعات ، كما أرسل كيسلرنج ١٥٠٠ طن من بنزين الطائرات وهذه الكميات تكفى رومل أربعة أيام مع أمله فى آن تصله كميات أخرى أصدر رومل أوامره بالهجوم تلك الليلة بحسب الخطة الموضوعة .



الفصل الرابع

معركة علم الحلفاء أو معركة العلمين الأولى
من ٣١ من أغسطس حتى ٧ سبتمبر ١٩٤٢

معركة متأخرة عن موعدها : ـ

مرت خمســـة أيام على اكتمال القمر وعلى هذا فقـد كان مقدرا له الظهور قبل منتصف الليل بعشرين دقيقة ومن ثم شرعت قوات روميل المهاجمة فى التحرك قبل ذلك بساعتين فتحركت طوابير الفيلق الافريقى من المنطقة المجاورة لقرية العبد والممتدة الى جبل الكلخ الا أن هذه الطوابير فوجئت بهجوم جوى بريطانى مركز على المنطقة الواقعة شمال غربى جبل الكلخ حيث تجمعت كمية هائلة من وسائل مواصلاتهم وذلك لأن طيارات الاستطلاع البريطانى تمكنت من اكتشاف هذه التجمعات فى الليلة السابقة وعلى هذا وضحت الخطة للبريطانيين وتعذر على روميل استخدام عنصر المباغتة ٠

موقف الجانبين عند بدء الهجوم : ـ

وفى الوقت الذى شرعت فيه الطوابير بالتحرك أخذت وحداتهم الاكتشافية البحث عن المناطق الخالية من الالغام ولم تغب هذه العملية عن نظر البريطانيين مما أثار شكوكهم حول هذه المنطقة حيث مواقع الكتيبة الثانية وآلاتالبنادق علىالتل العريانجنوبىمنخفض دير المناصب أما جنوبى هذا المنخفض فكانت مواقع فرقة الهوسار العاشرة حيث عهد اليهم حراسة خطى الألغام المتوازيين الى منتصف المســـافة تقريبـــا بين دير المناصب والحميمات ٠ وجنوبى هذا الموقع كان الآلاى المصفح الحقيقى الرابع ومعه الكتيبة الأولى من الفرقة الستين يساندها الفرقتان الرابعة والهوسار الثانية ٠ وفى الوقت الذى ظهر فيه القمر وصلت تقارير هذه القوات الى القيادة بوجود نشاط غير عادى فى المنطقة المنعدمة من خط الاستحكامات غربى هـــذه القوات ولم يمض وقت طويل حتى وصلت قوات روميل المتقدمة الى مشارف أول حقل للألغام وأخذت فى رفعها الا أنها وجدت أن قوات الجيش الثامن على أتم استعداد لملاقاتهـا فقـــد انصبت عليهـــا نيران مدافع الماكينـة ومدافع المورتار من فرقة ذوى الســـترات الخضراء وكذا مدافع الفرقتين الثالثـــة والرابعـــة والمدفعية الثقيلة التى كان مداها يصل الى مواقع الألمان ٠ وبعد ذلك

بنصف ساعة أخذت الصورة تزداد وضوحا • فقد سارعت ثمانى عشرة دبابة ألمانية لتأييد مشاة العدو فى الشمال وفى مواجهة آلاى البنادق الثانى الذى فتح نيران مدافعه عيار ٦ رطل فأوقفهم • هذا فى الوقت الذى نشطت فيه مدفعية رويال هورس الثقيلة فأصلت العدو نارا حامية جعلت مشاته يرتدون الى الوراء الى جنوبى المنخفض فقد وردت الأنباء من فرقة الهوسار العاشرة أن الهجوم هناك ليس خطيرا الا أنه وردت أنباء أخرى من الجبهة شمالى الحميمات بأن الفيلق الافريقى يحاول شق طريقه الى الأمام • وهكذا اتضحت خطة الهجوم للقيادة البريطانية عن طريق المعلومات الواردة من الفرقة السابعة البريطانية التى طلبت اصدار الأوامر الى سلاح الجو البريطانى بأن يباشر نشاطه فى المنطقة الواقعة فى حقول الألغام وجبل اكفلخ ثم قامت الفرقة بسحب الدبابات الوهمية الى الوراء حتى تفسح الطريق • وقد قامت الطائرات بعمل مجيد فأخذت تضرب العدو بشدة وتعود الى قواعدها كى تمون وتعاود الضرب من جديد مستعملة المصابيح المضيئة لكشف تجمعات الناقلات والعربات أما قوات رومل المتقدمة فقد ترك أمر معالجتها لذوى الجاكتات الخضراء (جرين جاكيتس) •

ولم يكن الفيلق الافريقى يتوقع هذا التطور للأمور فقد وضع خطته على أســاس القيام بهجوم خاطف يكتسح فيه الاســتحكامات البريطانية لا يتوقف الا لاقتلاع بعض الألغام هنا وهناك وفى الوقت الذى حددته الخطة الألمانية الى القوات الألمانية للوصــول الى شمالى علم الحلفا فى المنطقة الممتدة الى التل العريان ، وقد اعادت تموين وحداتها استعدادا للزحف شمالا حتى ساحل البحر الابيض المتوسط عند الفجر ولم تستطع هذه القوات اختراق حقــل الالغام الأول • وعندما ألح رومل تليفونيــا عن السبب فى عدم قيام القوات المتقدمة بتنفيذ العملية فى الوقت المحدود ردت هذه القوات بأنها تجد صعوبة كبيرة فى بث حقول الألغام المركزة وأن مقاومة البريطانيين كانت قوية بشــكل غير عادى وأنهــا أصيبت بخسائر فادحة • أما من ناحية البريطانيين فقد تبينت فرقة ذوى الجاكتات الخضراء ان الألمان لا يهاجمون بالقوة التى عرفت عنهم •

الهجوم الالمانى : ـ

ثم جدد الفيلق الألمانى هجومه الشديد شمال الحميمات بعد الرابعة والنصف صباحا بعد أن تمكن أخيرا من تأمين طريق له بين الألغام ومن ثم تقدمت حوالى ٦٠ دبابة ألمانية نحو حقل الالغام الثانى مما جعل فرقة

ألهوسار البريطانية العاشرة تنسحب الى حقل الألغـــام خوفا على جناحها الذى الى جهة اليســـار • وقد كان لانسحاب هذه الفرقة أثر فى ازدياد القلق لدى الفرقة الثـــانية والفرقة الثامنة البريطانيتين اللتين كانت مواقعهما الى الشمال فى تل المناصب ولاسيما بعد أن اخترقت الفرقة التســعون الألمـانية ومعها ثلاثون دبابة حقل الألغام الأول الذى فى المنخفض فى المنطقة بين الفرقتين الثانية والستين البريطانيتين وبين آلاى البنادق الثانى البريطانى • وقد أمكن البريطانيون تعطيل ست دبابات الا أن الدبابات الباقية تمكنت من التوغل تجاه الشرق • عندئذ خشى الجنرال بوزفيل أن يواصل الألمان تقدمهم نحو الثغرات التى تركزت فى حقل الالغام الثانى الذى لم تكن تحميه مواقع دفاع قوية وذلك قبل أن يستطيع سحب فرقته من حملة البنادق خلال هذه الثغرات وعندئذ أمرهم بالانسحاب الى حقل الألغام الثانى وتم الانسحاب فى السابعة والنصف صباحا فأصبحوا فى موقف تعززه من الخلف فرقة الهوسار العاشرة •

وفى الوقت نفسه كان على الجنرال كار أن يتنحى عن الحميمات وأن ينسحب بفرقته الى سمكة جاب الله فى حين عهد الى فرقتى الهوســـار الرابعة والثامنة القيـــام بمهمة تعطيل العـــدو بما لديهما من دبابات استيورات الامريكية الخفيفة •

ثم وصل رومل الى جبل اكفلخ حيث اطلع على آخر الأنباء الخاصـــة بالهجوم الذى انعقدت عليه كل آماله ولم تكن أنباء مرضية • لقد كان تقدم قواته بطيئا ذلك أنها بعد قليل وبعد اختبارها حافة حقول الألغام الألمانية فى جبهتها واجهت مقاومة عنيفة ذكر فى التقارير الألمانية عنها « نطاق من الألغام لا يمكن الشك فى عنف شدته • ذو استحكامات منيعة ملىء بالشراك وتحميه نيران ثقيله » يضاف الى ذلك غارات سلاح الطيران البريطانى بالغة العنف وقد أصيب الجنرال نهريج قائد الفيلق الافريقى بجراح خلال الغارات البريطانية فى حين لقى الجنرال فون بيسمارك قائد فرقة الباترو الحادية والعشرين مصرعه بسبب انفجار أحد الألغام •

ومما زاد الطين بلة أن الاركان الثلاثة الواجب توافرها لنجاح خطة رومل وهى المباغته والسرعة الخاطفة والامدادات لم تتحقق مما جعل رومل يفكر فى اعتزال العملية كلها ولكنه أرجأ اتخاذ قرار فى هذا الموضوع حتى تتضح له نتائج تقدم الفيلق الافريقى الذى وضع الآن تحت امرة الكولونيل بايرلاين مؤقتا بعد اصابة نهريج ومن ثم توجه رومل لزيارة بايرلاين فى

الجبهة بعد أن طلب السماح له بمواصلة الهجوم اثر اختراقه نطاق الألغام بالقرب من الحميمات • وافق روميل على مواصلته الهجوم ولكن بعد تعديل الخطة الاصلية التى كانت تقضى بسرعة الاتجاه نحو الشمال وبدلا من ذلك سوف تهدف القوات الألمانية المتقدمة على تطهير علم الحلفاء والاستيلاء عليه بدلا من تجاوزه والاتجاه شرقا ومن ثم يكون على الجنرال استيفانى أن يعمل على الاستيلاء على المنطقة حول الموقع رقم ١٠٢ فى حين تكون قوات كليمان الى يساره ولم يكن هذا على كل حال هو ما كان يهدف اليه أصلا ولكنه كان خيرا من لا شىء •

صد الهجوم الألمانى الأول :ـ

أما فى الجانب الآخر من الجبهة فقد وصلت مونتجمرى أنباء طيبة ذلك أن الطباق الثلاثين البريطانى عند حرف الروبسات تمكن من صد فرقة الجنرال رامكة الألمانية للمظلات وابادة كتيبة منها • فى حين أغارت الفرقة الرابعة والستون الألمانية على الاستراليين فى الوقت الذى هاجمت فيه قوات جنوبى افريقية فرقة تورينتو الايطالية قبل أن تقوم هذه الأخيرة بالهجوم وحققت جولة ناجحة •

أما الفرقة النيوزيلندية فلم تتعرض لأى هجوم فى حين تمكنت دوريات آلايهم الثامن عشر من أسر ثلاثين جنديا من فرقة بريشيا الايطالية •

وفى جبهة الفيلق الثالث عشر قام الألمان بتوجيه الهجوم فى ثلاثة مواقع الموقع الاول جنوبى النيوزيلنديين والثانى عند المناصب والموقع الثالث فى أقصى الجنوب من هذه الجبهة شمالى الحميمات الا أنه لم يكن قد اتضح بعد حجم القوات المشتبكة ولكن الأمر كان يدعو الى الاعتقاد بأن احدى فرقتى الباترو الألمانية ومعها الفرقة الألمانية التسعون على الأقل تمارسان نشاطهما فى هذه الجبهة وبدا كذلك أن جزءا من الفيلق العشرين كان فى المعمعة أيضا وكان الأمل يحدو قيادة الجيش الثامن أن تتمكن الفرقة المدرعة البريطانية السابعة من ايقاف الألمان فى حقول الالغام فاذا تعذر ذلك قامت قوات الاحتياطى حول علم الحلفاء بالمساعدة لوضع الأمور فى نصابها •

وفى خلال التسعين دقيقة التالية كان هجوم الفيلق الافريقى من الحميمات هو الشغل الشاغل للقيادة البريطانية فقد زحف الفيلق ومعه مائة دبابة وتمكن من عبور حقل الألغام الثانى وأخذت قواته الاستطلاعية

فى رد الجنرال كار عن المرتفع ودفعه الى الجنوب وتعد سبب اندفاع هذه القوات الألمانية الهائلة العدد نحو جنوب راجيـل قلقا بالغا للجنرال بوسفيل وخاصة للفرقة العاشرة من الهوسار بالرغم من أن الضغط على هاتين القوتين لم يكن شديدا ذلك لأن كلا من استيفانى وكليمان صادف عقبات فى حقول الألغام عاقت حسن تنظيم قواتهما كما صادفتهما كذلك بعض المرتفعـات عند حافة مختلف المنخفضـات التى فى تلك المنطقة ٠ والواقع أن خوف روميل من أن يحاط بقواته فى حقول الألغام كان أكثر من خوفه من قيام البريطانيين بهجوم مباشر عليها بآلاى البنادق السابع وفى التاسعة والنصف صباحا كان بابرلاين قد وصل الى آخر حقل للألغام فى منطقة الجنرال كار على بعد سبعة أميال شرقى الحميمات ٠

وعندما وصلت أنباء هذا التقدم الى الجنرال هوروكس نشط للعمل بسرعة فقد وجد أن تنفيذ الأوامر التى سبق أن أعطاها الجنرال رنتون بصد قوات العدو أو تأخيرها الى أقصى حد ممكن لا يسـير على ما يرام اذا كان قواد الوحدات يبذلون جل همهم فى المحافظة على سلامة وحداتهم بدلا من بذل أقصى ما يمكن من المقـاومة ، ومن ثم أصدر أوامر صـارمة للفرقة بالاحتفاظ بالخط المار بآخر حقـول الألغام الذى كان قد ضـله الجنرال بوسـفيل ولما احتج رنتون بأن هذا الأمر سوف يسبب ارتباكا أرغم على اطاعة الأمر الجديد ثم أعيدت الفرقة العاشرة من الهوسار الى مواقعها ثانية واتخذت مراكزها بعد منتصف النهار شمال شرقى المناصب فى مواجهة الجنوب وعلى اتصال بفرسان الفرقة النيوزيلندية التى تعمل فى هذه المنطقة وفى الوقت نفسه تحرك الآلاى الثالث والعشرون المدرع تاركا كتيبة صغيرة لكل فرقة من الفيلق الثـلاثين بين النيوزيلنديين والآلاى المدرع الثانى والعشرين ٠

ولم يكن روميل سعيدا بالتقدم الذى حققته قواته عند منتصف النهار فان آلاى الجنرال رامكه ومعه قوات من فرقة بريشيا لم يتجاوزا منطقة الالغام التى يدافع عنها آلاى البنادق الثانى جنوبى الفرقة النيوزيلندية ٠ وفى جبهة الفيلق العشرين كانت فرقة آرييت المصفحة وفرقة تريشيا المتحركة ما زالتا جنوبى المناصب تعوقهما فرقة الهوسار العاشرة ٠ فى حين كان الفيلق الافريقى ومعه فرقة البانزر الحادية والعشرون فى الشمال والبانزر الخامسة عشرة فى الجنوب قد توقفتا للتموين على بعد بضعـة أميال غربى سمكة جاب الله فى حين أن قوات هذا الفيلق الاستطلاعية قد تقدمت بضعة أميال جنوبا ٠

ومن ناحية أخرى فقد اشتدت الغارات الجوية على قواته بشكل لا ينقطع حتى الساعة الحادية عشرة صباحا ثم هبت عاصفة رملية ساعدت على اخفاء مواقع القوات وعطلت القوات الجوية عن العمل ٠

وفي الثانية عشرة والنصف اتصل جينجاند تليفونيا بالبريجادر ارسكن رئيس أركان حرب الفيلق الثالث عشر الذى أبلغ جينجاند أن موقف بوسفيل يشوبه الارتباك فقد وصلت أنباء تقول « موجود ٧٣ دبابة في المنطقة الا أن الاخبار الواردة من النيوزيلنديين لا تؤيد ذلك ٠ وعلى هذا اعتقد الجنرال رنتون ان خطة العدو ربما كانت تقضى بالهجوم فيما بين راجيل وسمكة جاب الله فقد وصلت أنباء بوجود دبابات ايطالية هناك الا أنها لم تعزز فيما بعد كما لم يتعزز كذلك النبأ القائل بأن فرقتى البانزر الألمانيتين الخامسة عشرة والحادية والعشرين قد اشتبكتا في القتال » ٠

الجيش الافريقى يعاود الهجوم :ـ

وبعد ذلك بساعة توجه مونتجمرى لمقابلة هوروكس الذى أبلغه مخاوفه فيما يختص بالآلاى السابع سيارات عندئذ نصحه مونتجمرى بأن يضم هوروكس ذلك الآلاى الى قواته فيصبح تحت قيادته مباشرة ، ومن ثم واصل مونتجمرى جولته لرؤية رامسون وفي أثناء هذه الجولة وصل الجنرال الكسندر لمقر قيادة الجيش الثامن ولكنه لم يجد مونتجمرى فبحث الموقف مع جينجاند وقفل راجعا الى القاهرة ٠

ثم اشتدت العاصفة الرملية في الساعة الواحدة بعد الظهر عندما قام الفيلق الافريقى بمعاودة الهجوم متجها الى الشمال الشرقى هذه المرة ويقوده فون فارست ٠ وقد كان من جراء تغيير الاتجاه عن الخطة الاصلية أن القوات الزاحفة كان عليها التغلب على مقاومة فرقة بومانرى اللندنية جنوب راجيل والفرقتين الأولى والستين حول سمكة جاب الله وعلاوة على ذلك فقد كانت هناك في طريق هذه القوات أيضا مواقع قوات الجنرال كار والجنرال بوسفيل مما جعل تقدمها بطيئا كما كان تقدم الفيلق العشرين الى يسار الفيلق الافريقى أكثر بطئا بالرغم من ان المقاومة الوحيدة التى لاقاها الفيلق العشرون وكان من فرقة واحدة هى فرقة الهوسار ٠ ولقد تمكنت فرقة ليتورتو من الاحتفاظ بالسرعة التى تقدمت بها فرقة البانزر الحادية والعشرون فكانت دائما قريبة من جناحها الأيسر الا أن فرقة اربيبت في الوسط وفرقة تريشيا الى اليسار كانتا تعانيان الكثير من حقول الألغام ولم تستطيعا شق طريقهما قبل الثالثة بعد الظهر

حيث تمكننا من دفع طوابير الجنرال بوسفيل الى الوراء حتى موقع يبعد ستة أميال شرقى راجيل • وفى الوقت نفسه كانت فرقة الهوسار على وشك ان تطوقها بأن تنضم الى قوات الجنرال بوسفيل •

نعود الآن الى منطقة التل العارى التى أصبحت الآن خضما هائلا من الرمال والأتربة لقد تمكن الآلاى الثانى والعشرون المصفح من المحافظة على مواقعه حول النقطة ١٠٢ غرب علم الحلفا منذ الخيط الأول من أضواء الفجر وكان على أتم استعداد لخوض المعركة فى ذلك اليوم الحار الملىء بالغبار ثم وصلت الأنباء من الفرقة السابعة المدرعة بأنها لاتستطيع أن تعطى صورة واضحة عن العمليات الدائرة جنوبها • أو فى الجنوب الغربى منها ولم يكن هناك شك فى وجود عدد كبير من الدبابات الألمانية فى مكان ما عند الطرف الشرقى أو الطرف الشمالى من راجيل وكان من الصعب التكهن بعددها أو الاتجاه الذى تتحرك فيه ومن ثم تجمع هذا الآلاى فى شكل نصف دائرى فى مواجهة الجنوب يقع طرفاه فى الجنوب الشرقى والجنوب الغربى من المنطقة ١٠٢ وحول الطرف الاول وقفت الفرقة الخامسة من الدبابات الملكية تعززها كتيبتان من فرقة جلوستر شاير الهوسار الثانية ومعهما ٢٣ دبابة جرانت و ١٥ دبابة كروساور • والى القرب من هذه القوات حول الطرف الآخر من نصف الدائرة كانت الفرقة الرابعة اللندنية (بومانرى) تعززها ٢٣ دبابة جرانت و١٥ دبابة كروساور وفى الجانب الآخر وعلى مسافة ميل ونصف ميل غربا رابطت سرية للمدافع المضادة للدبابات والآلاى الاول بنادق تعززه أربعة مدافع عيار ٦ أرطال ثم يلى ذلك والى الغرب أيضا فرقة مكونة من وحدة الدبابات الملكية الاولى ووحدة الدبابات الملكية السادسة ومعهما ٢٣ دبابة جرانت وسرب خفيف من دبابات استيوارت يبلغ مجموعها ١٩ دبابة واتخذت بطارية للمدافع المضادة للدبابات خلف هذه القوات مباشرة ، أما قوات الاحتياطى التى كانت مختفية خلف الموقع ١٠٢ فتكونت من رويال سكوتسى ومعها ٢٤ دبابة جرانت و ٢١ دبابة استيوارت و ٤ دبابات كروساور والبطارية الثامنة عشرة من فرقة المدفعية الاولى عيار ٢٥ رطلا وقد رابطت بين القوات السابقة وبين فرقة الدبابات الخامسة •

وكان الجنرال روبرتسى قد أصدر اوامره فى الصباح الى وحدات بومانرى بالفرقة اللندنية والى وحدة الدبابات الملكية الخامسة وكذا فرق المراقبة من المدفعية الملكية الاولى ؛ ولكنه رأى تغيير هذه الاوامر تغييرا طفيفا بعد الظهر بمقتضاه قامت هذه القوات بارسال دوريات نحو الجنوب

وتجنب الاشتباك مع الالمان بقدر الامكان لابلاغه عن تحركات العـــدو فوجدت وحدة من فرقة بوما قوة ألمانية كبيرة مجهزة بمائة دبابة على الاقل فى الجنوب منها وتتجه نحو الشمال الشرقى . وفى الخامسة والنصف مساء كانت كل هذه الوحدات ، مشتبكة مع العدو ولكنها تراجعت بعد أن فقدت دبابة من وحدات الكروساور وثلاثة من وحدات الهوسمار .

وفى هذه اللحظة اتصل دى جينجاند تليفونيا بالجنرال هوروكس فأبلغه هذه الانباء عن المائة دبابة الالمانية وكانت أنباء أخرى قد تجمعت لدى جينجاند عن ٦٠ دبابة أخرى بالقرب من سمكة جاب الله ثم توالت الأنباء بعد ذلك عن المائة دبابة المذكورة والتى كانت جنوبى موقع الجنرال روبرتس قد اتجهت شرقا تاركة مدفعين عيار ٨٨ مم فى مواجهة الآلاى البريطانى وعندئذ تكهن هوروكس بوقوع صدام بين الدبابات من كلا الجانبين تلك الليلة وقد جاءت التقارير من رنتون فيما بعد أنه عطل أو دمر ٦٠ دبابة ألمانية تقريبا الا أن هوروكس تبين المبالغة فى هذا النبأ معتقدا أن الخسارة لم تتجاوز ٣٠ دبابة بأية حال .

صد الهجوم الثانى للزحف الالمانى فى اليوم الاول :

ثم قام هوروكس ببحث الموقف مع فرايبورج ومن ثم تقرر أن تنشط مجموعات من الدوريات البريطانية فى تلك الليلة تعززها قوات كبيرة من المدفعية وبعض الدبابات والمدافع المضادة للدبابات فتخترق خطوط الالمان الى تل المناصب وتعود قبل الخيط الاول من ضوء النهار ، وبينما كانت المباحثات دائرة فى هذا الشأن بين الاثنين تقدمت ١٢٠ دبابة ألمانية معظمها مارك ٣ وفى المقدمة بعض دبابات مارك ٤ الجديدة الخاصة ويعتقد انهـا جميعا من فرقة البانزر الحادية والعشرين حتى اقتربت من الخط التلغرافى عبر جبهة الجنرال روبرتس وعلى بعد ألف ياردة من قواته المتقدمة توقف الطابور حيث انفصل عنه ثلاثون دبابة اتجهت شرقا وتحرك الباقى شمالا الى مسافة قصيرة ثم انعطف شرقا ، ولم يكن لهذه التحركات من معنى سوى انها تتجه نحو مواقع فرقة بومانرى اللندنية وبدأ وكان هـــذان الطابوران لايعلمان أن هناك آلايا بريطانيا ينتظرهما وانهما ســـيمران بمدافع الفرقة الرابعة والاربعين البريطانية حول علم الحلفاء . ومن ثم أمر روبرتس وحدة الدبابات الملكية الخامسة وفرقة بومانرى أن يظهرا للعدو وان يكونا على استعداد للخروج من مكمنهما ثم الانقضاض على جناح العدو اذا واصل تحركه نحو الشرق . الا أن الطابور الالمانى تنبه الى الفخ الذى كان متجها اليه فتوقف ثم شكل نفسه بسرعة استعدادا للقتال .

وانقض على السرية الاولى من فرقة بومانرى اللندنية وفى هذه اللحظة انحصر الغبار واخذت الرؤية تتضح ولم يكن قد بقى فى عمر النهار سوى ساعة واحدة وكان الضوء فى مصلحة مدافعنا التى كانت فى مواجهـة الطابور المتقدم وكان من جراء تقدم الطابور الالمانى ان وقع بين سفحى التل فكان جنـاحه الأيمن تحت نيران السرب الاول من فرقة بومانرى اللندنية أما جناحه الأيسر فواجه المجموعة الثانية من آلاى البنادق الاول وعندما أصبحت الدبابات المتقدمة على بعد ١٠٠٠ ياردة منه فتحت فرقة بومانرى نيرانها فتوقف الالمان ليردوا على النيران المنصبة عليهم وسرعان ما عطلت دباباتهم الاثنتا عشرة التى قادت الهجوم جميعا أما المجمـوعة الثانية التى كانت على الجنـاح الايمن للالمان فقـد اصلتهم نارا حامية اضطرت الدبابات الالمانية الى الانسـحاب بعيدا عن نطاق نيرانها ولكنها استطاعت تدمير السرية التى كانت بقيادة الماجور كامرون مما أوجد ثغرة كبيرة فى خط الدفاع ٠ ولم يشأ الجنرال روبرتس أن يملأ هـذا الفراغ بأية من الفرقتين المتحركتين على جناحى الموقع الاوسط نظرا لوجود كميات كبيرة من الدبابات فى الخطوط الخلفية يمكنها أن تقوم بحركة التفـاف حول أحد الجناحين أو كليهما ٠ وفى هـذه اللحظة وصلت الانبـاء من الطابور الالمانى الآخر الذى سبق أن انفصل ومعه ثلاثون دبابة متجها الى الشرق تقول انه عطلت له سبع دبابات أما الثلاث والعشرون دبابة الباقية فقد بلغت فى تقدمها موقع وحدة الدبابات الملكية الخامسة وتجاوزتها ومن ثم أصبحت بعيدة عن مرمى الوحدة ٠ حينئذ أمرت القيادة البريطانية أن تركز المدفعية الثقيلة نيرانها على الالمان فى هذه المنطقة كما أصدر الجنرال روبرتس أوامره الى ذوى السترات الرمادية بالاتجاه الى قمة النقطة رقم ١٠٢ ثم الانحدار الى الثغرة الواقعة عن يمين فرقة اليومانرى اللندنية ، ولكن سرعان ما شرع الألمان فى الهجوم ولكن فى بطء هذه المرة وبميل الى الغرب ولم يطلق آلاى البنادق نيرانه عليهم الا عندما وصلوا الى نقطة تبعد عنه بثمنمائة ياردة ومن ثم صب عليهم نيران مدافعه عيـار ٦ أرطال ودمر الآلاى تسع عشرة دبابة ألمانية قام جنـدى بريطانى واحد بتدمير خمس منها هو الجاويش جريفيث الا أن ذوى السترات الرمادية لم يكونوا قد وصلوا بعد مما سبب قلقا شديدا نظرا لانه لم يكن قد بقى على الغروب سوى نصف ساعة والثغرة فى خطوط البريطانيين مازالت قائمة ٠

وبعد أن أعاد الطابور الالمانى المتقدم تنظيم صفوفه اثر ارتداده تقدم مرة ثانية فأصلته المدفعية نيرانا حامية ولكنها لم تكن كافية لوقف تقدمه ثم وصل ذوو السترات الرمادية وظهروا على قمة الموقع وأخذ الجنرال

روبرتس يوجههم باللاسلكى الى مواقعهم فانقضوا فى سحــابة كثيفة من الغبـــار هابطين الى الثغرة وسرعان ما انطلقت مدافعهم تقصف الالمـــان وتصليهم نارا فظيعة وبذا استكمل خط الاستحكامات الاوســط مقوماته وأصبح يتعذر على الالمان بعد ذلك اختراقه ٠

ثم تحول الاهتمام بعد ذلك الى الجناح الأيسر ٠ ان الدبابات الثلاث والعشرين التى بقيت من الثـــلاثين المتجهة شرقا قد دارت الى اليمين فى مواجهة حقل الألغام فى جبهة ١٣٣ البريطانى فانصبت عليهـــا نيران البطارية الثانية من المدفعية الاولى الا أن الليل كان قد أقبل فأفلت الالمان واتجهت قواتهم الرئيسية جنوبا نحو راجيل ٠

انتهى اليوم الأول للهجوم الالمانى بخسائر للجانبين وكانت أهم معركة فيه حول الموقع ١٠٢ قبل انتهاء النهار بساعة ولا شك أن معارك هذا اليوم أثبتت بكل جلاء ان الفيلق الافريقى لم يعـــد سيد الموقف فى شمالى افريقية ٠ فلأول مرة فى هذا الميدان تستطيع قوات الجيش الثامن الصمود أمامه ٠ ولقد نحا رومل باللائمة على الايطاليين بسبب بطء تقدمهم فقد استغرق الجناح الايطالى ثلاث ساعات فى قطع مسافة لاتتجاوز عشرين ميلا فى منطقة خالية لم يعترض سبيله فيها أية مقاومة ٠

وفى نهاية اليوم وصل الكسندر الى مقر قيـــادة مونتجمرى لبحث الموقف وكان قد سبق لها خلال النهـــار اصدار أوامر صريحة معارضة تتضمن « لا انسحاب ولا استسلام » ٠ والقرار الوحيد الذى أعلن عنه بعد ذلك كان سحب الفرقة المصفحة الثامنة من شرقى القاهرة الى غرب النيل بجوار الاهرام ثم اتفق مونتجمرى مع الجنرال كوننجهام على أن تقـــوم طائراته بهجوم عنيف فى المنطقة الواقعة حول راجيل حيث وردت الانباء بتجمعات ناقلات العدو وحيث كان يعتقد أن يقضى الفيلق الافريقى الالمانى ليلة كما صدرت الاوامر أيضا بدك المطارات الالمانية عنـــد مرسى مطروح والدابة نظرا لان المخابرات البريطانية أكدت ما يلاقيه رومل من صعاب مع وسائل مواصلاته ٠ ثم كان على كل من فرابيروج وهيوز أن يحافظا على مواقعهما والقيام بكل هجوم ممكن بالمدفعية على مواصلات العدو كما كان على الجنرال رنتون أن يبذل كل جهده لتعويق تقدم العدو بأى ثمن ٠ أما دور الجنرال جيتس هاوس فقـــد انحصر فى تدمير العدو المهاجم للفرقة الثالثةعشرة ومنعه من انشاء ستار من النيران المضادة للدبابات بين الجنرالين كوستانس وروبرتس أو فى أى مكان آخر يقع فى نطاق مدفعية الميدان

البريطانية كما ينبغى أيضا على الجنرال روبرتس عدم اخلاء الموقع ١٠٢ بأية حال ٠

ولقد مرت الليلة هادئة بالنسبة للجيش الثـــامن بصفة عامة اذ لم تهاجم خطوطه فى حين قصفت مدافع هيوز مراكز الألمان ونيرانها الثقيلة نظرا لانتشار اشاعة تتضمن ان فرقة البانزر الخامسة عشرة تعيد تشكيل قواتها استعدادا لهجوم فى أثناء الليل ٠ وقد انفجرت معظم القذائف بين جماعات الاستطلاع الالمانية مما سبب لها خسائر فادحة ٠

ولم يكن قد وصل رومل الا القليل من كميات البترول التى وعده بها كافاللير مما دعا رومل لان يوقف عملياته الهجومية فى جميع الجبهات سوى جبهة علم الحلفاء حيث قامت فرقة البانزر الخامسة بمحاولة يائسة للاستيلاء على هذا الموقع الهام ٠ وقد أثبت هذا الهجوم جهل رومل التام بمواقع الجيش الثامن الدفاعية وانه كان يعتقد أن علم الحلفاء لم تكن موضع عناية الجيش الثامن من حيث الاستحكامات المتبعة والقوات التى تحميها وكان ينبغى على طائرات ستوكا الالمانية التى هاجمت هذا الموقع خلال هذا النهار أن تحيطه علما بمناعة هذا الموقع ٠ واذا كان أحيط علما بذلك كما هو المفروض جدلا فان شروعه فى الهجوم لا يمكن تفسيره الا انه لم يشأ أن تظل قواته دون حركة على الاطلاق ٠ ولهذا اتخذ هـــذا القرار اليائس الذى لم يكن يستطيع أن يجنى من ورائه ميزة ظاهرة ٠

اليوم الثانى للهجوم الالمانى :

وعلى هذا تحركت فرقة البانزر الخامسة عشرة بمجرد ظهور أول خيط لأضواء اليوم الأول من سبتمبر سنة ١٩٤٢ محاوله الالتفاف حول جناح روبرتس الايمن مرة أخرى فاشتبكت مع دباباته ولكنها تخلت عن هذه المحاولة لمواجهة التهديد المصوب اليها من قوات كوستانس على جناحها الايمن ٠ وكان جيتس هاوس قد أبلـــغ كوستانس التى كانت هذه هى معركته الاولى فى الصحراء ــ أن يتحرك على جبهة عريضة جنوبى حقل الالغام وفى مواجهة هيوز الى موقع فى الشرق تماما من الجنرال روبرتس فاذا ما وصل الى هذا الموقع تقدم لمناوشة الجناح الايمن للفرقة الالمانية دون أن يتعمق فى هذه العمليات ٠ ومن ثم تقـــدم الآلاى فى السادسة والنصف صباحا على رأسه وحدة الدبابات الملكية الثـــالثة ولكنه توقف عندما اعترضت طريقه ٢٨ دبابة ألمانية ٠ وبعـــد معركة قصيرة اضطر الجانبان الى الانسحاب ٠ ثم حاول كوستانس التقـــدم مرة أخرى ولكنه

خسر سبع دبابات فتراجع قليلا ولكنه على كل حال نجح فى أن يحول هجوم الالمان عن جناح الجنرال روبرتس ٠ وفى جبهة ريتشاروز لوحظ أن الالمان يعيدون تنظيم وحداتهم للهجـــوم وبذا أمطرتهم المدفعية الثقيلة نيرانا حامية مما يثبط عزيمة الالمان فى مهاجمـــة هذا القطاع ٠ وفى الجنوب من ذلك استطاع بوسفيل أن يشتبك بالألمان مرة أخرى بفصيلة استطلاع ألمانية فقضى عليها ٠ أما الجنرال كار فقد كان منهمكا فى اعادة تجميع قواته فى ثلاثة طوابير من الدبابات ومشـــاة السيارات والمدفعية للعمل ضد فارست والقضاء على جناحه الجنوبى ٠

رومل يفكر فى ترك جيشه :

ثم عاود كوستانس الهجوم على فرقة البانزر الالمانية الخامسة عشرة تؤيده المدفعية الثقيلة مما دعا الألمان الى الانسحاب ميلا أو ميلين لنقص تموينلتهم من البترول الى موقع فى الشرق من الجنرال روبرتس تاركين حقول الالغام خلفهم ٠

وقد واصل سلاح الطيران البريطانى هجومه فقـــامت ١٢٢ قاذفة خفيفة بدك مواقع العدو طيلة النهار حول راجيل وجاءت الانباء فيما بعد أن هذه الغارات المركزة قتلتسبعة قواد من أركان حرب الجنرال فارست وأن رومل ذاته تعرض للهجوم وكاد أن يلقى مصرعه يضـــاف الى ذلك قذائف المدفعية التى نشطت بصفة متواصلة مما أدى الى خسارة كبيرة فى الارواح والعتاد فى الجانب الآخر من الجبهة وخصوصا فى كميات البترول التى أوشكت على النفاذ مما دعا رومل الى التفكير الجدى فى ترك ميدان القتال ، ولكنه أرجأ اتخاذ قرار فى هذا الموضوع وأرسل الى القيادة العليا أنباء تفيد فشل الهجوم الموجه الى قواته من الجنرال موررهيد ووصول قافلة الى أعدائه البريطانيين عن طريق السويس والى الهجوم الجـــوى الشديد الذى تعرض له ولم تكن خسائر رومل كبيرة فى الدبابات فلم يفقد سوى ثلاث عشرة دبابة من ١٥٠ جهزت بها فرقة البانزر ٠

أما خســـائر البريطانيين فى جبهة كوســـتانس فبلغت ٣ دبابات كروساور و ١٥ جرانت وثلاثة رجال وســـتة وعشرين جريحا ومن ثم انخفض عدد الدبابات الصالحة لدى هذا الآلاى الى ٦٠ دبابة ٠ هذا الوقت الذى كان لدى روبرتس ١٥٢ دبابة ولدى كار ٥٢ دبابة حقيقة فى نهاية هذا اليوم ٠

ثم كان أن واصلت الطيارات البريطانية هجومها المتعدد المركز الليل

طوله وكانت تطير فى موجات متتابعة لدك تجمعات العدو وعرباته وقواعده ثم تعود لمعاودة الهجوم من جديد ٠

وفى صباح اليوم الثانى من سبتمبر سنة ١٩٤٢ كان الموقف فى الجبهة الالمانية يدعو الى اليأس والقنوط مما دعا روملى الى اتخاذ قراره النهائى بوقف الهجوم والعودة الى المراكز التى بدأ منها تحركاته عند قرية العيد جبل الكلج ٠

ولم يتسم هذا اليوم بالنشاط لدى أى من الجانبين المتحاربين ٠ الا فيما يختص بقوات الطيران البريطانية وفى صباح اليوم التالى الثالث من سبتمبر عثرت أحد طوابير الجنرال كار على ثلاثمائة لورى على بعد خمسة أميال شرق الحميمات فدمرت منها ثلاثة وخمسين وطاردت الباقى منها شمالا حتى الجوف الممتد بين الحميمات وسمكة جاب الله ٠

وقام مونتجمرى بجولته المضادة فى جميع أنحاء الجبهة حيث تبين له ان جيش البانزر الالمانى يكاد يكون محـــاصرا من كل جانب ولكنه لم يتخذ قرارا بالهجوم وفضل تدمير وسائل مواصلاته أولا ثم احكام الحلقة حول الجيش المحاصر تدريجيا ٠

كيسلرنج يزور روملى :

وفى تلك الليلة وصل المارشـــال كيسلرنج من ايطاليا فى زيارة خاطفة لروملى فشكا له المتاعب التى يصادفها من قوات الطيران البريطانية ومن ثم وعده كيسلرنج أن يبذل جهده لتقوية جبهة الطيران الالمانية فى مصر وتزويده بالمقاتلات بصفة خاصة ٠ ومن ثم أرسل روملى برقية مطولة الى القيادة العليا يبرز فيها عدوله عن الهجوم قائـــلا ان السبب الرئيسى يعود الى الفشل فى انجاز الوعد المبذول له بتزويده بالبترول ثم أعطى تصويرا مفصلا للموقف موضحا انه لن يتمكن من البقاء حيث هو الى أكثر من اليوم الخامس من سبتمبر نظرا لحـــاجته الشديدة الى البترول وانه لم يصله فى اليومين الماضيين سوى ٢١٠٠ طن بترول فقط والباقى وقدره ٣٣٥٢ طنا من البترول أغرقت فى الموانى أو فى الطريق وهى كمية توازى استهلاكه لمدة خمسة أيام ونصف يوم ثم انه قد أغرقت أيضـــا نصف كميات البترول التى كان قد وعده بها الجنرال كافالليرو وانه اذا نجحت الناقلتان اسبورتيفو وبيناتشى القادمتان فى الطريق فى تفريغ حمولتهما كاملة فان هذه الكميات الجديدة لن تكفيه الا لليوم السابع من سبتمبر ثم استطرد روملى فى تبرير فشله قائلا ان هنـــاك سببين آخرين أولهما

فشله فى أن يجعل العدو يشعر بالمباغتة نظرا لان منطقة هجومه لم تكن ضعيفة التحصينات كما كان يظن سابقا كانت تحتوى على حقـول عميقة مركزة من الالغام تمتد بضعة كيلومترات ثم أضاف الى هذين السببين قوة سلاح الطيران البريطانى الذى سبب خسائر جسيمة فى الارواح والعتاد والمئونة كما أثر على الروح المعنوية لدى الالمـان والايطاليين على السواء واختتم تقريره قائلا ان جيشه سوف يتراجع ببطء تحت ضغط العدو الى الخط الذى يبدأ منه الهجوم ما لم تتبدل حالة قواته الجوية ومركز تموينه تبدلا أساسيا شاملا ٠

انسحاب رومل :

وقد وضع رومل خطة الانسحاب ونفذها بدقة الا أن بوادر هـذا الانسحاب لم تغب عن أعين البريطانيين ومـع أن أوامر مونتجمرى كانت صريحة فى عدم التعرض لمواقف تتكبد فيها الطوابير البريطانية خسـائر كبيرة فقد كان للحماس الذى شعرت به هذه القوات أثر كبير فى تقليل قيمة الخسائر التى كان من الممكن أن تمنى بها قوات رومل ٠

وقد كتب رومل فى تقريره عن اليوم الرابع من سبتمبر يقول لقد كلف الهجوم الليلى الذى قام به البريطانيون على الفيلق الايطالى العـاشر قواتهم خسائر جسيمة بما فى ذلك كثير من القتلى ومائتـا أسير ومعهم البريجادير جورج كليفتون الذى هرب فى أثناء الليل من دورة المياه ، ولكنه عاد ووقع فى الاسر بعد ذلك بيومين بين يدى بعض الضباط الالمان الذين كانوا يقومون بصيد الغزال ٠

وقد واصل رومل انسحابه طول اليوم موجها بعض الضربات هنا وهناك ضد قوات فرايبورج ، ونوه فى تقريره الى القيادة العليا فى تلك الليلة عن النجاح الذى حققه فى صد بعض هجمات قام بها البريطانيون وعاد الى الشكوى مرة أخرى من سوء حالة التموينـات وخاصة البترول وبالرغم من ان احدى الناقلات أفلحت فى تفريغ ٨٠٠ طن من الزيت الا أن ما لديه منه لن يكفيه أكثر من اسبوع ٠

وفى الجبهة الاخرى وصـل الكسندر لبحث الموقف مع مونتجمرى الذى اقترح عدم تنفيذ الخطة التى تقضى بسد الثغرة المجـاورة للجنرال فرايبورج وصدرت اليه الاوامر بالانسحـاب فى حين تسـتمر دوريات جيتهاوس ورنتون فى نشاطها المعتاد ٠ كما تبين أن الجنرال كار لم يقم

بنشاط يذكر نظرا لان حركة قواته المتحركة على الرمال الرخوة قد عطلت دباباته وانخفض العدد الصالح للاستعمال الى ٨ كروساور و ١٥ سنيوارت

ثم استأنف الطيران البريطاني هجماته على تجمعات العدو ليلا حول راجيل • وفي فجر اليوم الخامس من سبتمبر لوحظ أن العدو تمكن من الانسحاب بضعة أميال أخرى غرب الحميمات وجاء في تقرير رومل تلك الليلة أنه عزم على ألا يعود مباشرة الى خطوطه الاصلية الســـابقة ولكنه سيتوقف عند خط الألغام البريطاني في حين يقوم الفيلق الافريقي بحماية خطوطه الخلفية •

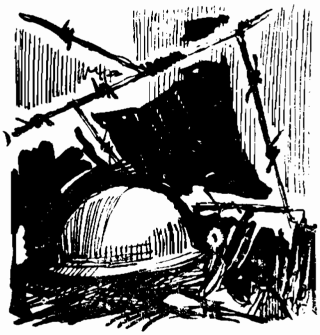
نتائج معركة علم الحلفاء :

أما تقرير مونتجمرى فقد كان مشوبا بالتفاؤل اذ يذكر أن معركة العلمين التى استمرت ستة أيام تمخضت عن دفع العدو ببطء بعيدا عن منطقة الجيش الثامن كما تم الليلة دفع قواته الخلفية الى منطقة حقـــول الالغام شمالى الحميمات وقد واصـــل الجنرال مونتجمرى تقريره مهنئا قواته على الهزيمة الباهرة التى لحقت طوابير الالمان المهاجمة قائلا انهـــا سوف تكون ذات آثار بعيدة المدى •

وقد مرت تلك الليـــلة هادئة بالنسبة للجانبين وبذا انتهت معركة العلمين وقام كل من رومل ومونتجمرى بارسال تقرير مطول الى قيادته فذكر رومل مرة أخرى قـــوة نيران المدفعية البريطـــانية الا أنه تيسر له النجاح دائما فى تفاديها وصد كل هجـــوم اليه من الدبابات أو وحدات الاستطلاع البريطانية وادعى أنه استطاع أن يدمر خلال المعركة ١٢٤ دبابة وعربة استطلاع كما دمر ١٠٠٠ مركبة أخرى وعشرة مدافع و ٢٢ مدفعا مضادا للدبابات ووقع فى يده ٤٠٠ أسير • أما خسائره فقدرها ب ٣٦٩ قتيلا و ١١٦٣ جريحا و ٢٧٢ مفقودا وبلغت خسائر الايطاليين ١٦٧ قتيلا و ٥٨٧ جريحا ، و ٢٩٧ مفقودا كما فقد جيش افريقية الالمانى ٣٦ دبابة ألمانية ، و ١١ دبابة ايطالية وعربة استطلاع مصفحة • وقدر خسائره فى العربات الاخرى ب ٢٧٧ عربة ألمانية و ١٩٧ ايطالية وكذلك ١١ مدفعــا ألمانيا ، ٦ مدافع ايطالية و ٢٠ مدفعا مضادا للدبابات ألمانيا و ١٦ ايطاليا، وقد عزا رومل معظم الخسائر الى هجمـــات ســـلاح الطيران البريطانى والقذائف البريطانية التى كانت تطلق باسراف وجنـــون ثم انتقل الى احتياطه من البترول فذكر ان ما لديه لن يكفيه أكثر من ثمـــانية أيام

أما مئونته من الطعام وأنـــواع الامداد الاخرى ، فينتظر أن تكفيه ثلاثة وعشرين يوما أخرى ٠

أما مونتجمرى فقد تيقن أن قـــوات رومل لن تنـوى التراجع عن خطوطها الحالية ومن ثم أصدر أوامره صباح اليوم السابع من سبتمبر سنة ١٩٤٢ الى جميع قواته بالعدول عن اقتفاءات آثار الالمـــان أو أية مناوشات تهدف الى دفعه الى الوراء ٠



الفصل الخامس

الإستعداد

ولم يضع مونتجمرى لحظة واحدة بعد أن انتهت معركة علم الحلفا فى ان يقوم وكل من كان معه فى الجيش الثامن ببذل جميع الجهود استعدادا للجولة القادمة لسحق الالمان وهى ما عرفت فيما بعد بموقعة العلمين وقد بنيت خطته على أسس ثلاثة أولها تأمين مواقعه وتقوية استحكاماته باعتبار انها ستكون الخط الذى يبدأ منه الجيش الثامن هجومه وثانى هذه الأسس كان التدريب القوى بعد أن تبين له فى اثناء معركة علم الحلفا أن قواته ينقصها هذا الامر .

ولتحقيق الهدف او الاساس الاول شرع فى تهيئة ثلاثة حقول جديدة تحل محل الحقول التى أصبحت وراء جبهة العدو ـ أولها حول راجيل وانتهى العمل فيه يوم ١١ من سبتمبر والثانى على بعد ثلاثة أميال الى الشرق منه ويسير جنوب التل العارى الى سمكة جاب الله اما حقل الالغام الثالث فيقع بين هذين الحقلين .

الفيلق العاشر :

ولمواجهة المطلب الثانى وهو التدريب والثالث وهو التنظيم اتجهت نيته الى الاسراع باعداد الفيلق العاشر للقتال فعين الجنرال لامسدن قائدا له بعد تردد من جانبه واصرار من جانب الكسندر ورئيس أركان حربه ماكريرى وكان قد نقل بسرعة من الدلتا الى جبهة القتال فى الأول من سبتمبر فى أثناء المعركة ثم نقل قيادة الفرقة الرابعة الهندية لتحل محل قيادة الفرقة الخامسة الهندية على خط الجبهة كما استبدل الآلاى السابع الهندى بالآلاى التاسع الهندى أما بقية القوات الهندية فظلت دون تغيير .

ثم عمل مونتجمرى على تجميع فرقة الهايلاند رقم ٥١ لتعمل معه مرة أخرى تحت قيادة ديمبرلى حيث كان اثنان من آلاياته قد جلبا الى خط القتال فى حين ظلت باقى الفرقة بجوار القاهرة وقد حلت بعد ذلك فى العاشرة من سبتمبر محل الفرقة الرابعة والأربعين عند علم الحلفا أما الفرقة الرابعة والأربعون بقيادة هيوز فقد نقلت الى موقع التل العارى مكان الفرقة النيوزيلندية التى أرسلت الى شاطىء البحر بالقرب

من برج العرب لمدة اسبوع للاستجمام ثم ضمت الى الفيلق العاشر للتدريب فى المنطقة الواقعة شمالى وادى النطرون .

أما الفرقة السابعة المدرعة فقد سلخ منها آلاى السيارات السابع وضم الى الفرقة الاولى المدرعة وهكذا استغنى عن بوسفيل ثم زيتون فيما بعد نظرا لاشتداد الخلافات بينه وبين الجنرال هوردكسى فى أثناء معركة علم الحلفا ورغبة مونتجمرى فى تغذية قواده بدم جديد ، ومن ثم وقع اختياره على الجنرال جون هاردنج الذى كان نائب رئيس اركان حرب قيادة الشرق الأوسط فى القاهرة ثم ضم من قوات روبرتسى الآلاى الثانى والعشرين المدرع الى الفرقة السابعة وبعد ذلك بشهر تقريبا استبدل الآلاى المدرع الرابع الخفيف بآلاى الفرنسيين الاحرار الاول بقيادة الجنرال كونيج الفرنسى تحت قيادة الفرقة السابعة .

ثم تحركت الفرقة العاشرة المدرعة ومعها الآلاى الثامن المدرع فى اواسط سبتمبر الى منطقة التدريب غربى وادى النطرون وبذا تم تكامل الفيلق العاشر .. اما المشكلة التى كانت قائمة فهى ايجاد المشاة المتحركة أو آلايات المشاة راكبى اللوريات لخدمة المدرعات تكملة للفرقة له وفى أواخر شهر سبتمبر تكامل الفيلق العاشر حول وادى النطرون الثامنة ومن ثم ضم آلايا بقيادة كنشنجتون الى الآلاى العاشر كاحتياطى على مسافة مائة ميل خلف الجبهة .

الفيلق الثلاثون :

أما مشاكل الفيلق الثلاثين فقد كانت أقل كثيرا فبعد استبدال الفرقة الخامسة الهندية بالرابعة الهندية ووصول فرقة الهايلاندر ألحقت به الفرقتان التاسعة والعاشرة الاستراليتان وهما اللتان كانتا فى خط النار أصلا أما التغيير الأساسى فكان وصول قائد جديد للفيلق هو الجنرال أوليفر ليس وكان ليس مثله فى ذلك مثل هوركى من رجال مونتجمرى القدماء .

ومع هذه التغييرات الشاملة فى القيادات وفرز القوات وتجميعها على أسس جديدة لم تتوقف اعادة تجهيز القوات بالعتاد لحظة واحدة وكانت أهم التجهيزات هى الدبابات التى وصلت منها ثلثمائة دبابة امريكية طراز شيرمان فى الثالث من سبتمبر ومنذ انهاء معركة علم الحلفا بعد ذلك حتى بداية معركة العلمين فى ٢٣ من اكتوبر سنة ١٩٤٢ ارتفعت قوة الجيش الثامن فى الدبابات من ٨٩٦ الى ١٣١٥ دبابة منها ٢٨٥

شيرمان ، ٢٤٦ جرانت ، ٤٢١ كروســـادر ، ١٦٧ ستيوارت ، ٢٣٥ فالنتين ، ٦ مانيلدا ، ٣ تشرشل، ومن مجموع هذه الدبابات كانت ١١٣٦ دبابة تعمل مع الوحدات فى الخطوط الأمامية و ١٠٢١ دبابة جاهزة للعمل فى مساء ٢٣ من أكتوبر .

كما ظهر تقدم كبير فى عتاد الجيش من المدافع المضادة للدبابات اذ ارتفع عدد المدافع عيار رطلين من ٤٥٠ الى ٥٥٠ مدفعا ومن عيـــار ســـتة أرطال من ٤٠٠ الى ٨٥٠ مدفعا مما جعل فى الامكان تزويد كل كتيبة من المشاة بثمانية مدافع عيار رطلين وكل كتيبة سيارات بستة عشر مدفعا عيار ستة ارطال كما حصلت كل فرقة من الفرق المضـــادة للدبابات على ما يلزمها من مدافع باستثناء بطارية واحدة فى كل فرقة من فرق المشاة .. كما ضوعفت المدفعية المتوسطة فحصلت كل وحدة على ٥٢ مدفعا وارتفع عدد مدافع الميدان من ٢١٦ الى ٨٣٢ مدفعا .

وعلاوة على ذلك فقد عززت قوة الطيران الصحراوية حتى اصبح لها مجموعتان من المقاتلات المتحركة وجناحان من القاذفات الخفيفة ، وكانت خطة كونتجهام تنحصر فى الراحة أولا ثم تدريب اسرابه وعلى هذا خفف كثيرا من عمليات المقـــاتلات والقـــاذفات الخفيفة وسحب معظم طائراته الى القاعدة الرئيسية فى الدلتـــا أما عمليـــات القاذفات الثقيلة والمتوسطة فقد كانت موجهة على كل حال الى موانى العدو وقد كان عدد موجات الطيران البريطانى فيما بين ٦ من سبتمبر و ٢٢ من اكتوبر سنة ١٩٤٢ موجات كثيرة من الطائرات الثقيلة القاذفة للقنابل و ٩٠٣ موجات للقاذفات المتوسطة فى حين كانت موجات الطيران الامريكية ١٢٠ موجة أما هجمات الطائرات البريطانية فقد تركزت على طبرق فى حين تركزت هجمات الطائرات الامريكية على بنى غازى .

الكوماندوز الفاشلة :

وفى الوقت الذى كانت فيه هذه الاســـتعدادات قائمة على قـــدم وساق اجتمع القائدان العامان لقيادتى الشرق الأوسط وقررا القيـــام بعمليات متفرقة يشغلان بها العدو وهى العمليات التى عرفت فيما بعد باسم كوماندوز وكان هـــدف العمليـــة الاولى هو طبرق وقد تحمس الأميرال هاروود القائد الأعلى للقوات البحرية فى البحر الابيض المتوسط لهذه العمليـــة وكان من رأيه انزال قوات كبيرة عن طريق البحر تتمكن من قطع خط الرجعة على رومل الا أنه بعد بحث الأمر من جميع نواحيه

وقع الاختيار على يوم ١٣ من سبتمبر سنة ١٩٤٢ للقيام بهذه العملية وقد تكونت فرقة الغزو من وحدة الكوماندوز البحرية الحادية عشرة ومعها تجهيزات لتخريب وتدمير المدافع الثقيلة والمدافع المضادة للطائرات ومهندسون متخصصون فى التدمير والتعطيل وبلغ عدد أفراد الجماعة ٤٠٠ استقلوا المدمرتين سينج ، رولو الى موقع شمالى طبرق وفى الوقت نفسه كان على جماعة أخرى من ٤٥ جنديا النزول الى مكان فى الشرق من طبرق يعتبر منفذا للميناء ومعهم تجهيزات متخصصة فى تدمير أو تعطيل العتاد الذى تستولى عليه وبلغ عدد أفراد هذه الوحدة من جنود ومهندسين وخلافهم ٨٠ جنديا وتسند هذه الجماعة جماعة ثالثة مكونة من ١٠٠ جندى ومعها فصائل من وحدات اخرى يبلغ عدد رجالها ١٠٠ اخرى ونقلت جميعا من الاسكندرية بطريق البحر وكان على هذه الجماعات الثلاث بعد ضرب طبرق من الجو ضربا عنيفا ان تستولى على الميناء لمدة ٢٤ ساعة ثم تنسحب الى البحر أو اذا تسنى لها الاستيلاء على ما يكفى من سيارات وناقلات العدو ان تعدو بطريق البر الى راحة كفرة ، الا أن هذه العملية ذات الثلاثة الاجزاء لم يكتب لها النجاح المرجو فقد عادت الجماعة الاخيرة الى الاسكندرية قبل انجاز عملها وبرغم نجاح الجماعة الثانية فى الوصول الى المكان القريب من منفذ الميناء الا أن الجماعة الاولى لم تستطع أن تنزل أكثر من ١٥٠ رجلا بعد أن تعرضت لنيران شديدة كما أن هذا العدد لم ينجح فى أداء المهمة الموكولة اليه .. وقد اسفرت هذه العمليات عن خسائر بلغت ٧٠٠ رجل قتل منهم حوالى مائة وأخذ الباقى أسرى فى حين أصيب من رجال الألمان والايطاليين حوالى ١٨٠. كما أغرقت المدمرتان البريطانيتان سينج ورولو فى أثناء العودة بفعل طائرات الألمان .

وصلت بعض سفن الاسطول البريطانى التى نجت منهم الى الاسكندرية وجدير بالذكر ان مونتجمرى لم يحبذ هذه العمليات منذ البداية ولم يكن له دور فيها وعلى هذا لم يدهشه فشل هذه العمليات اما مركز القيادة العليا فى القاهرة فقد اعتقد انه بهذه العمليات استطاع أن يشغل بعض قوات رومل بالمحافظة على خطوطه الخلفية ولو أن الدليل لم يقم على ذلك الا أن هذه الحملات جلبت معها معلومات لها قيمتها فقد تأكد لدى مخابرات القيادة العليا فى القاهرة أنه ولو أن رومل ليس فى موقف يسمح له بالقيام بالهجوم قبل شهر نوفمبر الا انه يحتفظ بمراكز دفاع قوية على جبهته وانه اذا تقدمت قواعد الطيران البريطانى الى الغرب قريبا من طبرق فربما لن يستطيع استعمال الميناء

كما أن الانسحاب قد يسىء الى خطوط تموينه ومشكلة تعزيزاته اساءة بالغة وبالرغم من المتاعب التى تواجهه فلا شك انه بحلول آخر اكتوبر يكون قد تجمع لديه من الامداد والمئونة والعتاد ما يكفيه ثلاثة أو أربعة أسابيع من العمليات الحربية اما اذا أعطى الاولوية للتموينات والتجهيزات كما هو متوقع على التعزيزات فلن يمكنه أن يعزز جيشه بالفرقة الالمانية الثانية والعشرين قبل الأول من نوفمبر وربما يكون قد عزز قواته بما يتردد بين ٢٠ و ٢٥ دبابة أسبوعيا ولا شك أنه عزز قوات طيرانه بعدد من المقاتلات لتقوية دفاعه .. هذه الصورة التى رسمتها المخابرات البريطانية بعد اغارات الكوماندوز على طريق بنى غازى فيما بعد .

خطة الهجوم البريطاني :

وفى اليوم التالى عقد مونتجمرى اجتماعا لكل قواد الفرق مع رؤساء أركان حرب كل فرقة شرح فيه خطته ، وتتلخص فى خداع العدو ثم القضاء عليه بهجمات شديدة توجه الى جناحيه حيثما كانا . أما الضربة الرئيسية فسوف تكون فى الشمال حيث تقوم قوات الجنرال «ليس» بفتح ثغرة هناك يمر منها الفيلق العاشر تحت لواء لامسدن ثم يحتل المواقع التى يراها مناسبة مدمرا خطوط تموين روميل.. وعندئذ ستقوم دبابات روميل بالهجوم وتقضى الخطة فى هذه الحالة بتدميرها وفى هذه الأثناء يقوم هوروكسى على رأس الفيلق الثالث عشر بالهجوم على الألمان فى الجنوب وبذا يشغل دبابات العدو مما يخفف الضغط على الفيلق العاشر فى الشمال .

ولقد أصر مونتجمرى على أنه من الضرورى على الآلايات المصفحة ان تكون فى المواقع التى حددت لها وجاهزة للعمل قبل فجر اليوم الأول للهجوم ولن يكون على هذه الآلايات ان تشغل نفسها بالقتال فى الساعات الأولى فى حين تتجه الى المواقع المحدودة لها ثم ان العمليات التى يقوم بها الفيلق الثلاثون لن يكون لها من هدف سوى تمكين الفيلق العاشر من اختراق الثغرة دون مقاومة ومن الوصول الى تل المطيرة وتمكين الفرقة النيوزيلندية التابعة له من الاستيلاء عليه ثم على هذا الفيلق نفسه بعد ذلك (الفيلق العاشر) أن يستدير فى عكس اتجاه عقرب الساعة فاذا ما ثبت فى المواقع المرسومة له بادر بانتصار على طرق تموين العدو . أما ما يحدث بعد ذلك فسوف يتوقف على رد الفعل عند روميل فقد يشرع روميل على الفور فى مهاجمة الفيلق العاشر فاذا لم يفعل ذلك كان على هذا الفيلق أن يهاجم جناح روميل المدرع وفى كلتا

الحالتين : اذا أمكن تدمير مدرعات رومل أصبح تطويق جيشه أمرا غير محفوف بالصعاب ..

وكانت هـذه الخـطة موضع تدريب قاس عنيف وبالرغم من ان الخطوط العريضـة لهذه الخطة لا ينبغى الـكشف عنهـا أو أن تكون معروفة الا فى نهاية شهر سبتمبر وذلك للقـواد حتى قائد الآلاى فان السرية الخاصـة بيوم الهجـوم كانت لا غنى عنها .. وبعد رحيل تشرشل فى الثالث والعشرين من أغسطس مارا بالقاهرة فى طريق عودته توقع أن يبدأ الهجوم فى الثانى والعشرين من سبتمبر وهو اليوم الواقع فى أول فترة اكتمال القمر وقد كان هذا التاريخ هو أبعد تاريخ يستطيع قبول تأخير الهجوم اليه نظرا لمطالب عملية « تورشن » وهى النزول فى شمالى افريقية وما وصلت اليه الأمور من سوء بالنسبة لمالطة ٠

ثم ظهر فجأة على الأمريكان عدم الارتياح لانزال قواتهم فى البحر الأبيض المتوسط مما أدى الى تأخير الهجوم فى جبهة العلمين وقد راود تشرشل الأمل فى نهاية أغسطس ان عمليـة تورشن قد تتم فى ١٤ من اكتوبر ولكنه أدرك ولا سيما بعد معركة علم الحلفا ان البـدء فى هـذه العملية سوف يتأخر الى نهاية اكتوبر وبدا انه من الضرورى ان يكون مونتجمرى قد حقق نصرا باهرا قبل هذا التاريخ مما يشجع الفرنسيين فى شـمالى افريقيـة بالترحيب بالحملة الانجلو أمريكيـة بدلا من مقاومتها ، أما العـامل الآخر الذى كان يدعو بالتعجيل فى الهجوم فهو موقف مالطة لقد كان وصول البترول ضروريا جدا لتمـوين القـوات الجوية وطائرات الأسطول من مالطة الا أن ما لديها من البترول لم يكن يكفى الا لليوم الثانى والعشرين من نوفمبر وقد يكفى ما لديها من مئونة حتى أوائل ديسمبر ما لم تستطع طائرات العدو تدمير المسـتودعات والمخازن ومعنى هذا انه كان ينبغى وصول قوافل المئونة والتموينات الى مالطة حوالى منتصف نوفمبر ، وحتى تتمكن أية قافلة من الوصول الى مالطة فى هذا التاريخ يجب أن تكون المطارات، حـول بنى غـازى فى ايد بريطانية حوالى أوائل نوفمبر ٠

ولقد رأى مونتجمرى أنه لن يستطيع بأية حال القيام بهجوم فى فترة اكتمال القمـر خلال سبتمبر لأنه لم يكن قد مر على موقعة علم الحلفا سوى أسبوعين ولن يكتمل القمر بعد ذلك الا حوالى اليوم الرابع والعشرين من اكتوبر فهل يستطيع أن يبدأ هجومه قبل هذا التاريخ وفى غياب القمر ؟ وهل سيكون مستعدا لهذا الهجوم ؟؟ ان اهم مشكلة أمامه

هى تطهير ثغرات فى حقول الغام العدو تخترقها قواته ولا يمكن لقوات المشاة المهاجمة الاستيلاء على مواقع بين الغام العــدو واستحكاماته ثم تطهير هذه المواقع ووضع العلامات المتفق عليها لمرور المدرعات فى وضح النهار فى الصحراء كما انه يفرض نجاحها مع كثير من الخسائر فقد كان من المحقق أيضا أن مرور أنسب الأوقات لهــذه العمليــات جميعا هو ضوء القمر ولا سيما أنه كان ينبغى اتمامها جميعا فى ليلة واحدة وعلى هذا وقع اختياره على ليلة ٢٣ من اكتوبر ســنة ١٩٤٢ لتكون ســاعة الصفر . حتى تكون تدريبات الفيلق العاشر قد أكملت نهائيا ولم يقبل ان يحدد يوما آخر قبل هذا التاريخ بأية حال من الاحوال .

ادرك الكسـندر أن لندن لن ترحب بهذا القرار وعلى الفور توجه لزيارة مونتجمرى لمناقشة الأمر معه الا أن هذا الاخير اقنعه بوجهة نظره قائلا انه يفضل الاستقالة من منصبه على قبول أى تعديل لقراره وكان لانتصاراته بعد معركة علم الحلفا أثر كبير فى شعوره بقوة مركزه .

ثورة تشرشل لتأخير الهجوم :

الا أن تشرشل لم يهدأ له بال فبعث برقية الى الكسندر فىالسابع عشر من سبتمبر سنة ١٩٤٢ فى الوقت الذى تهرب منه آلان بروك وقام برحلة قصيرة فى يوركشير وذكر أنه يتلهف على معــرفة ما استقر عليه رأى الكسندر وانه يوافق على تحديد الأسبوع الاخير من سبتمبر موعدا للهجوم ولكنه سمع الآن ان معركة علم الحلفا التى انهكت العدو استلزمت بعض التأخير الضرورى للقوات البريطانية قبل أن تشرع فى الهجوم بحجة اعادة تجميع القوات الى آخره واستطرد قائلا انه عاجز عن اتخاذ قرارات هامة فى شئون أخرى ما لم يتيقن تماما متى يتم الهجوم المنتظر ولقــد ابلغ الكسندر رئيس الوزراء رده بالموعد الذى حدده مونتجمرى والأسباب التى دعته الى تحديده ولقد سبب هذا الرد قلقا بالغا لتشرشل والواقع أنه تمت بينه وبين الكسندر محادثة تليفونية لا يمكن وصفها بانها كانت هادئة ولم يكن بروك قد اطلع على رد الكسـندر بعد مضى اليوم التالى بعد اطلاعه عليه اتصل بتشرشل تليفونيا وابلغه أنه يتفق فى الرأى مع كل من الكسندر ومونتجمرى ولكنه لم يستطع أن يثنى رئيس الوزراء عن الضغط على الكسندر لتحديد موعد مبكر للهجوم واعتقاده ان التأخير ليس فى مصلحة أحد سوى العدو الذى كلما انفسح له الوقت استطاع ان يقيم استحكاماته المنيعة .. وبعد ذلك بيومين بالتحديد فى الثــانى والعشرين من سبتمبر حدد الجنرال ايزنهــاور اليوم الثامن من نوفمبر

موعدا لبدء عملية تورشن (النزول فى شمالى افريقية) ووافق مجلس الوزراء على ذلك .. وفى اليوم التالى فوجىء آلان بروك بمشروع برقية اعدها رئيس الوزراء الى الكسندر وبعد مناقشة الموضوع مع تشرشل مؤكدا له ان مثل هذه البرقية لو ارسلت ستجعل الكسندر يعتقد انه ليس محل ثقة ، ثم مواصلة تشرشل على ترديد القــول بأن من عادة قواد الجيش المطالبة بأن يكون كل شىء قد وصل الى درجة الكمال قبل ان يشرعوا فى الهجوم مما يعطى الفرصة للعــدو ايضا بان تكتمل قواته ومعداته وتدريب جنوده ـ استطاع الكسندر أن يقنع تشرشل بوجهة نظر قيادة الشرق الاوسط ٠٠ نعود الآن الى جبهة الجيش الثامن لقد كان الغرض من التدريب أولا الوصول الى الوسيلة التى يمكن بها الاستيلاء على جزء من حقول ألغام العدو بوساطة المشاة ثم تطهير هذا الجزء من الألغام وتحديد علامات للطريق التى تسلكها بعد ذلك المصـــــفحات مسترشدة بهذه العلامات وحماية قوات المشاة التى تقوم بكل هذه الاعمـــــال من هجمات العدو على أن يتم اختراق خطوط العدو من كل هذه العمليـــات السابقة فى ظرف عشرة ساعات على الاكثر فى اثناء الليل ٠

تدريب قوات الجيش الثامن :

وتحقيقا لذلك فقد أنشئت مدرسة الجيش الثامن لازالة حقول الالغام وقامت بتدريب فرق دراسية من ٥٦ وحدة هندسية مختلفة قبل بدء المعركة ٠

ولقد جربت بعد ذلك مصفحات صغيرة أطلق عليها اسم العقرب لاكتشاف مواقع الالغام الا أن الفيلق الثلاثين والفيلق العاشر حبذا عدم استعمالها ومن ثم تقرر الاعتماد على أجهزة كشف الالغام التقليدية وقد وصل منها الجيش الثامن ٤٩٩ جهازا زود الفيلق الثلاثون باثنين ومائتى جهاز منها والفيلق العاشر بمائة وثمانين جهــازا والفيلق الثــالث عشر بمائة وسبعة عشر جهازا كما أعدت مصابيح خاصة لهذه العمليــة بلغت ٨٨٧٧٥ علاوة على ١٢٠ ميلا من الشريط المستعمل فى تحديد الطريق ذهب معظمها الى الفيلق الثلاثين ولقد تم تدريب قوات المشاة تدريبــا عنيفا قاسيا حتى أدركت كل وحدة الدور الذى ستؤديه ادراكا عمليا تماما ..

اما القوات الميكانيكية فلم يكن أمرها هينا وذلك أن هذه القوات كانت ترابط فى الجبهة ويحتاج تدريبها الى فراغ كبير من الارض تستطيع فيه أن تؤدى تدريباتها المختلفة على أوسع نطاق مما اضطر القيادة الى

سحب آلايات متفرقة الى الخطوط الخلفية وفي بعض الأحوال الى أماكن بعيدة من الخطوط الخلفية لاتمام تدريبها تدريبا عمليا على الطبيعة ثم اعادتها وسحب غيرها ..

هذا من جهة التدريب أما من ناحية المحافظة على سرية هذه العمليات وسرية الخطة بأكملها فقد صدرت الأوامر صارمة بمنع أى من الأفراد أو القوات مخافة أن تتسرب من أحد منهم كلمة طائشة هنا أو هناك أو قد ينتزعها منهم عملاء المحور (روما ــ برلين) المنتشرون فى كل مكان ولم يبلغ ضباط الفرق من الرتب التى تلى قائد فرقة بالخطة الا فى اليوم الحادى والعشرين من اكتوبر فى حين أعلن موعد الهجوم للجنود فى اليوم الثانى والعشرين وللبعض الآخر فى اليوم الثالث والعشرين وقد اتخذت الاحتياطات اللازمة لاعتبار الجنود الذين حل عليهم الدور للقيام باجازتهم الاعتيادية فى ٢٣ من اكتوبر انهم فى غير عداد الجيش المهاجم ... وفى أوائل اكتوبر فرض نظام تحديد الاغذية على الجنود حتى اعتادوا عليه بضعة أيام وكان الغرض من ذلك أنه اذا لزم الأمر وفرض هذا النظام فيما بعد فى أثناء المعركة فلا يثير أى تذمر بين الجنود ... وفى اليوم السادس من اكتوبر أصدر مونتجمرى أمرا مشددا بعدم السماح لأى زائر دخول المنطقة التى يحتلها الجيش الثامن دون اذنه شخصيا .. وحتى يصبح من المستحيل على من يقع فى الأسر من الجنود أن يعطى معلومات تفيد العدو فلم يكن يسمح الا لجنود الخط الأمامى الذين يجهلون الكثير مما يجرى خلف خطوطهم فى القيام بالدوريات فاذا ما أسر أحدهم كان ما يمكن أن يستنطقه العدو منهم لا يفيده شيئا أما المهندسون الذين قاموا بالتدريب فى الخطوط الخلفية فلم يكن يسمح لهم بالذهاب الى الخطوط الأمامية لأخذ فكرة عن الألغام الألمانية التى سوف يقدر لهم شق الطريق خلالها مخافة أن يقع احد منهم أسيرا فى يد العدو وحتى يوم الهجوم ذاته كان محظورا على أى فرد من القوات أن يأخذ خريطة معه الى الخطوط الأمامية ..

وبالرغم من أن حركة النقل فى القطاع الشمالى من خط الجبهة كانت تتم فى حذر وفى أضيق الحدود الا أن هذه الحركة كان يسمح لها أن تتم فى أوسع نطاق فى القطاع الجنوبى حتى يتوهم العدو أن الهجوم سوف يبدأ من هذا القطاع ولقد وضعت فى هذا الجزء أيضا دبابات ومدافع ميدان وهمية وزيادة فى تعمية العدو فقد مد خط أنابيب وهمى للمياه يبعد عن الخط الأصلى بأربعة أميال وأنشئت على الخط الوهمى طلمبات وهمية أيضا الى الشرق من سمكة جاب الله .

الروح المعنوية :

وكان مونتجمرى يؤمن بأنه كى يكسب النصر ينبغى أن يكون الجنود على أحسن حال جسمانيا وصحيا وعقليا ونفسانيا ومن ثم كرس جهده للاحتفاظ بروح عالية بين الجنود ولم تقتصر حركة التطهير على القواد الكبار فى جيشه ولكنها امتدت الى جميع الرتب وكان يشرف على كل صغيرة وكبيرة بنفسه مذكرا أن واجب الجندى يتعارض تعارضا تاما مع الاستسلام وانه يتلخص فى اطاعة الاوامر وضرب العدو ثم ضربه ومعاودة ضربه حتى يتم سحقه ولا غرو أنه باقتراب اليوم المحدود للهجوم كان ظهور الثقة والعزم قد سادا القوات المحاربة كلها كما سادها أيضا روح الخشونة والرغبة الشديدة فى القتال .

وكان مونتجمرى قد أدخل تعديلا طفيفا على خطته يقضى بألا يتجاوز الفيلق العاشر الموعد المضروب له لاختراق حدود العدو بدقيقة واحدة حتى ولو لم يتمكن الفيلق الثلاثون من انجاز مهمته كلها فى انتزاع الألغام ووضع علامات الطريق وتمهيده لقوات الفيلق العاشر المتحركة الا أن قائدى الفيلقين الجنرال لامسدن والجنرال ليس ساورتهما بعض الشكوك فى النجاح الذى يمكنها احرازه مع التعديل . ولقد أوضح قواد فرق المستعمرات الثلاث وهم فرايبورج ومورسهيد وبينهار الى « ليس » قائد الفيلق أنهم لا يطمئنون الى قدرة القوات الميكانيكية على اختراق الخط المعادى اذا لم تستطع قوات المشاة بالفيلق الثلاثين تطهير الطريق أمامهم وحتى بفرض اختراق استحكامات العدو دون انجاز المشاة لكامل مهمتهم فان الخسائر التى تصيب البريطانيين من جراء ذلك سوف تكون جسيمة . وعندما أفضى « ليس » بهذه المخاوف الى مونتجمرى كان رد الأخير مقتضبا واضحا وهو يتلخص فى صورة اختراق الفيلق العاشر كل ما أمامه من استحكامات فجر يوم ٢٣ من اكتوبر ولو اضطر الى اكتساح وحدات الفيلق الثلاثين البريطانى فى زحفه ولا شك أن مونتجمرى كان حينئذ واقعا تحت تأثير ذكريات مريرة منذ الحرب الاولى حينما كانت قوات المشاة تتوقف فى أثناء هجومها فتعطى الخصم فرصة ذهبية يستطيع أن يعزز فيها استحكاماته فى المنطقة التى يزحف اليه منها الهجوم ولا بد أنه أدرك كذلك أن ما لديه من قوات المشاة غير كاف لكى يجعل هجومها أكثر عمقا .

ولقد زخرت الايام القليلة السابقة على المعركة بالنشاط المستمر

والتقدم الى المواقع الأمامية المحدودة أما كبار القواد فلم يكن هناك ما يشغلهم فى تلك الفترة ..

ولقد عمد الكثير منهم الى الراحة أو كتابة الخطابات لذويهم والاستماع الى الموسيقى داخل منطقة الجيش الثامن ولم يخالف أحد منهم الامر الصادر بعدم مغادرة هذه المنطقة سوى « جينجاند » الذى قضى يومين فى الاسكندرية وكان انتظار اليوم الثالث والعشرين وخاصة بالنسبة للفيلق الثلاثين الذى سيبدأ الهجوم انتظارا مملا طويلا ولا سيما أنه كان على أفراده أن يقضوا اليوم الثالث والعشرين فى سكون وخفية وقد تكأكأ المشاة فى خنادقهم الضيقة والتى لم يكن مسموحا لأى فرد منهم مغادرتها حتى ولو كان ذلك لقضاء الحاجة ولم يكن أمامهم سوى الانتظار .

وبدا مونتجمرى واثقا من النصر فنقل مقر قيادته شمالا بجوار الشاطىء بالقرب من قيادتى لاوسدن وليس وكان قد أصدر فى أمره اليومى فى هذا الصباح ضراعة الى الله القادر أن يؤازرهم النصر ثم قرأ جرائد الصباح وتوجه بعد الظهر الى مركز قيادة « جينجاند » حيث تناول الشاى فى الرابعة والنصف ثم تناول كتابا قرأ فيه حتى موعد العشاء وتوجه الى فراشه مبكرا بأمل اصابة قليل من النوم قبل رعد المدافع ..



الفصل السادس

غروب الأمل

فون شتوم يحل مؤقتا محل روميل فى أثناء غيابه :

وبينما تحدد الشعور بالثقة والقوة لدى الجيش الثامن كان جيش البانزر الافريقى فى الجبهة المعادية ينظر الى المستقبل بعين يشوبها التشاؤم وفى بعض الاحيان فى يأس شديد زاد من حدته غياب رومل ذلك القائد الملهم عن الجبهة .. فلم يخامره شك فيما تخبئه له الأقدار فزادت حالته سوءا مما دعا طبيبه الخاص البروفسور هورستر أن يصمم على ذهاب رومل الى أوربا التماسا للراحة بضعة أسابيع على الأقل وقد اتخذت الترتيبات الخاصة باحلال الجنرال شتوم محل المارشال رومل فى أثناء غيابه ويبلغ الجنرال شتوم السادسة والخمسين وسبق له قيادة فرقة البانزر السابعة خلفا لرومل كما سبق له قيادة فيلق ألمانى فى الجبهة الروسية .. وكان رومل يعتقد أنه ليس أمامه سوى أسبوعين لاعادة تنظيم جيشه واعداده لمقابلة هجوم مونتجمرى الذى قدر أنه سيتم فى بحر أربعة أسابيع ومن ثم أرسل فرقة البانزر الخامسة عشرة الى ساحل البحر لمدة أسبوع للاستجمام تعود بعده الى موقع جنوب غربى سيدى عبد الرحمن أما فرقة البانزر الحادية والعشرون فقد اتخذت مواقعها فى الجنوب الى الشمال الغربى من جبل الكلخ .. أما فيلق استفانى العشرون فقد انشطر الى قسمين فألحقت منه فرقة ليتوريو بالبانزر الخامسة عشرة فى الموقع الشمالى والحقت فرقة آرابيت بالبانزر الحادية والعشرين فى الموقع الجنوبى أما فرقة تريستا فقد كانت تعمل بمثابة احتياطى القطاع الشمالى جنوبى الفرقة التسعين الخفيفة التى اتخذت مواقعها على الساحل الى الشرق من الدابة .

أما فيلق نافارينى الحادى والعشرون فقد ظل محافظا على خطوطه فى القطاع الشمالى وهى المواقع التى تمتد جنوبا الى جرف الرديسات فى مواجهة الفيلق البريطانى الثلاثين فى الجانب الآخر من الجبهة .. ثم مهد الى كتيبتين من آلاى راماكة تعززهما وحدات ايطالية بالقطاع الضيق الممتد من الساحل حتى الخط الحديدى فى حين رابطت الفرقة الرابعة والستون على قدسى الجبهة الممتد جنوبا حتى تبة الكلية أما تل المطيرة فقد احتلت مواقعه فرقة ترنتو الايطالية تعززها وحدة من المظلات الالمانية وتواجهها من الشرق فرقة بولونيا وتمتد خطوطها الى جوف الرديسات

تعززها كتيبتان من المظلات الالمان أما فى الجنوب فقد رابط فيلق أدرزى العشرون ويتكون من فرقة بريشيا الايطالية وكتيبتين من جنود المظلات الالمان فى حين عهد الى خط الجبهة الممتد من جنوبى تل المناصب الى الحميمات الى الفرقة الخمسين • أما عن هضبة الطاقة فقد عهد بها الى فرقة بلفيا التى جلبت حديثا ، أما الجناح الجنوبى فى منطقة الرمال الرخوة فقد دافعت عنه وحدة كبيل ومعها وحدة الاستطلاع الالمانية الثالثة والثلاثون •

وكان الهدف الذى يرمى اليه رومل هو ارغام البريطانيين على الخروج الى معركة متحركة يعتقد أن النصر فيها سيكون حتما من نصيبه نظرا لتفوقه فى هذا النوع من المعارك • أما الآن ومع الزيادة العددية المتواصلة للجيش الثامن فى الرجال والعتاد فان المهارة القائمة التى يتمتع بها لن تجديه شيئا •• ذلك أنه بينما ازدادت قوات الجيش الثامن فى العتاد الميكانيكى فان القوات الميكانيكية التى عززت جيش رومل وصلت دون عربات النقل مما جعلها ــ وذلك نقلا عن أحد تقاريره ــ لا فائدة منها فى الصحراء المكشوفة •• ثم كان هناك عاملان آخران وهما التعزيزات الهائلة التى حصل عليها طيران الشرق الاوسط البريطانى والنقص المتزايد لدى جيش البانزر الافريقى من البترول هذه العوامل جميعا أرغمته على أن يركز دفاعه وعلى أن يكون هذا الدفاع مقصورا على خطوط الاستحكامات التقليدية تحميها قوات من المشاة وأقصى ما يمكن من حقل الالغام مع ما فى ذلك من تعرض خطير لمدفعية الجيش الثامن ولكن كان عليه أن يقبل هذا الوضع حتى يتفادى اختراق خطوطه مهما بلغ الثمن •

واعتقد رومل أن الجيش الثامن سوف يهاجم فى بضعة مواقع على خط الجبهة فى وقت واحد وعلى هذا قرر القضاء على أى هجوم فى الحال والقيام بهجوم مضاد فى كل المواقع التى يهاجمها الجيش الثامن وعدم تمكين هذا الجيش من اختراق خط الاستحكامات فى أى موضع من مواضعه وحتى لا تندفع القوات المهاجمة البريطانية من النقطة التى تتمكن من اختراقها ، وتحقيقا لهذا الغرض فقد أعدت مواقع الدفاع الرئيسية بشكل يمكنها من المقاومة أطول وقت ممكن الى أن تخف لنجدتها قوات البانزر للقيام بالهجوم المضاد حتى مع فرض التعرض لضربات جوية ساحقة •

وتنفيذا لهذه الخطة فقد أصر رومل قبل سفره على ضرب القوات الالمانية والايطالية معا اعتبارا من الفيالق الكبيرة حتى الكتائب وعلى

سبيل المثال نجد ان الفرقة الرابعة والستين الالمانية وفرقة ترنتو الايطالية قد امتزجتا تماما مع بناء قطاعيهما المنفصلين بالاسم أما مراكز القيادة الايطالية والألمانية فقد اتخذت مواقع متجاورة حتى تتمكن الثانية من ابداء الاقتراحات للأولى وقبل ان يغادر روميل شمالى افريقية للاستجمام أعطى أوامر تحوى تفاصيل دقيقة عن كيفية تنظيم مواقع الدفاع ٠ منها أن تحمى حقول الالغام القائمة على مراكز فرعية بعضها يقع فعلا فى حقول الالغام فى حين يقع البعض الآخر خلفها على أن تعتبر هذه المواقع مواقع متفرقة ..أو مواقع خارج خط الدفاع على أن تقام على الحافة الخلفية لحقول الالغام المواقع والاستحكامات الرئيسية ويرابط فى كل موقع منها كتيبة مجهزة بوحدات من مدافع ٥٠ مم المضادة للدبابات وترابط سرية منها فى الموقع المتقدم والباقى فى الموقع الخلفى وراء حقل الالغام وتحتل الكتيبة مساحة من الارض تبلغ ١٥٠٠ ياردة حولها و ٥٠٠٠ ياردة فى العمق وبذا يستطيع أن يقضى على كل أثر للمفاجأة بين قواته اذا هوجمت نظرا لان القوات المهاجمة ستجد مقاومة شديدة فى المركز المتقدم فاذا اخترقته كان عليها أن تجتاز حقول الالغام فاذا تخطتها تصدت لها نيران المركز الخلفى وعطلتها حتى تصل القوات الميكانيكية المتحركة وتسحق القوات المهاجمة وهذه الخطة ان دلت على شيء فهى تدل على المهـــارة والحنكة التى يتمتع بهما رومل ولم يكن كثيرا على هذا الرجل العبقرى أن يكون مؤلف كتيب الجيش الالمانى فى تكتيك المشاة وبعد احكام خطة الدفاع استعد رومل لتسليم مهام منصبه الى الجنرال شتوم الذى وصل فى ١٩ من سبتمبر ولم تكن المهمة بالنسبة لهذا الاخير مما يحسد عليها فلن يتسنى له أن يتمتـــع بالمنزلة التى لدى رومل فى قلب كل جنـــدى فى جيش البانزر الافريقى كما لم تطلق له حرية العمل اذا وجه البريطانيون هجومهم على أن يعود ويترك القيادة لرومل الذى سوف يعود على الفور ، ولم يكن رومل هو الوحيد الذى أصيب بالمرض فقد مرض كذلك رئيس أركان حرب الجنرال جوسى كما أصيب وستفال بمرض الصفراء أما ميلينثين فقد وقع فريسة الدوسنطاريا .. وفى خلال الاسبوعين التاليين استقبل كل من الفيلق الافريقى والفرقتين الالمانيتين قوادا جددا فقد تولى قيادة الفيلق الجنرال فون توما وحـــل الجنرال فون راندو محـــل الجنرال بيسمارك فى قيادة فرقة البانزر الحادية والعشرين كما حــــل الجنرال جراف فون سبونك محل الجنرال كليمان فى الفرقة التسعين الخفيفة .

اجتماع روميل بهتلر وموسيلينى :

وعندما وصل روميل الى درنه عقـــد اجتماع حضره المارشـــال كافالليرد لبحث الموقف الشائك فى شمالى افريقية وطالب فيه روميل أن تصل كمية المؤن المرسلة الى شمالى أفريقية الى ٣٠ ألف طن فى سبتمبر و ٣٥ الف طن فى اكتوبر كما طالب بارسال كل عربة يمكن أن تشحن الى شمالى افريقية وأنه لا يستطيع أن يصد بنجاح معركة دفاعية بأقل من ثمانى شحنات يومية من المئونة وبما يكفى من البترول لكل عربة لمسافة ٢٠٠٠ ميل على الأقل ومن الطعام ما يكفى لمدة شـــهر مقدما وقد بذلت له الوعود كما هى العادة لتغطية مطالبه ولكنه عندما غادر درنه فى ١٣ من سبتمبر لم يكن على يقين من تنفيذ هذه الوعود وفى اليوم التالى تقابل مع موسيلينى وقدم له طلبا عاجلا باتخاذ اللازم نحو تحسن مركز التموين والامداد ولكنه استنتج من هذه المقابلة ومن مقابلته مع هتلر وجورنج فيما بعد أنهم يعتقدون أنه يبالغ فى تصوير الصـــعاب التى تواجهه ٠ فلم تسنى له من قبل القيام بمعجزات كانت تبـدو مستحيلة طبقا لفن التكتيك الحربى ؟ ولم يكن يساورهم الشك فى أنه يســـتطيع الاتيان بهذه المعجزات مرة أخرى ، وهـــكذا توجه روميل بقلب يفيض أسى الى سمونج فى النمسا ليقضى فترة الاستجمام ، وهناك أضـــناه التفكير فيما تستطيع قوة أمريكا الصناعية الحربية الهائلة أن تقدمه من عتاد ومئونة وأنه لن يتسنى للألمان أبدا احراز نصر دفاعى مالم تتجهز حملات عنيفة من الغواصات الألمانية للعمـــل فى الاطلنطى واغراق كل قافلة بحرية تغادر شواطىء الولايات المتحدة ولم تكن هذه الصـــورة القاتمة هى ما يدور بخلده فقد اتجهت أفكاره دائما الى جيش البـــانزر الافريقى ، ولم تكن الخطابات التى ترد اليه من فون شـــتون والجنرال وستفال الا لتزيد من ظلام الصورة فقد زاد سلاح الطيران البريطـانى قوة واشتدت هجماته على طبرق وأغرق هذا السلاح كثيرا من الشحنات المرسلة الى جيش البانزر خلال سبتمبر وأغرقت سبع سفن فى المدة من أول اكتوبر الى ٢٣ منه ولم تغرق جميع الشحنات حقيقة ولـــكن ما وصل منها الى جيش البانزر لم يصل الى مستوى الحد الأدنى الذى طالب به روميل ٠

ولقد كان لغياب روميل أثر كبير على معنويات جنود جيش البانزر الافريقى فلم تعد تراودهم الآن فكرة الاستيلاء على مصر ولم يكن التحسن كاملا فى صحة أفراد الجيش كله كما اشتدت عليهم وطأة هجمات الذباب وأخذت الخلافات تطفو بين الألمان والايطاليين الى السطح أولا فى محيط

القيادة ثم بعد ذلك بين الضباط الى أن وصلت طبقة الجنـــود أنفسهم مما دعا الايطاليين بالجهر فى القول أنهم سئموا الحرب ويتمنون لو وضعت أوزارها ، ولكنهم جميعا على كل حال عملوا بنشاط فى بناء الاستحكامات ومواقع الدفاع وبث الألغام نظرا لأن سلامتهم تتوقف على هذا النشاط وقد تم انشاء خـــط الدفاع الخلفى وراء خط الجبهة الأصلى فى ١٥ من اكتوبر من القطاع الشمالى أما فى الجنوب فقد نشط العمل فى تقـوية خط الألغام الأول والثانى أما المدفعية فلم تبد نشاطا يذكر توفيرا للذخيرة من ناحية وحتى لايعرف البريطانيون مكانها فيدمرونها فيما بعـــد واذا اضطرت الى الرد على المدفعية البريطانية كانت البطاريات لاتطلق النـــار الا بعد أن تنتقل من مواقعها ثم تعود الى هذه المواقع بعد الانتهـــاء من الضرب وبذا يتعذر تحديد قواعدها الأصلية ولقد مر اليوم الثـــــالث والعشرون على جيش البانزر الافريقى كغيره من الايام ولما استعد الجنود لتمضية ليلة هادئة وفى الساعة التاســـعة الا الثلث بالتوقيت الألمانى انصبت الحمم على مواقع الجيش الألمانى فأصـــبح خط الدفاع كله كتلة هائلة من النيران ٠



الفصل السابع

الضربة الأولى

٢٣/٢٤ من أكتوبر عام ١٩٤٢

في الساعة العاشرة الا الثلث بتوقيت القاهرة الصيفي (التاسعة الا الثلث توقيت الألمان) فتحت كل المدافع ، التي تسنى للجيش الثامن احضارها ، نيرانها الشديدة على الألمان وكان الغرض من ذلك تحقيق هدفين الأول هو اخفاء تحركات المشاة الى خط بداية الهجوم ، ثم توجيه ضربة قاصمة الى مدفعية الألمان • ان الفيلق الثلاثين بقيادة « ليس » كان لديه ٤٢٦ مدفع ميدان و ٤٨ مدفعا متوسطا في مقابل ٢٣٢ مدفع ميدان و ٤٠ مدفعا متوسطا و٢٤ مدفعا ثقيلا لدى الألمان في جبهة الهجوم الا أن مدى المدفعية البريطانية المتوسطة لم يكن يصل لأكثر من ٨٠ مدفعا ألمانيا من تلك المدافع وبذلك استمرت تقذفها بمعدل ٩٦ قنبلة كل دقيقتين وبذلك بلغ دور عدد القذائف ١٨٠٠ قذيفة قبل ساعة الصفر وقد لوحظ أن قذائف العدو ردا على ذلك كانت ضعيفة •

وقد كان من أثر هذا الضرب المركز أن ارتفعت الروح المعنوية لدى المشاة المهاجمين على حسب الخطة الموضوعة وقد كانت هناك بعض مخالفات طفيفة بالنسبة للتفاصيل الا أن التنفيذ في مجموعه كان يبعث على الارتياح فقد تقدمت وحدات المشاة خلف ستار نيران المدفعية بمعدل مائة ياردة لكل دقيقتين والاحتفاظ بمسافة ٣ ياردات بين كل جندي وآخر حتى وصلوا الى حافة حقل الألغام الأول بين صوت قصف المدافع من الخلف وصوت انفجار القذائف أمامهم مسترشدين بالأضواء الكاشفة التي انبعثت من نقط متفق عليها نحو السماء وكان الجنود سعداء وقت أن حلت ساعة الحركة أخيرا بعد انتظار طويل وأخذت المخاوف التي كانت تساورهم طيلة النهار تتبدد اذ بدت مقاومة العدو ضعيفة حتى وصلوا الى خط دفاع العدو الرئيسي فيما بعد وعندئذ انصب عليهم وابل من الرصاص واخذت مدفعية الألمان تقذفهم دون رحمة أو هوادة •

خطة الهجوم البريطاني :

لقد كانت أول مهمة يقوم بها « ليس » على حسب الخطة هو الحصول على رأس كوبري في خط العدو والاحتفاظ به حتى تمر دبابات فيلق لامسون وبعد ذلك يوسع جناحيه على أن يمتد رأس الكوبري مسافة ميلين شمالي تل الكلية وكانت هذه العملية من نصيب الفرقة الاسترالية التابعة للفيلق بقيادة مور سهيد من الحافة الشرقية للتل في الشمال

الغربى لتل المطيرة وهاتان النقطتان هما الحدان اللذان ينبغى أن يصل اليهما جناحا « ديمبرلى » ثم تتقدم قوات فرايبورج بعد ذلك ١٠٠٠ ياردة الى ما وراء الثلاثة أميال الأولى للتل فى الوقت الذى تتقدم فيه قوات بينار على خط ديمبرلى نفسه مسافة الثلاثة أميال المذكورة كما تقضى الخطة بأن يسير الهجوم فى اتجاهين الاتجاه الأول هو الاستيلاء على مواقع العدو الأمامية وتقع غالبا على بعد ميل خلف حافة حقل الألغام وقد أطلق على خط المدافع هذا اسم « الخط الأحمر » • ثم نظم برنامج المدفعية على أن هذا الخط ستصله القوات المهاجمة قبل منتصف الليل بخمس دقائق أو بعد ساعتين تقريبا من تحرك قوات المشاة التى تتوقف بعد مدة ساعة واحدة قبل استئناف الهجوم •• على الخط الرئيسى الذى يبعد حوالى ميلين والمعروف بالخط الازرق ويحتوى على استحكامات العدو الرئيسية فاذا ما سارت الامور بحسب الخطة الموضوعة يتم الاستيلاء عليه فى الساعة الثالثة الا الربع صباحا •

ثم يكون على المشاة بعد ذلك أن تنظم نفسها فى الساعات الثلاث الباقية على الفجر وتثبت مراكزها لمواجهة الهجوم أيضا الذى سيوجهه الألمان ورده بالمدافع المضادة للدبابات ومدافع المورتار ومدافع الماكينة •

أما دبابات الفيلق التابع الى لاسدن فسوف تتحرك الساعة الثانية صباحا من مراكز تجمعاتها فى الخلف للهجوم متقدمة خلال الثغرات التى طهرها المهندسون الى المجهول •• وتحقيقا لضمان تنفيذ الخطة كان على دبابات الجنرال ريتشار من الآلاى الثالث والعشرين المدرع تعزيز قوات المشاة فى حين تعزز دبابات الجنرال كارى من الآلاى التاسع المدرع الفرقة النيوزيلندية وأن تساعد جميعا اذا لزم الامر للاستيلاء على رأس الكوبرى فى الموعد والمكان المحدودين بأى ثمن وعلى ألا تتحرك هذه القوات فى مجموعات تقل عن فصيلة وألا تتعرض لاختراق حقول ألغام لم يتم تطهيرها كما يحتفظ بجزء منها لمواجهة الهجوم المضاد للألمان عند الفجر •

وعندما تكون القوات قد حققت أهدافها وقامت بتنظيم نفسها عليها ان ترسل دوريات لمهاجمة مدافع العدو وتبذل كل جهدها لمساعدة الفرق المصفحة على الاختراق وعند شروق الشمس يستعد الاستراليون لموالاة التقدم نحو الشمال أما الفرقة النيوزيلندية فتتجه جنوبا حتى مواقع العدو التى على بعد خمسة أميال شمالى دير الشين حيث تهب قوات جنوبى افريقية لمساعدتهم فى الوقت نفسه ويحمى الجناح الغربى

لهذه القوات جناح لاسدن الايسر كما يجب على القوات جميعا ان تسقط من حسابها كلمة الاستسلام لأى فرد مالم يكن مصابا ٠

وقد تمت العمليات جميعها تقريبا بحسب الخطة المرسومة فوصلت الى أهدافها على الخط الاحمر بعد منتصف الليل بقليل دون مقاومة تذكر ومن ثم أفسح الآلايان الرابع والعشرون والسابع عشر من الفرقة الثانية الطريق للآلاى الثامن والأربعين من الفرقة نفسها للتقـــــدم بدوره فى الساعة الواحدة الا خمس دقائق صباحا واستولى على الهدف المحدود له فى الساعة الثالثة الا الربع صـــــباحا ٠٠ وكان على الآلاى الثالث عشر من الفرقة الثانية أن يتقدم ٠ مع فرقة الدبابات الملكية العشرين الا أن حقول الألغام سببت بعض المتاعب للدبابات فأخرتها قليلا فتقدم الآلاى الثالث عشر المذكور بمفرده وسرعان ما اصـــــطدم بمركز دفاعى قوى للألمان سبب له خسائر فادحة فتوقف حتى لحقت به الدبابات فى الخامسة صباحا ثم استأنفت القوات تقدمها ٠٠ وعندما اشرق الفجر كانت على بعد ١٠٠٠ ياردة من الهدف المحدود لها وعلى هذا أسرعت قوات المشـــاة بحفر خنادق ومواقع لها وانسحبت الدبابات حوالى نصف ميل الى مكان تستطيع فيه أن تكون أقل تعرضا لنيران الألمان بعد أن أسرت ١٢٧ منهم من الفرقة المائة الرابعة والستين الألمانية و٢٦٤ ايطاليا من فرقة ترنتو٠

فرقة اسكتلندا الحادية والخمسون :

والى يسار هذه القوات تقدمت على حسب الخطة فرقة الهـــايلاند الحادية والخمسون بقيادة ديمبرلى ولكنها واجهت صعوبات أكثر ٠ ذلك أن الأهداف التى وكل اليها تحقيقها كانت تمتد على جبهة أطول مرتين من الجبهة التى بدأت منها التحرك وكان هجومها يتجه الى المنطقـــــة التى يرابط فيها عادة قوات روميل الميكانيكية فى الجبهة الشماليـــــة وكان على القوات المهاجمة أن تمهد السبيل للفرقة البريطانية الأولى المصفحة ثم ان الجزء الذى عهد اليها بتنفيذه من الخطة كان أكثر صعوبة مما جعلهـــــا تستحدث اضافة خطين آخرين لمواقع دفاع العدو وهما الخط الأخضرويقع بين نقطة بداية التحرك والخط الأحمر الســــابق الاشـــــارة اليه ثم الخط الأسود ويقع بين الأحمر والخط الأزرق وهو الخط النهائى وكان كل فرد فى القوات المهـــــاجمة قد وزع عليـــــه الأمر اليومى للجنرال ديمبرلى الذى جـــــاء فيه أنه يشعر انه يشغل مركزا ممتازا لتعيينه قائدا لفرقة الهايلاند وأنه يستطيع أن يعبر عما يخالج كل اســـكتلندى فى هـــــذه اللحظة وهو « تحيا اسكتلندا الى الابد لا يعلو عليها أحد » ثم أضـــــاف

بلباقة « لتحى انجلترا الى الابد » وذلك مجاملة للعدد الـــكبير من الجنود الانجليز الذين كانوا جزءا من فرقته وكان كل فرد فى فرقتـــه قد جهز بما يكفيه من الطعام لمدة ٢٤ ساعة مقدما علاوة على أربعة اكياس فارغة يمكنه أن يملأها بالرمل كى يحمى نفسه فى أثناء العمليـــــات من نيران القذائف المعادية ٠ وبعد أن تناول كل فرد وجبة طعام جيدة فى السابعة خرج الى الصحراء ليمد ساقيه بعد أن قضوا وقتا متكأكئين فى الخنادق ومن ثم تحركت الفرقة الى الامام فى ثقة واعتــداد تغطيها نيران المدافع وما أن حلت الساعة العاشرة حتى كانت أنغام موسيقى القرب تسمع على امتداد خط الهجوم كله ٠

وبعد اجتياز الشقة الحرام عبر الآلاى الخامس خط البـــداية يمين الآلاى ١٥٣ الى أول حقول الألغام ولكن الجماعات المتقدمة منـــه واجهت مقاومة شديدة وتساقطت الجنود تســـاقط أوراق الخريف صرعى تحت نيران الالمان وسرعان ما كان الخط المتماسك من الجنود المهـــاجمين ملء بالثغرات واعتقدت بعض الكتائب أنها مازالت فى الخط الأخضر فى حين كانت فعلا فى الخط الأحمر الا أن الفصائل المتقدمة واصلت ســـيرها فى حين كانت الفصائل الخلفية متـــأخرة قليلا عن موعدها مما جعلها تتعرض لنيران شديدة من الألمان وقد قيل ان هذه النيران صبت عليهم من اخوان لهم فى الجيش الثامن الا أن هذا القول يعوزه الدليل ومع ذلك يمكن القول ان ذلك الجزء من الجبهة ساده بعض الارتبـــاك بين صفوف المشاة مما أدى من ثم الى خسائر أخرى فى وحدات الدبابات المتقـــدمة خلف هذه الصفوف فقد اتجهت وحدة بأكملها من الدبابات فى طريق غير ذلك الذى طهرته لها المشاة فوقعت فى حقول الألغام وقضى عليهـــا فلما رأت الوحدة التالية من الدبابات ما حل بالأولى أرادت ان تتفادى مصيرها فدارت حول جناحها ولكنها وقعت فى حقل ألغام آخر فتناثرت أشلاؤها فى الهواء ٠

أما الآلاى الأول يمين الآلاى الخامس السابق فقد سار فى تقـدمه دون خسائر تذكر فوصل الى الخط الأحمر فى الموعد المضروب له ولــكنه تأخر بعد ذلك قليلا فى وجه مقاومة شديدة أمكنه التغلب عليها بالسلاح الأبيض ثم اكتسح الطريق أمامه بسرعة خاطفة حتى وصـــــل الى الخط المحدود له ولكنه فقد سرية بأكملها ٠

والى يسار هذا الآلاى تقدم آلاى الكاميرون الخامس ووصل الى الخط الأسود الا أنه أصيب بخسائر جسيمة دعته الى التوقف عند هذا الخط

ثلاثين دقيقة محافظة على قواته المتقدمة ومن ثم أرسل فصيلة واحدة فقط بقيادة الكابتن كاتكارت ليشق الطريق الى الخط الأزرق عند تل المطيرية فوصلته بعد ان فقدت خمسين جنديا وضابطا واحدا وقد جرح كاتكارت نفسه وكثير من جنوده الا أنهم وصلوا الى الموقع المحدود لهم على تل المطيرية ومن ثم كان هو الآلاى الوحيد فى هذه الفرقة الذى نجح فى الوصول الى الهدف المحدود بعد أن فقد الآلاى ١٥ ضابطا منهم خمسة قتلى ، ومائتى جندى منهم ٦٥ قتلى ·

وبحسب الخطة الموضوعة فانه كان على فرقة الهايلاند الحادية والخمسين أن تطهر الطريق لوحدة الدبابات البريطانية الخمسين خلفها ونظرا لما عانته فرقة المشاة الحادية والخمسون من ارتباك وخسائر جسيمة فقد قضت وحدة الدبابات ليلة مليئة بالقلق والترقب انتظارا للثغرة التى تتقدم منها وهى الثغرة التى لم يتم فتحها الا الساعة الثانية والنصف صباحا الا أن الوحدة صادفها حقل ألغام آخر وهكذا اضطرت الى التوقف ساعة كاملة استأنفت التحرك بعدها فى بطء ثم تعرض جناحها الايمن لنيران مدافع الألمان المضادة للدبابات دمرت ثلاثا منها مما دعا الوحدة الى الانسحاب الى الخط الأسود وهو الخط قبل النهائى ·

وما من شك فى أن الفرقة الحادية والخمسين قد قاتلت ببسالة وعانت خسائر جسيمة وأنها قامت بأعمال بطولية بعضها تم تسجيله وأعطته الجوائز والأنواط والبعض الآخر لم يسجل الا أن المحقق أن الفرقة فيما عدا جناحها الأيسر لم تقم بالوصول الى الأهداف المرسومة لها ومع ان الفرقة استطاعت فى الواحدة صباحا أن تحدث ثغرات فى استحكامات العدو النهائية فان الصعاب التى واجهتها والتأخير الناجم عن هذه الصعاب فيما وراء الخط الأحمر وفشلها فى تطهير مراكز هامة للعدو قد عاق تقدم الفرقة الأولى المدرعة وتحركات دباباتها الى الأمام ثم كان من جراء الغبار والدخان ووجود الالغام والارتباك العام فى ميدان المعركة وخصوصا عندما قامت فرقتان من فيلقين مختلفين بمحاولة تطهير ثغرات حقول الالغام وتقدمت مركباتهما فى المنطقة المحدودة نفسها مما خلق نوعا من الفوضى فى الصفوف المتقدمة ·

الفرقة النيوزيلندية الثانية :

ويأتى بعد ذلك جنوبا فى خط الهجوم الفرقة النيوزيلندية بقيادة فرايبورج وقد شابهت المهمة الموكولة اليها التى وكلت الى الفرقة الحادية والخمسين بقيادة ديمبرلى الا أن الجبهة هنا كانت أقل اتساعا فبلغت ميلا

ونصف الميل عند البداية وتتسع حتى ثلاثة أميال فى خطوط العدو ثم انه اتبع أسلوبا يختلف عن أسلوب ديمبرلى قليلا نظرا لأنه لم يملك سوى آلايين فقط من المشاه فتقدم من الآلاى الخامس على جناح الفرقة الأيمن والآلاى السادس على جناحها الأيسر نحو الخط الأحمر كتيبة واحدة من كل وبعد أن توقفت الكتيبتان ساعة وخمسين دقيقة على الخط الأحمر تقدمت الكتيبتان الباقيتان فى كل آلاى الى ما بعد الخط الأحمر مع التوقف لمدة ربع ساعة فقط قبل الوصول الى الهدف النهائى خلف تل المطيرية.. ثم تقدمت القوات المصفحة الا انها عانت كثيرا من مدفعية العدو ومراكز الدفاع فاصابتها فى الارواح والدبابات ، الا أن هذه الخسارة لم يكن لها من أثر سوى تأخير وصول القوات الميكانيكية الى الأهداف الموضوعة لها.

وعلى كل حال فلم يأت الفجر حتى كانت الفرقة النيوزيلندية قد حققت أهدافها فيما وراء تل المطيرية فيما عدا جناحها الأيسر الذى توقف على التل نفسه . وكان من جراء تأخير تطهير حقول الألغام أن ظلت الوحدات المتقدمة تعمل دون أن تصل اليها الأسلحة التى تحميها من هجمات العدو ثم فوجىء هذا الجناح بوجود حقل الألغام فوق التل نفسه وهو أمر لم يكن يتوقعه يضاف الى ذلك مقاومة العدو العنيدة مما عاق وحدة الدبابات التى انفسح لها الطريق من التقدم وعلى هذا توقفت عملية الالتفاف من اليسار نحو الجنوب الغربى .

الفرقة الأولى لجنوبى افريقية :

أما جنوبى الفرقة النيوزيلندية فكانت جبهة الفرقة الاولى لجنوبى افريقية تحت قيادة الجنرال بينار الذى اتبع أسلوب فرايبورج فى الهجوم نفسه فتقدمت كتيبة من كل من الآلاى الثانى على اليمين والآلاى الثالث على اليسار حتى الخط الاحمر وبعد فترة توقف . بلغت ساعة وربع الساعة مرت بكل كتيبة الكتيبتان الباقيتان فى الآلاى الى أهدافها النهائية خلف تل المطيرية وقد قامت مدفعية الفرقة تعززها وحدات من الفيلق العاشر من مدفعية الميدان والمدفعية المتوسطة باطلاق قذائفها على حسب التوقيت الموضوع لها مستعملة كذلك قنابل الدخان لتغطية مواقع القوات المهاجمة .

وبذا تمكنت وحدة البنادق الأولى من الوصول الى الخط الأحمر وراء الآلاى الثانى أما وحدة الهايلاندر من فرقة جنوبى افريقية فقد اشتبكت فى بضع عمليات مع العدو عند نقطة البداية وأصابتها خسائر جسيمة بما فى ذلك الجماعتين المتقدمتين وقائدهما مما أدى الى تأخير

المرحلة الثانية من الهجوم بضعة مرات فى حين وجهت الضربات الى مواقع المقاومة وبذلت جهود لتنظيم الصفوف وبالرغم من أن بداية الهجـــوم تأجل الى ما بعد الثانية صباحا بخمس دقائق فلم تذكر بعد ذلك واستقر الآلاى على تل المطيرية مع طلوع النهار وعلى الجناح الأيسر صادفت الكتيبة الاولى والثانية من الآلاى الثالث المتاعب أيضا اذ صادفتهما حقول الغام لم تكن متوقعة ولكنهما استطاعتا أخيرا أن تصلا الى شرق التل عند موقع يفصله من الهدف المرسوم حوالى ميل بعد أن قتل من رجالهما ٤٢ وثمانية ضباط وجرح ١٣٣ رجلا ولكنهما أسرتا ٣٦ ألمانيا ·

أما كتيبة المشاة الأولى التابعة لفرقة جنوبى افريقية فقد تقدمت الآلاى الثالث الى موقع قوى للعدو ولكنها استولت عليه باســـتعمال الطوربيد وأسرت بعض جنود الفرقة المائة الرابعة والستين الألمانيـــة واندفعت الى الخط الأحمر فوصـــلته قبل منتصف الليل بعشر دقائق ومهدت الطريق للقوات الميكانيكية ·

ولقد صادفت القوات الاحتياطية لهذه الفرقة ليلة مليئة بالمتاعب نظرا لما سببته لها الألغام من صعاب وتأخير ولم تصل الى مـا وراء التل قبل طلوع النهار وقد بلغت خسائر الفرقة عند الفجر ٣٥٠ رجلا ولكنها حققت أهدافها فيما عدا عجز جناحها الأيمن عن بلوغ أهدافه ولـــكنها لم تكن فى موقف يسمح لها كذلك بالاتجاه جنوبا كما قدر لهـــا فى الخطة ·

وفى جنوب هذه الفرقة كانت الفرقة الرابعة الهندية التى قامت بما وكل اليها من غارات على العدو لتحويل انتباهم ·

الفيلق العاشر الوحدة المصفحة الاولى ــ الفرقة المصفحة العاشرة :

واذا كان للفيلق الثلاثين أن يفخر بأنه قد حقق الأهداف المرسومة له بخسائر معقولة ولحد مرض فلا يمكن أن ينصرف هذا القول الى الفيلق العاشر الذى قضى ليلة مليئة بالقلق ·· فقد كانت قوة هذا الفيلق فى الدبابات تبلغ ٤٣٤ دبابة وكان على الفرقة المصفحة الأولى بقيادة الجنرال بريجز أن تمر بين الاستراليين والفرقة الحادية والخمسين فى حـــين تمر الفرقة العاشرة المصفحة بقيادة الجنرال جبت هاوس بالطريقة نفسهـــا عند جبهة الفرقة الثانية النيوزيلندية ولم يكن من عمل الفيلق الثلاثين فتح ثغرات فى حقول الألغام لغيره من القوات البريطانية المدرعة وعـــلى ذلك فقد كان على كل وحدة مدرعة أن تشق طريقها بمعرفة مهندســـيها

وجنودها المتخصصين ٠٠ لهذا الغرض تكونت وحـــدات مع كل فرقة مدرعة عهد اليها فتح ثلاث ثغرات على الاقل بكل فرقة بريطانية مدرعـة فى جميع حقول الألغام الثلاثة الواقعة قبل خطوط الألمان ذاتها وتضع العلامات وتحدد معالم الطريق ابتداء من حقول الألغام البريطانيـــة المتقدمة وان تعمل فى تعاون وثيق مع وحدات المشاة الأمامية فى مهاجمة الجبهة الألمانية وقد تكونت كل وحدة من كتيبة سيارات وثلاث فصائل من مهندسى الميدان وثلاثة طوابير من دبابات كردسادر كما شملت وحـــدة للاشارة والبوليس الحربى وكان على الفرق المدرعة أن تتحرك من مناطق تجمعها بجوار محطة العمايد بعد حلول الظـلام على أن تصـــل العربات المتقدمة منها الى الطريق المار بالعلمين والذى أطلق عليه «اسبرنج بوك» بعد منتصف الليل بنصف ساعة وبعد اعادة تموينها تستأنف تقدمهـــا فى الساعة الثانية صباحا مالم تصدر تعليمات شخصية من مونتجمرى بخلاف ذلك وان تسير كل فرقة فى ثلاثة طوابير بين كل منها خمسمائة ياردة وقد قسمت الفرقة الأولى المدرعة تبعا لذلك الى طـــوابير الشمس والقمر والنجم فى حين أطلق على طوابير الفرقة العـــاشرة المدرعة اسماء الزجاجة والقارب والقبعة ٠

وكان الامل معقودا أن تستطيع وحدات الدبابات المتقدمة من آلاى فيشر وآلاى كوستانس أن تمر بمواقع الفيلق الثلاثين النهائية قبل الفجر فاذا ما تحركت متقدمة الى الهدف الأول الذى اطلق عليه اسم بيرســون على بعد ثلاثة أميال غربا لحق بها كنشنجتون من يسار كوستانس ومن ثم تكون دبابات الفيلق كله فى موقف تستطيع فيه أن تواجه هجـــوم الألمان المضاد وفى المرحلة التالية والتى لا يحتمل أن تكون قبل ضـــوء النهار يتقدم فيشر من اليمين وكنشنجتون من اليســار لمسافة ميل آخر فى حين يتقدم حملة البنادق التابعون ليوسفبا لحماية الجناح من الشمال فى حين تقوم مشاة السيارات التابعون للجنرال لى بحماية الجناح الجنوبى أما المرحلة الأخيرة وهى التى تتم فى ضوء النهار فيتقدم بها فيشر ميلين آخرين فى الاتجاه الجنوبى الغربى نحو طريق الرحمن فى حين يواصــل كوستانس تقدمه الى موقع آخر جنوبه بعد مسافة أربعة أميال تجـــاه الغرب وبينما يتم تنفيذ هذه العمليات وبمجرد طلوع النهـــار تقـــوم السيارات المصفحة بشق طريقها لمسافة عشرة أميال الى الجنوب الغربى فى محاولة الغرض منها تحديد مواقع فرقة البانزر الالمانية الخامسة عشرة كما تتجه جنوبا الى دير الشن لتنذر القوات البريطانية عند أول حركة تقوم بها فرقة البانزر الحادية والعشرون ٠

ومن ثم تحركت فرقتا الفيلق الميكانيكيتان فى ستة طوابير : ثلاث منها لكل فرقة فتقدمت طوابير الفرقة الأولى الميكانيكية على حسب الخطة الموضوعة الا أن وحدة التطهير التابعة للطابور الثالث تحت امرة روزيجز تأخرت قليلا بسبب قرار صدر فى آخر لحظة بالحاح للنيوزيلنديين باستعمال طريق النجم «من السابعة مساء حتى الثالثة صباحا » الا أن الطوابير الثلاثة للفرقة الأولى واصلت عملها بعد ذلك برغم حقول الألغام التى صادفتها ٠

وفى الثالثة صباحا كانت الطوابير الستة تسير فى الطرق المرسومة لها فتقدمت نحو حقل الألغام الاول وتمكنت بعد جهد من اجتيازه ولم تصب الا بخسائر طفيفة هنا وهناك ثم تقدمت نحو حقل الألغام الثانى وهنا واجهتها صعوبات أكبر الا أنها تمكنت من التغلب عليها بعد ان أصيبت بخسائر معقولة ومن ثم واصلت الطوابير سيرها ولكنها لم تكن على حظ متساو من التوفيق ٠

الفرقة المدرعة الأولى فى يومها الأول :

ففى الخامسة صباحا أبلغ الطابور « بايز » بأنه يقترب من حقل الألغام الثالث ولكنه توقف بعد ذلك بساعة خلف وحدة المشاة المتقدمة وعندما حل ضوء النهار وردت اشارة منه بأنه قد اشتبك مع العدو بعد أن اجتاز حقل الألغام الثالث والواقع انهم لم يكونوا قد تجاوزوا حقل الألغام الثانى وانهم كانوا على بعد ثلاثة أو أربعة أميال شرق الموقع الذى ابلغوا انهم وصلوه وظل مصيرهم مجهولا بعد ذلك ٠

أما الطابور الذى اتبع طريق القمر فقد توقف حتى يستطيع أن يطهر لنفسه ثغرة بين الألغام ولم يبدأ الطابور اختراقه لأول حقل للألغام الا عند الفجر ، ومن ثم واصل سيره الى الحقل الثانى للألغام فاجتازه مع بعض الخسائر واتجه بعد ذلك لتطهير ثغرة فى حقل الألغام الثالث ٠

ولقد عانى الطابور الذى اتبع طريق النجم المتاعب نفسها ولم يستطيع اجتياز حقل الالغام الثانى بسبب النيران التى صبها الالمان عليه وعندما حل الفجر اضطر أن يخوض منطقة مليئة بالالغام واذ اتى عليه ضوء النهار كان مازال بعيدا عن حقل الالغام الثالث ٠٠ هذا ما كان من شأن الفرقة المدرعة الاولى ٠

الفرقة المدرعة العاشرة فى اليوم الاول :

أما فى جبهة الفرقة المدرعة العاشرة فقد وضعت خطة التقدم على أساس وجود حقلين من الألغام فقط وقد استطاع الطابور الذى اتبع طريق الزجاجة أن يفتح لنفسه ثغرة فى الحقل الأول الساعة الثانية صباحا وما حلت الرابعة والنصف صباحا حتى تمكن من أن يشق لنفسه طريقا الى تل المطيرية أما الطابور الذى اتجه فى طريق القارب فقد وصل الى التل فى الخامسة والربع صباحا بعد أن خاض متاعب مشابهة · تبقى بعد ذلك الطابور السادس الذى اتبع طريق القبعة وقد مرت بوحدات التطهير التابعة له أوقات عصيبة اذ كان عليها أن تعالج كلا من مقاومة العدو العنيدة وعدد أكثر من الألغام مما قدر ولكن القدر عوضهم خيرا من هذه المتاعب عندما اهتدوا الى ثغرة كان العدو قد نظمها لنفسه من قبل فاخترقوها دون مشقة فى حقل الألغام الثانى ·

وما أن حل الفجر حتى كانت الطوابير قد طهرت أربعة طرق الى تل المطيرية أما فى الطرف الغربى فلم يكن هناك الا طريق واحد ممهد هو طريق القارب أما الطابور الذى كان يعرف باسم « بايز » فقد ظل مصيره مجهولا لبضعة أيام بعد ذلك ·

الفيلق الثالث عشر فى أقصى جنوبى الجبهة :

نأتى بعد ذلك الى الجزء الواقع فى أقصى جنوبى الجبهة حيث يرابط الفيلق الثالث عشر البريطانى الذى يشتمل على الفرقة المدرعة السابعة تحت قيادة هارونج والتى كان مقدرا لها أن تشترك فى هجوم ٢٣ من اكتوبر سنة ١٩٤٢ · واجهت هذه الفرقة المتاعب التى خاضها الفيلقان الثلاثون والعاشر ومع ذلك فقد تمتعت بميزة لم تكن متوافرة للفيلقين وهى انه وقع على عاتقها كل محاولة اختراق استحكامات العدو الى الشمال مباشرة من الحميمات وعلى هذا لم تصادفها المتاعب الناجمة عن تجزئة القيادة والمسئولية كما كانت الحال فى الجزء الشمالى من الجبهة ·

وقد كانت خطة هوروكسى تنقسم الى ثلاث مراحل : المرحلة الأولى هى أن تقوم قوات الجنرال هاردنج المدرعة تعززها مدفعية الجنرال هيوز ومعها وحدة اخرى من المدفعية باختراق خط الألغام الأول المعروف باسم يناير ثم الخط الثانى المعروف باسم فبراير فى حين تقوم قوات فرنسا الحرة بقيادة كونيج وتحت اشراف هاردنج بالاستيلاء على المنطقة الواقعة

مباشرة غرب الحميمات ذاتها .. ثم تتولى مدفعية هيوز بعد ذلك حماية رأس الكوبرى الى الغرب من الثغرات المفتوحة فى حقول الألغام .

وفى المرحلة الثانيـــــة تقوم قوات هاردنج المدرعة بتطهير مراكز المقاومة على جبهة تمتد الى الغرب حتى جبل الكلخ وهضبة الطاقة فى حين تقوم الفرقة الخمسون بالعمل على استقامة خط الجبهة بينها وبين الفرقة الرابعة والأربعين .

وفى المرحلة الأخيرة يستعد الفيلق لاختراق المنطقة الواقعة فيمـا وراء قارة العبد وجبل الكلخ .

أما الفرقة الرابعة والاربعون فعلاوة على المســـاعدة التى كان على مدفعيتها أن تبذلها فى بداية الهجوم كان عليها أن ترسل الآلاى ١٣١ للتقدم حتى مواقع حددت له بين خطى الألغام الاول والثانى (ينـــاير وفبراير) لحماية صناع الآلاى الثانى والعشرين المدرع تحت قيـــادة ردبركس الا أن الامور لم تسر لسوء الحظ كما كان مقدرا لها فى المرحلة الأولى وأصيب الآلاى بخسائر جسيمة قتل فيها الكولونيل قائد الكتيبة المتقدمة منه الا أنها حاربت بشجاعة وتمكنت من احداث فتحة فى حقول الألغام الى الغرب فى مواقعها .

ولقد تقدمت الفرقة السابعة المدرعة فى أربعـــة طوابير متوازية مسافة عشرة أميال متجاوزة حقول الألغام البريطانية حتى وصلت الى خط بداية الهجوم الى الشرق من خط الألغام الالمانى الاول ومن ثم تقدمت وحدات التطهير الخاصة بها لعمل أربع ثغرات ووضع العـــلامات المميزة عليها فى كل من حقل الألغام الأول (يناير) والحقل الثانى (فبراير) ولقد تقدم الآلاى الثانى والعشرون المدرع بقيادة روبرتسى من خطوط تجمعاته فى الساعة السابعة الا الربع مساء ٢٣ من أكتوبر وسار حثيثا فى ضوء القمر مع وجود مناطق من الرمال الرخوة ثم توقف فى الثامنــة مساء لمدة خمس وثلاثين دقيقة نظرا لأنه لم يسبق الوقت المحدود له ولم يرد أن يصل الى خط بداية الهجوم قبل الموعد المحدود مما يدعوه الى البقاء هناك حتى تحين ساعة الصفر ولكن حدث لسوء الحظ انه عنـدما واصل سيره مرة أخرى انطفأ كثير من المصابيح التى تنير الطريق مما سبب له بعض التأخير ومما أدى ان تصل وحدات التطهير متأخرة خمســـا وعشرين دقيقة عن موعدها .. وهو الأمر الذى دعا تشكيل الهجوم أن يتأخر عشر دقائق .

وبعد التغلب على كثير من المصاعب والاخطاء أمكن فتح الثغرة الأولى فى الشمال أخيرا فى الرابعة والنصف صباحا أما الفتحة الثانية فقد عطلت مصفحة العقرب التى تتقدمها بسبب انفجار لغم وكذا النيران التى اطلقت عليها من مدافع الالمان المضادة للدبابات ولذا لم يتم تطهير الفتحة قبل الثانية الا الثلث صباحا ٠٠ أما الفصائل التى عهد اليها بفتح الثغرتين الثالثة والرابعة فقد أصابتها الألغام فى واد رملى عميق بمجرد اجتيازها خط بداية الهجوم فاعتقدت خطأ أنها لابد قد وصلت شرق حافة خط الالغام الاول (يناير) ومن ثم اخترقت هى مصفحتى العقرب اللتين تتقدمهما ومن ثم انصبت عليها القذائف الالمانية من كل نوع مما جعل تقدمها بطيئا وأصابها خسائر فادحة قبل أن تصل الى الحافة الشرقية لحقل الألغام الأول الا أن الأعمال البطولية التى قامت بها الوحدة جهزت مصفحات العقرب للعمل ثانية وتم اختراق الفتحة فى الثانية والنصف صباحا بالرغم من أنها لم تكن صالحة لمرور الناقلات التى تسير على عجل بسبب الرمال الرخوة ٠٠ أما فى الفتحة الرابعة فقد عطلت مصفحة العقرب التى تتقدم وحدة التطهير عندما قطعت ثلاثة أرباع المسافة الا انه تم تطهير الفتحة بالايدى بعد منتصف الليل بنصف ساعة ٠

الا ان اختراق خط الألغام الاول يناير كلف وحدات التطهير خسائر جسيمة ولم يبق فى قوات التطهير من الرجال الا ما يكفى لفتح ثغرتين فقط فى خط الألغام الثانى (فبراير) ومن ثم قرر الجنرال ردبرتس الاكتفاء بفتح ثغرتين فقط وحدد الساعة الخامسة والنصف صباحا للقيام بهذه العملية ، ومع ذلك فلم تتمكن الوحدات التى الى اليمين من الوصول الى هذا الخط أبدا أما الوحدات التى الى اليسار فقد وصلت الى الخط الثانى من الألغام ولكنها تعرضت لنيران شديدة من الالمان ونظرا لاقتراب الفجر واستحالة الاستمرار فى تطهير الألغام فى ضوء النهار فقد انسحبت الوحدات بعد أن انفجرت من عتادها مصفحة عقرب ٠

ابادة كتيبة فرنسية :

ومع قدوم النهار كان الآلاى موزعا على جانبى خط الالغام الاول وكان معرضا للهجوم وخاصة بعد أن اضطرت وحدات فرنسا الحرة الى الانسحاب من غرب تل الحميمات الذى كانت قد وصلت اليه وقد قام بتنفيذ هجوم هذه القوات المجموعة (أ) المكونة من الكتيبتين الاولى والثانية من الفرقة الاجنبية بقيادة الكولونيل أمبلا كفارى وبعد سير طويل

ملىء بالصعاب على أرض رخوة يتخللها كثير من الوديان وصلت الكتيبتان الى المنطقة المحدودة لتشكيل الهجوم داخل منطقة ألغام العدو الى الجنوب الغربى من الحميمات فى الساعة الواحدة والنصف صباحا ٠٠ ثم قامتا بالهجوم بعد ذلك بساعة فى الاتجاه الشمالى الشرقى تؤيدهما مدفعيتهما وستار من الدخان أطلقته طائرات السلاح الجوى الملكى ثم صادفت الكتيبة الاولى مقاومة شديدة مما دعا امبلا كفارى أن يأمر الكتيبة الثانية الى اليسار أن تشرع فى الهجوم وكان ذلك قبيل الفجر فوصلت الى الحافة الشمالية للتل بعد الفجر بنصف ساعة فأشرق عليها ضوء النهار واستحال امدادها بالمدافع المضادة للدبابات وفى الساعة السابعة والنصف صباحا قامت وحدات كيل الالمانية بالهجوم على الكتيبة بثمانى دبابات انجليزية طراز استيوارت كانت قد أسرتها من قبل ومن ثم أرغمت الكتيبة الثانية على الانسحاب مما عرض مؤخرة الكتيبة الاولى لنيران العدو دون حماية وهنا أصدر كونج أمره الى امبلاكفارى بالانسحاب ثلاثة أميال فى الاتجاه الجنوبى الشرقى الا أن الانسحاب سيرا على الاقدام فى ضوء النهار على المنحدرات المكشوفة كان أمرا محفوفا بأخطار رهيبة فأصيب الفرنسيون بخسائر فادحة وقد لقى امبلاكفارى مصرعه بينما فقدوا عرباتهم جميعا وكان لموت قائد الفرنسيين وقع شديد على نفوسهم وضربة شديدة لروحهم المعنوية وباءت العملية كلها بالفشل ٠٠

وفى الساعة الثامنة الا الربع صباحا اتصل الجنرال هورفكس بالجنرال دى جينجاند قائلا انه سوف يبحث مع الجنرال هارودنج الموقف من جميع نواحيه وهل من الممكن فتح ثغرة فى خط الالغام الثانى أولا ؟ وان كانت الاخيرة فهو يقترح أن تتكتل القوات فيما بين الخطين الاول والثانى للألغام ٠٠



الفصل الثامن

بين شقي الرحى

٢٤/٢٥ من أكتوبر سنة ١٩٤٢

اليوم الثانى للهجوم : مصرع شتوم القائد بالنيابة عن رومل ٠

أما فى الناحية الأخرى من الجبهة فكل ما وصل من أنباء الى الجنرال شتوم والى وستفال القائم برياسة أركان حربه أفادت أن حافزا هائلا من المدفعية قد انصب على طول الجبهة كلهـا تقريبا وسرعان ما دمرت شبكة المواصلات مما أدى الى انقطاع الاتصال بالجبهة ولم يسمح شتوم حرصا منه على ما لديه من ذخيرة تصد هذه النيران مباشرة وقيل بعد ذلك ان هذه كانت غلطة لا تغتفر وقد شارك رومل وهيئة أركان الحرب فى هذا الرأى وانه كان من الواجب اطلاق النار على الفور واصابة التجمعات البريطانية قبل أن تغادر مراكزها وعندما فتحت المدفعية الالمانية نيرانها أخيرا كان قد فات الأوان نظرا لان القوات البريطانية المهاجمة استطاعت أن تثبت أقدامها بالمدافع الجديدة التى وصلت اليها داخل الاستحكامات الألمانية ولا شك أن يوم نشاط المدفعية الألمانية فى المراحل الأولى للمعركة يعد أساسا الى ضعف قوة بطارياتهم المضادة التى كانت فى المواقع الخلفية ولا يصل مداها الى تجمعات المشاة البريطانيين بصفة مركزة ومامن دليل يثبت أن المدفعية الألمانية أو الايطالية قد تخلت عن ضرب البريطانيين عامدة ٠٠ وقد اعترف رومل فيما بعد أن نيران المدفعية البريطانية كانت مركزة ودقيقة لدرجة غير عادية ٠ انها أحدثت خسائر جسيمة فى الأرواح علاوة على أنها دمرت عتاد المشاة الألمان الثقيل وكانت عنيفة لدرجة تبعث على الظن أنها تركت الخطوط الخلفية وتقدمت الى مؤخرة الوحدات التقدمية وبصفة خاصة فى جبهة الاستراليين وخيل لقيادة جيش البانزر الالمانى أن البريطانيين جلبوا أفواجا متتالية من الدبابات استطاعت تدمير فلول الفرقة الثانية والستين المشاة واثنين من آلايات الفرقة المـائة الرابعة والستين الالمانيتين وسـاد الاعتقـاد أن البريطانيين استطاعوا أن يخترقوا الجبهـة فى الشمال بفتحة عرضها ستة أميال الا أنهم توقفوا من جراء نيران المدفعية الألمانية المركزة وفى الجنوب بدأ هجوم البريطانيين بمائة دبابة استطاعت اختراق المراكز الامامية للالمان ولكنها أوقفت عند خط الدفاع الرئيسى ٠

ونظرا لسـوء الموقف قرر الجنرال شـتوم أن يقوم منفردا بزيارة خطوط القتال ولم يصحبه سوى الكولونيل بوشتنج والسـائق فوصل حتى خطوط الاستراليين المتقدمة حيث لقى الكولونيل بوشتنج مصرعه مما

دعا السائق (ودلف) أن يكر راجعا بسرعة عنيفة اختل فيها توازن الجنرال شتوم الذى كان يشكو من مرض القلب فقذف به خارج السيارة ولم ينتبه السائق الى ذلك الا بعد فترة طويلة وهكذا لقى القائد العام الالمانى بالنيابة حتفه • وقد كان من جراء الحادث المؤسف هذا ان تردد الالمان فى اتخاذ قـرار حاسم فى شأن القيـام بهجوم مضـاد فى تلك المرحلة الحرجة من المعركة ..

لنترك الآن جيش البانزر الافريقى ولنعد الى الجيوش البريطانية فنجد أن صورة العمليات كانت أكثروضوحا لدى مونتجمرى الا أن تحديد مواقع الجبهـة بدقة فى القطاعات الهـامة حيث قوات بريجز قائد الفرقة الاولى المدرعة وحيث هاوسى قائد الفرقة العـاشرة المدرعة لم تكن معروفة تماما الا أن الحالة كانت تدعو الى التفاؤل بصفة عامة وكان واضحا أن كلا من لاسون فى الشمال وهاردنج فى الجنوب لم يستطع فيلقاهما (قواتهما) أن تخترق خط الجبهة الرئيسى وساد الاعتقاد أن السبب فى ذلك بالنسبة للقطاع الشمالى هو وجود الجنرال ليس فى السـاعة التاسـعة الا الربع صـباحا أن يعطى الأولوية لشـق الثغرة الشمالية على كل أمر آخـر أما فريبورج فـكان عليه أن يستغل نجـاحه ويقوم بالزحف جنوبا ويتقـدم ديمبرلى ليحـل محله فى احتلال التـل على ألا يتم ذلك قبـل العصر أما مورسهيد فليس له أن يستغل نجاحه بالاتجاه الى الشـمال بل يقوم بالاستعداد للبدء فى حركة تكتل فى الليل •

ومن ثم قام ليس و « مزابيورج » بزيارة التـل للتحقيق بنفسيهما من الاحتمالات الممكنة وتأكد لهما أن موقع التل يجعل القوات التى تحتله فى مأمن على الأقل من الهجوم المضاد وذلك قبل عودتهما الى مركز قيـادة النيوزيلنديين لمقابلة مونتجمرى ولا مسدن وهنا أخذت الأنباء ترد لتكوين صورة أقرب الى الحقيقة عن سير المعارك وعنـد الظهر تقرر أن يقوم جيش هارسى بالهجوم تلك الليلة .. مارا بخطوط النيوزيلنديين وتعززه القوة الكاملة لمدافع « ليس » وحتى لا يتطرق أى شك الى نية مونتجمرى فمـا وصل هذا الأخير الى مقر قيادته حتى كرر تعليماته السـابقة تليفونيا على الجنرال بيك رئيس أركان حرب الجنرال رامسدن مؤكدا أنه ينبغى القيام بجهد عنيف آخر للهجوم والمحافظة على رأس الكوبرى فى التقدم مهما كلف الأمر من خسائر فى الرجال وأن الهدف الذى يجب تحقيقـه هو أن تقوم القوات المصفحة بالاختراق وأن تستمر القوات النيوزيلندية فى استغلال مراكزها نحو الجنوب .. ثم ابلغ حينجاند مونتجمرى أنه لا توجد أنبـاء تفيد تحرك فرقة البانزر الحـادية والعشرين أو الفرقة التسعين الألمانيـة

الحقيقية من مواقعهما وانه تم أسر ألف جندى ثلثهم من الألمان أما خسائر الجيش الثـامن فلم يتمكن جينجاند من حصرها بدقة ولـكنها ربما تكون حوالى ثلاثة آلاف معظمها فى الفيلق الثلاثين اذ خسرت فرقة الهايلاند حوالى ألف رجل فى حين خسرت فرقة النيوزيلنديين حوالى ثمانمائة جندى فىحين خسر كل من الاستراليين وفرقة جنوبى افريقية حوالى ٣٥٠ جنديا٠

وفى الوقت نفسه حاول ديمبرلى قائد الفرقة الحادية والخمسين مشاة أن يطهر الممر الشمالى مستخدما الآلاى الاحتيـاطى تؤيده خمسون دبابة ومدفعية الفرقة كلها ولقد استمرت الاتصالات دائرة دون توقف من موقع كل وحدة وخاصة بين مركز قيـادة الفرقة والآلاى الاول المصفح ٠٠ ولم يكن لدى الآلاى الثانىالاحتياطى المذكور فسحةكافية من الوقت للاستعداد للزحف وهو الزحف الذى كان الغرض من ورائه تمهيد الطريق للوحدات الهندسية التابعة لقوات بريجز المصفحة أن تطهر الثغرة من الألغام حتى تستطيع دبابات الجنرال فيشر التحرك مباشرة بعد ذلك ٠ لقد بدأ الهجوم فى الساعة الثالثة بعد الظهر وأحرز النجاح بالرغم من أن فصيلة بأكملها قد أبيدت ٠٠

وفقدت قوات « بايز » على جناح الآلاى الثانى المصفح بقيادة فيشر ست دبابات شيرمان بفعل الدبابات أو المدافع المضـادة للدبابات الخاصة بالعدو بمجرد أن مرت من فتحة الألغـام فانسحبت تحت سـتار الدخان وصدر الأمراليها بالقيام بمحاولة أخرى الىالجنوب قليلا الا أن هذه العملية أيضا بعـد أن فتحت ثغرة للآلاى التاسع لم تحقق النجاح التـام بسبب وجود حقل الغام آخرأمام المصفحات المتقدمة، وبعد جهد كبير أمكن القوات المتقدمة أن تنضم الى قوات البايز انتظارا لآلاى الهوسار العاشر الذى كان مفروضا أن ينضم اليهما والذى تبين بعد ذلك أنه كان يحـاول الالتفاف حول موقع مقاومة قوى الالمان الى اليسار وفى الخـامسة والنصف تقدمت القوات المصفحة فى اتجاه الشمال الغربىوعندما أوشك النهار على الانتهاء كانت قد وصلت الى شمال شرقى تل الكلية وعندما حل الظلام انسحبت ٥٠٠ ياردة الى الوراء تحميها وحدات منفرقة يوركشاير ظنا منهم أنهم قد حققوا أهدافهم والواقع أنهم قد حققوا أهدافهم والدافع أنهم كانوا ما زالوا على بعد ١٠٠٠ ياردة منها وقد فقد الآلاى ٢٠ دبابة شيرمان واحدى عشرة من البانزر وانخفضت قوته من الدبابات الى ٥٧ شيرمان ومثل هذا العدد من دبابات كروسادر وظنتقوة هذا الآلاى أنها تواجه ثمانين دبابة ألمانية وفى هذه الليلة قرر بريجز أن يجلب الآلاى السابع سيارات من الخطوط الخلفية بجوار محطة العلمين لتعزيز مصفحاته ٠

أما فى الجنوب فعندما قام الجنرال جيت هاوسى قائد الفرقة العاشرة المدرعة بزيارة تل المطيرية عند شروق الشمس ورأى استحالة ارسال دباباته فيما وراء التل كما كان من المستحيل أيضا ارسال الآلاى بقيادة كنشنجتون لمساعدة فيشر فى الشمال الشرقى من التل للتخلص من قبضة العدو بسبب حقول الألغام ومن ثم استقر الرأى بالنسبة لخطة الهجوم الليلية أن يقوم الآلاى المدرع بقيادة كورى بالانسحاب كى يفسح طريقا للآلاى العشرين المدرع بقيادة كنشنجتون للهجوم فى الاتجاه الجنوبى على طول القطاع الذى كان مخصصا أصلا لنشاط الفرقة العاشرة المدرعة ثم يقوم كوستاس على رأس الآلاى الثامن المدرع بالهجوم جنوبا من ذلك ثم يتقدم الآلايان ثلاثة أميال للانضمام بعد ذلك الى الآلاى الثانى المدرع بقيادة فيشر العالميين ثم تقرر بعد ذلك أن يهاجم بقيادة « لى » محل كوسنانس دكارى على التل وتحقيقا لذلك كان على وحدات المهندسين التابعة للفرقة أن تفتح ثغرات فى حقول الألغام بعرض ١٦ ياردة ٠

ولم يكن قد مضى من الليل الا القليل عندما اتصل فرابيردج مرة أخرى بالجنرال « ليس » قائد الفيلق ٣٠ قائلا انه لا يستطيع أن يطمئن تماما الى الفرقة العاشرة المصفحة التى كانت على استعداد للهجوم ولاحظ أن مركز قيادة الفرقة يبعد مسافة طويلة خلفها ومن ثم اتصل « ليس » بالجنرال لامسدن قائد الفيلق العاشر وتبين له أن مسدن لايراوده كبير أمل فى نجاح الهجوم وعندئذ انتقلت هذه الشكوك فى الحال الى جينجاند ٠

شرع الآلاى الرابع والعشرون المدرع بقيادة كنشنجتون الهجوم بثلاث وثمانين دبابة شيرمان و ٤٨ كروسادر الا أن الآلاى تأخر من البداية بسبب ارتباك جماعات تطهير الألغام ولم يبدأ عملياته قبل الحادية عشرة الا الربع متأخرا ساعة عن الموعد المحدود لتطهير الثغرات وكان حقل الألغام أكثر عمقا مما كان متوقعا ثم وردت أنباء غير صحيحة تقول ان العدو سيقوم بهجوم مضاد ، ولما اتضح كذبها كان الفيلق قد فقد اتصاله بوحدات المشاة التى تلازمهوأخيرا وبعد تعبئة كل الجهود لفتح ثغرة واحدة تقدم الآلاى فى الرابعة الا الربع ثم اتضح انه لم يكن فى الاستطاعة الاهتداء باللاسلكى لابلاغ تحركاته الى القيادة ٠

أما الآلاى الثامن المدرع فكان أحسن حظا فقد بدأت فرق التطهير عملها فى الثامنة وما بلغت الساعة العاشرة والنصف حتى كانت الثغرة الوسطى والثغرة التى الى اليمين قد مهدت ومن ثم اندفعت الطوابير الثلاثة خلال الفتحات ونظرا لأن المنطقة خلف هذه الفتحات كانت كثيفة الألغام فقد سارت المصفحات والمركبات كل منها فى اثر الأخرى مباشرة الا أنه

كان قد حدث فى العاشرة أن مرت طائرة المانية والقت وابلا من الرصاص على وحدة شيردور فى حين كانت تستعد لاختراق الفتحة الوسطى وسرعان ما عادت الطائرة وأبلغت قاعدتها وعندئذ وفدت موجات من طائرات الألمان وأصابت ٢٥ لوريا محملة بالبترول والذخيرة فاندلعت النيران عالية وهاجة واستمرت الليل طوله ولم تكن هى كل الخسائر فقد كانت ألسنة النيران بمثابة هدف ظاهر للألمان وعندئذ أطلقت مدفعيتهم الثقيلة حممها العنيفة على المنطقة وكذلك فعل مع الطابور الجنوبى الذى وجد أن الفتحة الخاصة به تسيطر عليها نيران العدو فانتقل الى الفتحة الوسطى أما الطابور الذى اخترق الفتحة الشمالية فقد واصل سيره الا أن حقول الالغـام سببت له المتاعب علاوة على العمليـــات التى قام بها الألمان من ضرب الطابورين الأخيرين من الجو ومن المدفعيةومن ثم رأى كوسنانس أن يطلب من «جيث هاوسى » فى الساعة الواحدة العدول عن الأوامر السابقة بمواصلة التقدم بأى ثمن. عندئذ رأى قائد الفرقة أن يبلغ «لامسدن» قائد الفيلق ويطلب منه الموافقة وبطبيعة الحال كان على «لامسدن» أن يتصل بقائد الجيش الثامن للحصول على موافقته وبالاتصال بالقيادة رأى جينجاند أن الامر يستدعى ازعاج مونتجمرى نظرا لأن الموقف كان خطيرا ويتطلب تدخله بسرعة وفى الثـالثة والنصف استدعى جينجاند ومونتجمرى كلا من لامســدن وليس للاجتماع بمونتجمرى،ولما طال انتظار قائد الآلاى (كوسنانس) قرر اعادة تجميع الوحدتين المدرعتين وأن يأمرهما بالزحف خلال الفتحـة الشمالية تتقدمهما وحدة الدبابات الثالثة .

وفى هــذه اللحظة بدأ اجتمــاع مونتجمرى بالقواد وقد شرح قائدا الفيلقين الموقف كما يعرفانه الا أن طريقة لامسدن فى شرح الموقف كانت تشير الى أنه يشفق على موقف قواته فيما وراء التل أكثر ممــا هو مشفق عليهم من اختراق التل ذاته ولقد تبين من دراسة الموقف أن وحدة من فرقة بومانرى اللندنية قد اخترقت الجبهة بالرغم من أن كنشنجتون كان ما زال شــمالها ينتظر حل مشاكل اختراق الألغــام هذا فى الوقت الذى كانت فيــه دبابات كارى تعانى من نيران العدو العنيفة ممــا جعل تقدمها بطيئا فى حين يقترح جيث هاوسى التخلى مؤقتا عن العملية كلها وسحب الدبابات والقوات التى كانت قد عبرت التل الى مواقعها على التل ذاته .. وقد أنصت مونتجمرى الى كل هذه التفاصيل فى صمت وفى هدوء شديد أوضح فى جلاء أنه لا محل مطلقا لما يقولون كما يجب تنفيذ الخطة الأصلية واتصل بالجنرال جيث هاوسى وأصدر أمره اليــه تليفونيا بذلك خلال الأوضاع وعندما انفض الاجتماع استبقى مونتجمرى لامسدن قليلا وحذره

قائلا : اذا كان هو وقواد فرقة يعوزهم العزم لاختراق خطوط العدو فهناك قواد آخرون لا ينقصهم هذا العزم ·

وبعد الخامسة بقليل استطاع كنشنجتون أن يدفع آلايه الرابع والعشرين المدرع تتقدمه الوحدة السابعة والاربعون دبابات ثم تليها الوحدة الحادية والأربعون عبر الالغام واحتفظ بالوحدة الخامسة والأربعين بمثابة احتياطى على التل خلفه وكانت الساعة السادسة الا الثلث ·

أما الآلاى التاسع المدرع بقيادة كارى فى أقصى اليسار فتقدم مسافة ميلين وراء التل وبذا أصبح على بعد ميل واحد جنوبى الكتيبة النيوزيلندية السادسة والعشرين بدلا من ثلاثة أميال الى الجنوب الغربى كما ينبغى لقواته أن تكون ، وكانت تفصل قواته عن وحدات البومانرى اللندنية ثغرة تبلغ ميلين ونصف الميل أخذت الوحدة الثالثة من الدبابات فى سيرها بعد الخامسة وكانت قوات كوسنانس تتقدم خلفها بعد أن وصلته أوامر مونتجمرى الحاسمة عن طريق جيث هاوسى بذلك ·

وفى الساعة السابعة والربع أرسلت قيادة الجيش الثامن الى الفيلق العاشر تذكره بأن القوات المدرعة ينبغى أن تزحف الى الغرب من حقول الالغام حتى يمكنها التحرك بحرية وأن تحدد مواقع تجمعات العدو المدرعة وتبيدها كى تضمن للفرقة النيوزيلندية التى تعمل فى الجنوب الغربى من المطيرية عدم التعرض لمضايقات قوات العدو المدرعة من الغرب ·· وبعد ذلك بثلاث ساعات كرر مونتجمرى هذه التعليمات مرة أخرى معتقدا أنها وضعت موضع التنفيذ وغير عالم بانسحاب الآلاى الثامن المدرع الى التل ثم أصدر أوامره بأن تتقدم وحدة شيردور الى الشمال الغربى ومن ثم يقوم الآلاى جميعه بتعديل خطه كى يستقيم فى خط واحد مع وحدة الدبابات الثالثة على يمينه أما وحدات بومانرى ورانجرز فتكون الى اليسار ثم يقوم الجنرال لى على رأس الآلاى ١٣٣ مشاة باحتلال مواقع الآلاى الخامس النيوزيلندى برياسة كينبرجر على التل على أن يتبع هذا الاخير الآلاى التاسع المدرع فى عملية التفانى نحو الجنوب ·

تعديل الخطة :

كان هذا هو الموقف عندما وصل الكسندر الى قيادة مونتجمرى لبحث الموقف معه وبعد انتهاء محادثاتهما غادر مونتجمرى مركز قيادته لمقابلة قائد الفيلقين مرة أخرى ولكن فى مركز قيادة مزابيورج قائد الفرقة النيوزيلندية الثانية وهناك قرر العدول عن خطته التى تقضى بقيام الفرقة

النيوزيلندية بحركة التفاف الى الجنوب بعد أن تبين أنها عملية لن يأتى من ورائها سوى خسائر فادحة وكانت أوامره الجديدة تتلخص فى أن يحتفظ الفيلق الثلاثون بالتل مهما كلفه فى حين يباشر الفيلق العاشر هجومه الى الغرب من رأس الكوبرى الذى أقامته الفرقة الاولى المدرعة وتحقيقا لهذا الغرض كان على الفرقة العاشرة المدرعة ما عدا الآلاى الرابع والعشرين التابع لها أن تنسحب من قطاع النيوزيلنديين وبخلاف هذه التعديلات ظلت مهمة لامسدن كما هى وكما أمر بها مونتجمرى فى اجتماع الثالثة والنصف صباحا وكان على الفيالق الثلاثة أن ترسل بالدوريات تجوب المناطق المتقدمة للكشف هل هناك تحركات للعدو تفيد الانسحاب ؟ وعندما عاد مونتجمرى الى قيادته عزز هذه الأوامر بتعديلات أخرى منها أن يبدأ زحف الاستراليين فى الليلة نفسها وأن يرسل النيوزيلنديون دوريات قوية عسى أن تستطيع الحصول على أى دليل يشير الى انسحاب العدو فى جبهتهم وان يتهيأ الآلاى التاسع المدرع بقيادة كارى للهجوم كى تسحب الفرقة المدرعة العاشرة لاعادة تنظيمها مع تسليم قيادة آلاى كنشنجتون الى بريجز الذى كان عليه أن يزحف الى الأمام لتحقيق الأهداف التى كانت مرسومة له أصلا ..

وبينما كان مونتجمرى يخوض أزمات المعركة فى الشمال واجهه موقف عصيب آخر ينبغى له أن يتخذ فيه قرارا اما الاستمرار فى محاولة الفرقة السابعة المدرعة فى أقصى الجنوب اختراق حقول ألغام العدو أو العدول عن هذه المحاولة ذلك أن الآلاى ١٣١ تحت رياسة استامرامره هاردنج قائد الفرقة السابعة المدرعة ليقوم بالزحف ليلة ٢٤ من أكتوبر وهو الزحف المقصود به امتداد رأس الكوبرى غربا ليغطى خط الألغام الثانى (فبراير) وبعد أن يقوم بتطهير ممرين بين ألغام هذا الخط يزحف الآلاى ٢٤ المدرع بقيادة روبرتسى خلال الثغرة الأولى ثم يتبعه روديك على رأس الآلاى الحقيقى الرابع المدرع عن يمين روبرتسى ثم يواصلان الزحف على حسب الخطة الأصلية وقد اجتمع القائدان بقائد الفرقة «هاردنج» وصحباه لالقاء نظرة على مواقع القتال وكانت الكتائب قد استعدت قبل ذلك عند منتصف النهار واتخذت الترتيبات كى تقوم الوحدات الأولى منها بمقابلة جماعات التطهير فى السادسة مساء وقد حدث التباس فى تنفيذ هذا الأمر مما دعا الى تأخير ساعة الصفر مرتين ومن ثم بدأ الهجوم فيما بعد حوالى العاشرة والنصف نتيجة هذا التأخير وقد وصلت الكتيبتان الى ماوراء خط الالغام الثانى (فبراير) دون كبير عناء الا أن نيران مدافع الماكينة الخاصة بالعدو أوقعت بهما دون شفقة من مدى

قريب وكانت الأرض تحت أقدامهم صلبة نوعا ما مما خلق لهما صعوبة كبيرة فى حفر مواقع يحتميان بها ومن ثم بلغت خسائر كل كتيبة حوالى ١٧٠ جنديا بخلاف الضابط وقائد احدى الكتيبتين ومع ذلك تم تطهير الفتحتين فى الثانية والنصف صباحا الا أن الفتحة الشمالية كانت تسيطر عليها نيران العدو المركزة مما جعل وضع العلامات على الطريق تكاد تكون مستحيلة ولقد فقدت الوحدة الاولى -التى حاولت اجتياز الفتحة- أربع دبابات جرانت و ٢٢ دبابة كروسنادر وقائد الوحدة ونائبه وقائد فصيلته بخلاف الجنود ولقيت وحدة الدبابات الأولى مصيرا مشابها عندما حاولت اختراق الفتحة الأخرى فى الجنوب الا أن خسائرها كانت أقل وعندما وصل هاردنج الى المنطقة اضطر لمغادرة دبابته واستقل عربة جيب يقودها أركان حربه الذى قتل وهو جالس بجوار قائده وعندئذ قرر هاردنج تأجيل العمليات الحربية « وكانت الساعة الرابعة والنصف صباحا» الى طلوع النهار حتى تتمكن مدفعيته من اسكات مدافع العدو المضادة للدبابات ومن ثم يدفع المهندسين لتطهير الفتحات مرة أخرى .

عقبات :

الا أن جمع مهندسى وحدات التطهير لن يتم الا فى السابعة صباحا وعندما يكون ضوء النهار ساطعا ، وبذا لايمكن للوحدات أن تؤدى عملها كما أدلى بذلك قائد فرقة المهندسين، عندئذ أمره هاردنج بأن يتولى بنفسه العملية شخصيا وبعد أن قدم اعتراضا رسميا الى هاردنج توجه الى الفتحة الجنوبية وطلب متطوعين لمساعدته وبدأ العمل معهم تحيط بهم ثلاث دبابات وعند مدخل الفتحة الشمالية واجهتهم نيران شديدة جدا لدرجة أنه أمر من معه بالانسحاب وتوجه هو بنفسه داخل احدى الدبابات لاختراقه وتبعه قائد وحدة الدبابات فى دبابة أخرى .. وقد أصيبت الدبابة الأولى خمس اصابات ولم تخترقها أية اصابة منها وظهرت من الجانب الآخر ثم دارت عائدة وأخذت الدبابة الثانية فى اتباع الدورة نفسها ، الا أنها أصيبت اصابة مباشرة وأصبحت طعمة للنيران عندئذ استطاع رئيس وحدة المهندسين أن يثبت للجنرال هاردنج أن الدبابات التى فقدت فى اليوم السابق لم تنسف أو تعطل بفعل الألغام ولكن بفعل مدافع العدو المضادة للدبابات ودقة تصويبها على مخارج الفتحات وأن النيران التى تصبها عنيفة لدرجة لا يمكن التفكير معها فى رفع الألغام بالأيدى .. وقد اقتنع هاردنج بذلك وتخلى عن فكرة القيام بأية محاولات أخرى لفرض دفع الدبابات الى المرور وعلى هذا فلم يكن أمام وحدة الدبابات

الا أن تظل حيث هي ثم صدرت الأوامر الى الآلاى ٢٢ المدرع بقيادة روبرتسى بأن يحتفظ بدباباته بين خطى الالغام (ينساير وفبراير) لتأييدهما باستثناء وحدة البومانرى التى تحركت الى الشرق من خط يناير ..

ولقد وافق هوردكسى على هذا القرار فيما بعد عندما قابل روبرتسى وهاردنج فى الثامنة ولما عاد هوردكسى الى مقر قيادته حاول الاتصال بمونتجمرى الذى كان مشغولا مع الكسندر فأبلغ جيجاند من أنه لايوجد أى دليل على قيام العدو بالانسحاب وانه لم يبق أمام قوات القطاع الجنوبى من الجبهة سوى احتمالين اما استعمال القوات الاحتياطية الأخيرة فى محاولة أخرى لاختراق خط الألغام الثانى (فبراير) أو العدول عن مهاجمته والزحف نحو الطرف الغربى لنل المناصب شرق حقول الألغام مع استخدام الفرقة الخمسين يؤيدها الآلاى الخفيف الرابع المدرع بقيادة رودبك وكان من رأيه تأييد الاحتمال الثانى نظرا لان ما يحفها من مخاطر ليس كبيرا ، بعد ذلك بنصف ساعة اتصل جينجاند تليفونيا به وأبلغه أن مونتجمرى يوافق على الخطة الثانية التى يؤيدها .

القوات الاسترالية :

توقع مدرسهيدقائدالفرقة الاسترالية التاسعة ،المهمةالتى وكلت اليه، ومن ثم كان قد أوصى هواينهيد قائد الآلاى السادس والعشرين فى صباح يوم ٢٤ من أكتوبر الباكر بأن يكون مستعدا للاستيلاء على التبة الواقعة شمال قواته نظرا لانها تسيطر على المنطقة كلها التى تحتلها الفرقة كما تسيطر على المنطقة الواقعة شمالا والممتدة حتى الخط الحديدى ومن ثم كان مركز مراقبة له قيمته لكل من الجانبين المتحاربين وقد عادت الدوريات فيما بعد فى تلك الليلة تحمل أنباء تفيد عدم وجود ألغام بين الكتيبة الرابعة والعشرين وبين التبة وعند الغروب أسرت وحدة استطلاع ألمانية وكان بين الأسرى قائد الآلاى ١٢٥ مشاة الألمانى وقائد الكتيبة الثانية التى كانت تحتل التبة وباستجواب الأخير اعترف بمعلومات تؤكد الأنباء التى حصلت عليها الدوريات وتبين أن الكتيبة الاولى من الفرقة تحتل المواقع المحصورة بين الطريق البرى والخط الحديدى فى حين ترابط الكتيبة الثالثة على الساحل ..

ولم يكن لدى هوايت هيد قائد الآلاى السادس والعشرين الاسترالى سوى كتيبتين منه فى حين أن الكتيبة الثالثة تعمل فى احتياطى الفرقة ومن ثم عززت الكتيبتان بثلاثين دبابة فالنتين من وحدة الدبابات الملكية

كما عزز مدفعية الفرقة كلها فاستطاعت أن تطلق ١٤٥٠٨ طلقات من مدافع عيار ٢٥ رطلا و ١٠٢٦ قنبلة ٥٫٥ بوصة علاوة على طلقات المدافع المضادة ومن ثم عبرت الكتيبة الثانية والاربعون خط بداية القتال فى الموعد المضروب لهـا وما أن حلت الساعة العاشرة الا الثلث مساء حتى استولت على الهدف المحدود لها على بعد ألف ياردة شمالا وهو الموقع المحدود لبداية هجوم الكتيبة الأخرى (الرابعة والعشرين) أما الكتيبة الاولى فقد قطعت بعد ذلك ألف ياردة أخرى فى بحر تسـع دقائق حتى توصلت الى التبة وأخذت العدو على غرة فاستولت عليهـا بعد معركة بالأيدى وطهرتها فى الساعة الثانية صباحا ٠

نعـود الى الـكتيبة الاخرى الرابعـة والعشرين فقـد تقـدمت على حسب الخطـة الموضوعـة مسافة ٨٠٠ ياردة وبعـد أن اشـتدت مقاومة العـدو لدرجـة أن فصـائل المشـاة الاولى تأخرت كثيرا عمـا كان مقدرا لها وعن حاجز النيران الذى يحمى تقدمها ومن ثم تزايدت خسائرها فى الأرواح وكتب على هجومها بالتوقف وبينما كان قواد الجماعات الأمامية يدرسون الأمر لتمكين الجماعات كلها من مواصلة الزحف ثانية رأى قائد الهجوم أن يلغى العملية كلها نظرا لان الوقت كاد يفلت وهكذا انسحبت الكتائب قليلا وتجمعت لدى الهدف قبل النهائى فى الخامسـة صباحا ولا شك أنه بالرغم من ذلك فقد كان الزحف بصفة عامة موفقا فقد أعطى الاستراليين وفرة المدفعية الهائلة مركزا هاما للمراقبة فى جميع الاتجاهات علاوة على أسر ١٧٣ دبابة ألمانية و ٦٧ دبابة ايطالية فى حين كانت خسائر الاستراليين معقولة فى الرجال فقد بلغت جميع خسائرهم منذ بدء الزحف حوالى ١٠٠٠ رجل قتل ١/٦ منهم فقط والباقى وقع فى الأسر ٠

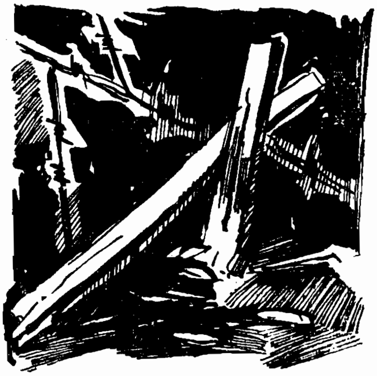
أما قطاع الجبهة الذى يلى هذا القطاع مباشرة فلم تكن الأمور تسير على ما يرام فقد كانت خطة لامسدن قائد الفيلق هى أن يظل كنشنجتون على رأس الآلاى ٢٤ المدرع حيث هـو ضرب تلك المطيرية وأن يتحـرك شمالا عند بزوغ أول أضواء النهار كى ينضم الى الآلاى الثانى المدرع بقيادة فيشر المتحرك الى جنوب تل الكلخ وهو التل الذى كان على الآلاى السابع سيارات ، بقيادة بوسفيل ، أن يحتله فى حين يتوغل الاستراليون شمالا ولم يعرف الا فى وقت متأخر أن ويمبرلى قائد الفرقة ٥١ مشاة قد أرسل الثلاث كتائب للزحف فى ثلاث اتجاهات فى وقت واحد ولم تكن الانباء قد وصلت بعد عن مدى ماأحرزته الكتائب ، من تقدم واحد أو أكثر من كتائب المشاة الثلاث ، فى طريقها اليها أو مااستولت عليها، ومن ثم عدلت

مهمة الآلاي الاول المدرع بقيادة بريجز الى القيام بمتابعة المشاة ورفع الالغام ومساعدة الآلاى الثانىالمدرع على الزحف الى الامام وقد حاول بريجز خلال النهار القيام ببضعة عمليات لاحتلال تل الـكلخ بعد أن قامت دبابات لبتوريو الايطالية بالمحاولة نفسها الا أن وحدات الدبابات الثلاث خسرت كثيرا منهـا ولم يبق لديها جميـعا الا ٥٢ دبابة شيرمان و ٤١ دبابة كروسادر ٠

وفى الساعة الرابعة والثلث صباحا اتصل الجنرال ديمبرلى قائد الفرقة ٥١ مشــاة بالجنرال « لبيس » قائد الفيلق الثلاثين واقترح أن يستفيد بريجز قائد الآلاى الأول المدرع من موقفه بأن تدور قواته الزاحفة جنوبا وعندما أبلغت هذه الرسالة الى الفيلق العاشر لم يوافق على الفكرة الا أن قيادة الفيلق اتصلت بـكل من الآلايين المصفحين وأسرتهما ببذل المعونة لفرقة ديمبرلى الحادية والخمسين مشاة ٠٠

توقف الفيلق الثالث عشر وانسحابه :

أما فى جبهة الفيلق الثالث عشر فقد تبين أن هجوم الآلاى التاسع والستين أصيب بفشل ذريع وكان حظه من الخسائر الجسيمة يشــابه حظ الآلاى ١٣١ الذى كان فى الموقع نفسه فى موقعة علم الحلفا وكان من جراء ذلك أن توقفت العمليات الحربية فى الجنوب وتولت قـــوات الجنرال هيدر «التى كانت قد فقدت حتى تلك اللحظة حوالى ٧٠٠ رجـل من مجموع رجال الآلاى» الدفاع عن الجبهة الواقعة جنوبى تل المناصب وضم القوات الخاصة بفرنسا الحرة تحت امرته وصـدرت الأوامر الى الفرقة السابعة المدرعة ومنها فقط ٧٠ دبابة جرانت و ٢٧ كروسادر و ٥٠ ستيوارت بالانسحاب الى ما وراء حقول الألغام ٠



الفصل التاسع

تعديل الخطة

٢٦/٢٨ من اكتوبر ١٩٤٢

أدرك مونتجمرى صباح اليوم السادس والعشرين من أكتوبر أنه ينبغى له أن يعيد التفكير فى خطته ولذا قضى الصباح كله وجزءا من بعد الظهر فى وزن الامور بميزانها الصحيح والخطوات الواجب اتباعها . فبالرغم من أن الفيلق الثلاثين قد حقق تقريبا أهدافه النهائية وليس هناك الا بضعة عمليات صغيرة بغيرها يتم تحقيق الأهداف التى رسمت له فقد ارتفعت الخسائر فى الرجال الى ٤٥٠٠ بالاضافة الى ٥٠٠ رجل فى الفيلق العاشر و ١٠٠٠ رجل فى الفيلق الثالث عشر ولو أن هذه الخسائر لا تعتبر فادحة الا أنه لم يكن فى الاستطاعة تعويض هذه الخسائر بالنسبة لفرقة جنوبى افريقية أو فرقة النيوزيلنديين التى فقدت ثمانمائة رجل يمثلون ثلث القوة البشرية المحاربة لهذه الفرقة . أما فرقة الهايلاند فقد فقدت ٢١٠٠ رجل وكانت فى أشد الحاجة الى الراحة قبل القيام بأى مجهود فعال آخر .

أما بالنسبة للعدو فلم يكن تحديد خسائره أمرا يسيرا والواقع أنه وقع ٢٠٠٠ جندى فى الأسر منهم ستمائة على الأقل من الألمان وبخلاف الأسرى لم يكن ثمة مصدر عن خسائره فى الرجال والعتاد الا ما جاءت به أنباء المخابرات من أن عدد القتلى والأسرى الألمان ٣٢٠٠٠ و ٢٩٠٠٠ ايطالى وفى الدبابات ٢٥٠ لألمانيا و ٢٨٠ لايطاليا ومدافع الميدان ٤٠٠ ، و٢٠٠ والمدافع ٨٨ مم ٥٠ و ٤٠ وفى المدافع الاخرى المضادة للدبابات ٤٠٠ ، ٣٢٠ للألمان والايطاليين على التوالى ولا شك ان هذه الأرقام مبالغ فيها كثيرا ولو صحت لكان معنى هذا انه ليس امام الجيش الثامن من عدو يخشاه على الاطلاق وهو الأمر الذى تنفيه المقاومة العنيدة التى يبديها على خطوط الجبهة .

واذا كان الفيلق العاشر قد أصاب العدو بخسائر فادحة فى الدبابات فانه لم يتسن له بعد .. اجتياز حقول الالغام والانطلاق وراءها فى أرض العدو الخالية منها . أما الفيلق الثالث عشر فقد حاول تحقيق أهدافه الا أن قوة زحفه كانت آخذة فى التناقص . وجاءت أنباء المخابرات تقول ان الاعتقاد السائد هو أن فرقتى البانزر الخامسة عشرة والحادية والعشرين لم تغادرا معاقلهما وكذا الفرقة التسعون المدرعة الخفيفة ما زالت ترابط

فى مواقعها بالقرب من الدابة وقبل بدء المعركة الهجومية للجيش الثامن وقعت وثيقة هامة فى أيدى البريطانيين تتضمن أوامر الجنرال شتوم ـقبل مصرعهـ باضعاف هجوم البريطانيين دون الاسراف فى قيام قوات المحور بهجوم مضاد على نطاق واسع · وبدا خلال سير المعركة أن هـذه السياسة فعلا اتبعتها قوات المحور نظرا لان قوات البانزر لم تظهر قوتها كاملة · وحافظت عليها كما يبدو حتى يخرج اليهـا الفيلق البريطانى العاشر فى العراء أو يتم اضعاف المشاة البريطانيين لدرجة لا يستطيعون معها المقاومة فى الجبهة الشمالية ·

ولم تعرف القيادة البريطانية ذلك اليوم ما حل بالجنرال فون شتوم الذى كان قد حل محل روميل أو أن هذا الاخير قد عاد الى جبهة الألمان فى الليلة السابقة ذلك أن الفيلد مارشال كيتل اتصل بالمارشال أروين روميل فى سمرنج التى يقضى فيها فترة الاستجمام ـ فى الساعة الرابعة مساء يوم ٢٤ من أكتوبر وأبلغه أنباء الهجوم واختفاء فون شتوم ومن ثم ظل روميل يعانى فترة عصيبة من القلق حتى اتصل به هتلر بعد منتصف الليل وأمره بالعودة عن طريق الجو · وفى الحال طار روميل الى روما فوصلها فى الصـباح الباكر يوم ٢٥ من أكتوبر حيث أبلغ بصورة عن الموقف الكئيب فى شمالى افريقية وعلم انه لم تصل الى ميدان القتال سوى ثلاث شحنات من البترول يوميا من الثلاثين شحنة التى تعتبر أنها الحد الأدنى لمطالبه اليومية منه فثار غضبه وأدرك أنه لم يعد له الا أمل ضئيل فى أن تنتهى المعركة القائمة بنجاح ثم واصل طيرانه عبر البحـر الأبيض فوصل الى قيادة جيش البانزر الافريقى وقد أوشكت الشمس على المغيب ومن ثم اجتمع على الفور بالجنرال وستنال صديقه المخلص وبالجنرال فون توما الذى تولى القيادة مؤقتا بعد انقطاع أنباء الجنرال فون شتوم فرسما له صورة الموقف القائم ووجد أن نقص البترول كان فادحا مما عطل القيام بأية عملية مجدية وانه تبعا لذلك اقتصرت العمليات على هجمات مضادة محدودة هنـا وهناك قامت بهـا فرقة البانزر الخامسة عشرة باستمرار مما خفض قوتها فى الدبابات الصالحة للعمل فعلا الى ٣١ دبابة· ثم أن حاجز النيران وقذائف المدفعية البريطانية يضاف اليها نشاط سلاح الطـيران البريطانى بشـكل مفزع سببت جميعا خسائر مروعة لقواته وأضعفت الروح المعنوية فى الجنود ·

وهنا أدرك روميل أن الهدف الذى ينبغى أن توجه اليه كل الجهود يتركز فى دفع القوات البريطانية الى الخلف بعيدا عن خط دفاعه الرئيسى بأى ثمن والقضاء على النتوء الخطير الذى أخذ فى الاتساع عند تل الكلخ

والواقع أن انتباهه تركز فى هذا التل وأن نجاح هجوم الفرقة الاسترالية على التبة تلك الليلة لم يسبب له من الانزعاج ما سببته هجمات فرقة الهايلاند وما تلاهما من محاولات الآلاى الثانى المدرع من استغلال هذه الهجمات المضادة لفرقتى البانزر الخامسة عشرة ولينوريو الايطالية على تل الكلخ وقد كان لبطء هجوم قواته والمقاومة الوحشية التى أبداهـا البريطانيون أثر كبير فى شعوره بخيبة الأمل وأزاد هذا الشعور حـدة القذائف المركزة التى أطلقتهـا المدفعية البريطانية وهجمـات المقاتلات والقاذفات الخفيفة البريطانية دون انقطاع ٠

ابادة كتيبة ألمانية :

وعندما تبين روميل أن الموقف لم يحرز الا تقدما طفيفا وأن الجيش الثامن كان يغذى المعركة عند تل الكلخ بقوات جديدة قرر أن يدفع الفرقة الألمانية التسعين الخفيفة الى المعركة تعززها وحدة انكامب ستاملى وهى الوحـدة الفدائية التى تحمى مركز قيادته وقد بدا للجنـرال فون توما أيضا وهو يحارب على رأس الفيلق الألمانى أن البريطانيين يقومون بمحاولات عدة لاختراق الخط عند تل الكلخ فى الجهـة الجنوبية منه مستخدمين الدبابات فى هذا الزحف ٠ وكانت النكبة بعد ظهر ذلك اليوم عندما تقدمت ١٦٠ دبابة بريطانية فأبادت كتيبة بأكملها من الفرقة الرابعة والستين الألمانية واخترقت الخط زاحفة الى الجنوب وقد أدى هذا الى ازدياد القتال عنفا ووحشية واندفعت فرقة البانزر الخامسة عشرة بكل ما لديها من دبابات فى هجوم مضاد أرغم البريطانيين على التراجع الى الخلف ولا سيما بعد أن أسهمت فرقة لينويو الايطالية فى الهجوم المضـاد وقد وصلت خسائر فرقتى المحور فى الدبابات الى ٦١ ألمانية و ٥٦ ايطالية ٠

وقد كان هذا اليوم الملىء بالعنف والوحشية سببا فى أن يوقف برتجز -على رأس الآلاى البريطانى الاول المدرع- هجماته فى الاتجاه الشمالى الغربى واكتفى كنشنجتون قائد الآلاى ٢٤ المدرع بالتحرك حتى أصبح على جناح الآلاى الثانى المدرع بعد الظهر ٠ وبالمثل أبلغ الاستراليون فى الشمال عن تهديدات مستمرة من هجمات مضادة للاستيلاء عـلى النتوء تتكون من ١٠٠ دبابة على الأقل الا أن هذه الهجمات ذهبت هباء بفعـل نيران المدفعية الشديدة والهجمات الجوية ٠

وبينما يدفع روميل بكل قواته الاحتياطية فى الشمال فى محـاولة يائسة لاستعادة مواقعه كان مونتجمرى يفكر فى سكون معتقدا انه قد يمر عليه اليوم هادئا ٠ وأصدر فى منتصف اليوم أوامر جديدة تقضى

بأن تقوم فرقة ديميرلى المشاة ٥١ بالقضاء على فلول المقاومة الألمانية ومن ثم يتم تحقيق أهدافه النهائية • وأن تقوم الفرقة التاسعة الاسترالية بقيادة مورسهيد بالزحف شمالا مساء يوم ٢٨ بعد أن تكون قد استراحت ثلاثة أيام بعد الهجوم الذى قامت به فى الليلة السابقة وان يقتصر نشاط «ليس» قائد الفيلق ٣٠ على عمليات صغيرة يكون الغرض منها مساعدة الفيلق العاشر بقيادة لامسدن فى اختراق خط العدو وأن عليه أن يكفل السلامة التامة لقطاعه ضد أى هجوم من العدو ويعد قواته للقيام بعمليات حربية واسعة فيما بعد • أما الفيلق العاشر بقيادة لامسدن فيقع عليه عبء الاحتفاظ برأس الكوبرى الذى أنشأه الفيلق ٣٠ كما عليه أن يتوسع فى الاتجاهين الغربى والشمالى الغربى من تل الكلخ فى حين تواصل الطائرات ضرب قوات العدو المصفحة أما فى جبهة الفيلق ١٣ فكان على قائده الجنرال هوروكس التيقن من عدم تعرض الفرقة السابعة المدرعة لخسائر بعد ذلك تصيبها من عمليات هجومية •

وفى تلك الليلة عقد مونتجمرى اجتماعا كان الغرض منه بحث تجميع قوات تكون بمثابة احتياطى للجنرال « ليس » قائد الفيلق ٣٠ فى عملياته المقبلة الهامة وكان مونتجمرى يهدف الى اطلاق حرية العمل للفرقة النيوزيلندية واسترعاء نظر همارونج قائد الفرقة المدرعة السابعة الى الاستعداد للزحف شمالا •

وقد وصلت هذه الأوامر مقر قيادة لامسدن فى الفيلق العاشر عند الثالثة صباحا ومن ثم أصدر أوامره طبقا لذلك بأن يقوم الآلاى السابع سيارات بقيادة « بوسفيل » بالزحف الساعة الحادية عشرة مساء فى منطقة تل الكلخ تعززه كتل مدفعية الفيلق العاشر • وبعض من مدفعية الفيلق الثلاثين وأن يقوم آلاى البنادق الثانى بالاستيلاء على جرف يقع على بعد ٢٠٠٠ ياردة غرب تل الكلخ بعد أن يرفع الالغام بوسائله الخاصة وينشىء حاجزا من نيران المدافع المضادة للدبابات عند الفجر مساعدة للآلاى الثانى المدرع بقيادة فيشر فى اختراق خط العدو ويتبعه الآلاى ٢٤ المدرع بقيادة كنشنجتون فى الرابعة والنصف صباحا ومن ثم يقوم الآلايان بالاتجاه نحو الشمال الغربى وذلك بعد أن عززت دباباتهما فبلغت ١٢٠ طرنت أو شيرمان و ٨٠ كروسادر •

رومل يجمع قواته :

وكان رومل قد قرر فى الليلة السابقة أن تتحرك فرقة البانزر ٢١ ونصف مدفعية الجيش من الجنوب الى الشمال وهو على علم بأنه لن يكون

لديه ما يكفى من البترول لاعادة هذه القوات ثانية الى مراكزها وكان على هذه القوات أن تنضم الى فرقة البانزر الخامسة عشرة وفرقة لينوريو وجزء من فرقة آرييت فى هجوم مركز على تل الكلخ ٠ فى حين تقوم الفرقة الالمانية التسعون الخفيفة تعززها كل ما يمكن اســــتخدامه من طائرات ستوكا الألمانية بالهجوم على الاستراليين ٠ وكانت الفرقة التسعون الخفيفة الألمانية ومعها فرقة تريستا قد تحركتا الى جنوب سيدى عبد الرحمن خلال الليل ٠ الا أن نشاط سلاح الطيران البريطانى المتواصل أخر تقدم فرقتى البانزر ٢١ ، آرييت نحو الشمال ٠ كما أن عملية تشكيل القوات استعدادا للهجوم وهى العملية التى قام رومل بمراقبتها شخصيا تخللها ضرب من الجو ومن المدفعية البريطانية وعلى هذا لم تشرع القوات الألمانية فى الهجوم الا فى الساعة الرابعة الا أن الهجوم قوبل بنيران فظيعــة ـ صبها الجيش الثامن ـ سببت خسائر جسيمة دعت القوات المهاجمة الى الانسحاب والى أن تقوم فرقة البانزر الخامسة عشرة والفرقة التســعون الخفيفة بجلب وحدات أخرى حتى تستطيع أن تحافظ على حاجز الدفاع ٠ وكان لهذا التراجع أثره فى أن يفقد رومل الامل فى النجاح مما دعاه الى أن يذكر فى خطابه الى زوجته تلك الليلة عن احتمال اصابة قواته بالهزيمة وانه ربما لايعيش حتى يشاهدها ٠

ولم يبد هذا الهجوم فى نظر فيشر قائد الآلاى الثانى المدرع سوى انه محاولة عادية لمجموعتين من الدبابات لاتتجاوز قوة كل منهما أربعين دبابة للتقدم جنوبا وبعد ذلك بساعة تقريبا خيل الأمر نفسه لوحــدة الهوسار العاشرة التى كانت تحمى جناحها الأيمن فرقة البنادق عندما حاولت الدبابات الألمانية الهجوم فى هذا القطاع فأوقف هجومها وتكبدت خســائر بلغت اثنى عشرة دبابة على التــوالى أصيبت كلها من المدافع البريطانية المضــادة للدبابات ٠ وفى الخامســة والنصف مســـاء انتهى الهجوم الألمانى تقريبا ما عدا الطابور الجنوبى الذى أخذ يصب نارا حامية الى مراكز آلاى البنادق لفترة طويلة بعد حلول الظلام وهو أمر لم تسكت عليه المدفعية البريطانية فأصلت المهاجمين نارا تلظى حتى ارتد الطابور راجعا الى خط استحكاماته ٠ ولقد قرر آلاى البنادق البريطانى أنه دمر ٧٦ دبابة للعدو الا أنه تبين بعد ذلك أن خسائر الألمان لم تتجاوز ٣٧ دبابة ولا شك أن هذا الرقم الأخير يعتبر خسارة باهظة بالنسبة للألمان اذا أخذ فى الاعتبار ما كان لديهم من دبابات محدودة العدد ووصف رومل فى تقريره موقف البريطانيين على أنه « دفاع هائل من المدافع المضادة للدبابات لا يمكن تصديقه » ٠

ولقد أيدت المدفعية التى كانت قد عملت على رد الألمان الى الوراء عند منتصف الليل ـ محاولات بريطانية متجددة للفرقة الأولى المدرعة للزحف أماما ولكن تعززها هذه المرة مشاة السيارات التابع للجنرال « لى » ولقد اعتقد برنجز قائد الآلاى الأول المدرع فى أول الأمر أن آلاى البنادق لم يصل بعد ولكنه تبين فيما بعد أنه ارتد الى الوراء بسبب نقص الذخيرة ولم تصل أنباء عنه من ذلك الحين حتى الساعة الرابعة والنصف صباحا ولم يتحقق من مراكزهم الا فى الساعة الثانية صباحا .

أسر كتيبة بريطانية :

وفى الوقت نفسه قامت الكتائب الثلاث التابعة للآلاى ١٣٣ مشاة بقيادة لى بهجوم خاطف الا أن الكتيبة الأولى اعترض طريق زحفها وحدات جوردون البريطانية وبعد ذلك واصلت تقدمها لمسافة ميلين أسرت فيهما مائتى جندى برغم مدافع عيار ٨ب مم ثم قرر قائد الكتيبة أن لابد من أن يحقق هدفه حيث كانت الساعة الواحدة والنصف صباحا الا أن الكتيبة كانت تقف على أرض صلبة يصعب فيها الحفر للاحتماء بمراكز دفاعية وكان معزولا تماما عن الآلاى وعن أية وحدات أخرى وبعد الفجر بقليل هاجمتها الدبابات الألمانية التى أتبعت ما هو معروف عن الألمان من تدمير جميع المدافع المضادة للدبابات أولا ثم أطاحت بها الدبابات الألمانية فى السابعة والنصف وبعد ثلاثين دقيقة أسرت الثلثمائة جندى الباقين بالكتيبة وأبادت ستين جنديا .

أما فى شمال هذه الكتيبة فقد تقدمت كتيبة يوركشير دارجون وبعد أن أطاحت فصيلة منها بالعدو اضطرت الى الانسحاب أما فى الجنوب فقد تعرضت الكتيبة الثالثة التى كانت على تل الكلخ لنيران العدو الثقيلة ولكنها صمدت بالرغم من أن قائدها لقى حتفه ولقد تعرضت الكتيبة الخامسة أيضا للموقف نفسه الا انها لم تكن قد تقدمت شوطا بعيدا كما فعل آلاى البنادق فى اليوم السابق .

ولم تكن تفاصيل هذا الموقف قد وصلت بكاملها الى الجهات العليا فى القيادة ولا حتى الى الجنرال لى قائد الآلاى بالرغم من أن تقارير قائد الآلاى الثانى المدرع ذكرت أنباء عن أسرى بريطانيين شوهدوا سائرين الى الغرب وكانت فرقة « لانسر » التاسعة قد تقدمت الى النقطة ٣٣ وظهرت بعد ذلك وحدات « البانزر » هناك الا أن الأوامر وصلت الآلاى فى الساعة السابعة الا عشر دقائق بالتوقف فى مراكزه لأن الخطة كانت موضع

الأول المدرع بأسرع ما يمكن للراحة ولاعادة تنظيمه · وأن يستعد لامسدن استنادا الى مراكزه للزحف غربا بوساطة جناح الاستراليين تلك الليلة · كما تبين من بحث الموقف كذلك ان الفرقة الحادية والعشرين البانزر الألمانية قد تحركت شمالا ومن ثم تقرر أن تواصل القوات الجوية هجماتها على الأهداف التى حول تل العقاقير حيث ساد الاعتقاد أن الفيلق الافريقى قد تكتل فى مكان ما من هذه المنطقة · وصدرت الأوامر بعد ذلك فى أثناء النهار الى هاردنج قائد الفرقة السابعة المدرعة فى أقصى الجنوب بالتحرك شمالا الى موقع قريب من محطة العلمين الحديدية تاركا الآلاى الحقيقى الرابع المدرع بقيادة روديك خلفه ·

هجوم النيوزيلنديين :

وكان قد سبق لفرايبورج قائد الفرقة النيوزيلندية الثانية أن اقترح منذ يومين القيام بهجوم جديد فى جبهة الفرق الثلاث واستخدام القوات المصفحة كقواعد ثابتة للقوات تحمى الأجنحة ولا تتدخل فى القتال بصفة مباشرة الا اذا هاجم العدو بمصفحاته · بعد خط النيران الألمانى · وقد ذهب فرايبورج هذا الصباح لزيارة مدرسهيد قائد الفرقة التاسعة الاشتراكية ثم توجه لتناول الغذاء مع مونتجمرى وأبلغه هذا الأخير فى أثناء تناول الغذاء أنه رأى ان يعهد الى النيوزيلنديين بعملية زحف على طول الشاطىء تأييدا لهجوم الاستراليين ثم يقدم فرايبورج بتوجيه آلايه المدرع لحماية الجناح الأيسر · ثم يحل الآلاى السادس النيوزيلندى محل الاستراليين فى قطاعهم من الجبهة فى الليلة التالية للهجوم الأخير أى ليلة ٢٩ ـ ٣٠ من أكتوبر · ثم يبدأ زحف فرايبورج بعد ذلك بأسرع ما يمكن وعلى أن يكون ذلك فى ليلة ٣٠/٣١ من أكتوبر ·

ونظرا لأن النيوزيلنديين لا يمكنهم تعزيز قواتهم بأفراد جدد فقد وضعت الترتيبات اللازمة لتعزيزه بآلايات بريطانية من المشاة وهى على الترتيب : الآلاى ١٥١ من الفرقة الخمسين ثم يليه الآلاى ١٥٢ من فرقة الهايلاند ثم بعد ذلك الآلاى ١٣١ من الفرقة الرابعة والأربعين وأخيرا الآلاى اليونانى اذا لزم الأمر • أما الآلاى التاسع المدرع فتكون له الأولوية فى استبدال الدبابات بغيرها •

وبينما كان مونتجمرى يقوم بتعديل أجهزة ضربته الرئيسية كان رومل ما زال تحت اعتقاد خاطىء من أن الهجمات التى وجهت فى القطاع الشمالى الى جبهته فى الصباح قد صدتها جميعا قوات البانزر وهى التى أصيبت بخسارة كبيرة أخرى فى الدبابات وان الاستعدادات تجرى للقيام بهجوم مركز حاسم بعد الظهر • وكان قد تم نقل الوحدات الألمانية كلها تقريبا من الجنوب وأن الفيلق الافريقى كله قد تمكن من الاحتفاظ بخطوطه ومن ثم أبلغ رومل جميع قواته أن اللحظة الحاسمة قد أتت وان المعركة أصبحت معركة حياة أو موت وأن على كل جندى أن يبذل كل مافى وسعه للفوز •

لم يتبين الجيش الثامن أن فيلق البانزر الافريقى الألمانى قد شرع فى توجيه هجوم شامل الا فى الساعة العاشرة مساء فقد قام الاستراليون بالهجوم على حسب الخطة بآلاياتهم الثلاثة تؤيدها ٢٤٤ مدفع ميدان و٤٨ مدفعا متوسط : الآلاى « ريجلى » العشرون الذى كان يمثل النقطة ٢٩ الكتيبة ١٧/٢ أخذ يتقدم لمسافة ميلين شمالا ومعه الكتيبة ١٥/٢ ومن ثم يوسع منطقة هجومه ٢٠٠٠ ياردة نحو الشرق بحيث تواجه الكتيبة ١٣/٢ والوحدة ٤٠ دبابات الغرب بين الكتيبتين ١٧/٢ ، ١٥/٢ لصد أى هجوم مضاد • هذا ما كان من شأن الطابور الأول •

أما الطابور الثانى فيتكون من الآلاى ٢٦ بقيادة هوايتهيد فكان عليه أن يستولى على المنطقة الواقعة بين أقصى مراكزه الشمالية والمستنقع المالح الواقع شرق الطريق البرى مباشرة الذى يسير بمحاذاة التل وشرق الخط الحديدى وهو ما يعنى الاستيلاء على مساحة واسعة •

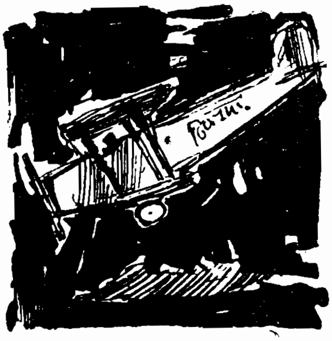
أما الطابور الثالث فيتكون من الآلاى الرابع والعشرين بقيادة جودفرى الذى كان يرابط فعلا شرق الخط الحديدى فعليه أن يوسع مراكزه فى الاتجاه الشمالى الغربى حتى ينضم الى الآلاى السادس والعشرين فى الطابور الثانى •

ولقد حقق الطابور الأول بقيادة ريجلى أهدافه بالرغم من حقل الغام

غير متوقع فى جبهة الكتيبة ٢/١٣ وضرب الألمان للكتيبة ٢/١٥ التى فقدت قائدها ومساعده ، وقد حقق هذه الأهداف بعد منتصف الليل بقليل ثم قام بحفر الخنادق ووضع الألغام لحماية قواته ·

أما فى جبهة الطابور الثانى الزاحف فيه الآلاى ٢٦ فقد كان ينبغى له لتحقيق أهدافه أن ينعطف مساره ثلاث مرات فى الطريق قبل الوصول الى خط بداية الهجوم ولم يكن القمر ظاهرا ثم ان امتلاء الجو بالغبار أدى الى اصابة ثلاث دبابات بفعل ألغام العدو ولما وصل الى خط بداية الهجوم الساعة الحادية عشرة وأربعين دقيقة مساء توقف الطابور نظرا لأنه لم يهتد الى الفتحات الآمنة التى تركتها الكتيبة ٢/١٧ بين الألغام الموضوعة لحمايتها · وبعد أن اهتدى اليها واصل تقدمه مسافة ٦٠٠ ياردة ثم وقع طعمة لنيران العدو التى انهالت عليه من المدافع المضادة للدبابات ومدافع الماكينة فضل الآلاى سبيله بين الألغام ومن ثم قفزت قوات المشاة بعيدا عن الدبابات وانقطع الاتصـــال بين الاثنين الهرج والمرج ولقى قائد المشاة مصرعه مما اضطر الجنرال بورسعيد الى العدول عن الهجوم ودعا هذا الآلاى الى الارتداد وهو الامر الذى تم دون خسارة كبيرة ·

ولقد وصف رومل فى تقاريره هذه المعركة قائلا انها كانت شيئا خارقا تماما وامتدح مدفعية الألمان لنجاحها فى صد هذا الهجوم بعد أن دارت المعركة حامية متواصلة · لمدة ست ساعات · ونظرا لأهمية هذه المعركة بالنسبة لرومل فقد قضى الليل كله على الطريق الساحلى بعد أن نقل مقر قيادته بعيدا فى الخطوط الخلفية وكانت ليلة قضاها سائرا على قدميه ذهابا وجيئة أعمل فيها فكره وأجهد نفسه ·· هل يتخذ قـــرارا بالانسحاب ؟ لقد أدرك بما جبل عليه من حنكة ودراية بفنون القتال أنه ان انتظر حتى يقوم البريطانيون بالهجوم الشامل كان فى ذلك كارثة محققة ولكن الانسحاب الآن معناه أن ينقذ معظم قواته المتحركة ومن ثم استقر عزمه على أن يقوم بمحاولة أخيرة وهى الاعتماد على خطوط دفاعه فى عناد واصرار كى يحمل العدو على العــدول عن هجومه الشامل · ان الفرصة ضئيلة فى نجاح هذا التدبير الا أن قلة تمويناته أملت على رومل أن يختار هذا التدبير فاذا كان قد كتب عليه الانسحاب فيجب أن يــكون هدفه الأول أن يعود معه بأقصى ما يمكن من الدبابات والعربات والأسلحة سليمة ضننا بها أن تقع فى أيدى الانجليز وعندما حل الفجر كان قد استقر رأيه على الانسحاب الى فوكة ـ اذا اشتد ضغط الجيش الثامن الى درجة لا يمكن مقاومتها ـ على بعد ٥٠ ميلا الى الخلف قبل أن تصل المعركة الى ذروتها ·



الفصل العاشر

الهجوم الشامل

٢٩ من اكتوبر الى ٢ نوفمبر ١٩٤٢

وبينما كان روميل يفكر جديا فى الانسحاب تجمعت سحب الشكوك والدسائس فى الجانب الآخر من الجبهة وعلى مستويات مختلفة فقد استمرت المعركة حتى تلك اللحظة ست ليال وخمسة أيام ولم يبد أنها حققت شيئا سوى ارتفاع فى الخسائر . وقد انتاب تشرشل حالة من القلق العميق ولا سيما بعد أن وصلته بالطبع الشائعات التى راجت فى القاهرة وقد أثارت الانباء التى وصلته عن انسحاب الفرقة النيوزيلندية من الجبهة والشائعات التى تنبىء بانسحاب قوات أخرى فى نفسه ذكريات مريرة عن مواقف فشل سابقة فى هذه الحرب وفى الحرب العالمية الأولى كذلك وفجأة أملى رئيس الوزراء البريطانى مشروع برقية الى الجنرال الكسندر تعبر عن قلقه العنيف وأرسلت الى الجنرال آلان بروك رئيس أركان حرب القوات الامبراطورية وهو مازال مستغرقا فى النوم فى ليلة ٢٩ من أكتوبر والتى دعته أن يخوض مع رئيس الوزراء مناقشة حامية الوطيس . وقد بدا أن تشرشل انتابه الندم على اختيار مونتجمرى لقيادة الجيش الثامن واتهمه بانه لا يضع قلبه فى المعركة . ومن ثم عقد اجتماع لمجلس الحرب البريطانى حضره رؤساء أركان الحرب لبحث الموقف حيث تصدى بروك للدفاع عن الكسندر ومونتجمرى ضد اتهامهما بأنهما لم يفعلا شيئا خلال الايام الثلاثة الاخيرة وانهما فقدا السيطرة على المعركة وعبر بروك عن ثقته الكاملة فى توجيه وتقدم المعركة ولو انه بينه وبين نفسه كانت تساوره بعض الشكوك .

وكان من جراء هذا القلق البالغ فى لندن أن حضر الكسندر وكايسى وزير الدولة البريطانى فى الشرق الاوسط وماكريرى من القاهرة لبحث الموقف مع مونتجمرى صباح اليوم التاسع والعشرين من اكتوبر . لقد كان للفشل الذى أصاب الآلاى ٢٦ فى الهجوم الاسترالى ما يبعد الأمل فى نجاح الهجوم الشامل وهو الاسم الذى أطلق على خطة دفع الفرقة النيوزيلندية على طول الساحل . وبالرغم من الشكوك التى أبداها قواد مونتجمرى بما فيهم جينجاند والتى شاركهم فيها ماكريرى والكسندر فان مونتجمرى لم يتزحزح قيد أنملة عن خطته مع أن مواصلة هجوم الاستراليين قد تأخر الى يوم ٣٠ من أكتوبر .

ثم وردت الانباء على مقر قيادة مونتجمرى فى أثنـاء النهـار تفيد باشتباك ثلاثة آلايات من الفرقة الألمانية التسعين الخفيفة مع الاستراليين منذ الليلة السابقة وتجمعت الدلائل على أن فرقة تريستا الايطالية قد احتلت الخط الواقع جنوب الفرقة الالمانية وبهذا يتضح بجلاء أن الهجوم الشامل سوف يواجه بمقاومة عنيفة وأن رومل كان قد توقعه واستعد له بعد أن عرف حينئذ أن رومل قد عاد من أوروبا ٠ وعندما عرض جينجاند هذه الأنباء على مونتجمرى وافق الأخير على تغيير الخطة بحيث يظل الاستراليون قائمين بعمليتهم من مواصلة الهجوم شمالا وفى ليلة ٣٠ من اكتوبر ولكن بدلا من أن يفسحوا طريقا لفرايبورج يقوم هذا الاخير على رأس الفرقة الثانية بالزحف غربا فى الليلة التالية وبعد قيام سلاح الطيران البريطانى بعمليات ضرب مركزة ويكون الزحف على جبهة عرضها ٤٠٠٠ ياردة جنوبى النقطة ٢٩ وشمال تل الكلخ وبهذا الوضع يكون الخط الاوسط هو الحد الشمالى السابق تحديده لفرقة الهيلاند ويصبح كذلك الى الشرق من طريق سيدى عبد الرحمن شمالى تل العقاقير وعلى أن تعزز قواته الآلايين ١٥١ ، ١٥٢ مشاة والآلاى المدرع ٢٣ وعهد الى الجنرال ليس بالاشراف على العملية كلها فاذا ما حقق فرايبورج أهدافه عليه أن ينشىء حاجزا يستطيع خلفه الفيلق العاشر أن يعيد التشكيل اللازم لقواته استعدادا للهجوم على العدو والاجهاز على قوات رومل الميكانيكية التى كان يعتقد انها حول تل العقاقير ٠ ويكون على لامسدن قائد الفيلق العاشر بعد ذلك أن يتجه نحو الشمال الغربى الى محطة الغزال لعزل قوات رومل فى القطاع الساحلى ٠ ثم أنهى مونتجمرى تعليماته طالبا توافر الحزم فى القيادة والايمان بنجاح الخطة ٠

وبينما كان مونتجمرى يعد تعديل الخطة للهجوم الشامل كانت الفرقة التسعون الالمانية الخفيفة تحاول فتح ثغرة للوصول الى الكتيبة الثانية البانزر والتى عزلها هجوم الآلاى العشرين ٠ وقد قامت بثلاث محاولات لهذا الغرض فى أثناء النهار باءت جميعا بالفشل بسبب نيران المدفعية البريطانية التى جلبت فى وحدات كبيرة لحماية النتوء البارز الذى يحتله الآلاى العشرون البريطانى ولم يبد أن رومل يفكر فى بذل جهد جبار لتحسين الموقف فى هذه الجبهة اذ كان يتوقع أن يقوم مونتجمرى بهجوم رئيسى وكان مشغولا بأمور أخرى أكثر أهمية تدور حول كيفية انسحاب قواته الى فوكة وبينما هو مشغول بوضع خطة الانسحاب وصلته أنباء من القيادة العليا فى ايطاليا تقول ان فرقتين بريطانيتين قد عبرتا منخفض القطارة وأصبحتا على بعد ٦٠ ميلا جنوبى مرسى مطروح الأمر

الذى سبب لروميل ارتباكا مفزعا ولم يتضح له أن هذه الأنباء عارية من الصحة الا صباح اليوم التالى . وقد ساعدت هذه الأنباء على زيادة علاقته بالايطاليين سوءا ولا سيما بعد فشلهم فى تزويده بالبترول فقد أغرقت الناقلة بروزريينا وحمولتها ٤٨٠٩ أطنان من البترول يوم ٢٦ من اكتوبر وهى ثامن ناقلة أغرقت ذلك الشهر ثم جاءت بعد ذلك أنباء غرق الناقلة لوبزاند حمولة ٢٥٥٠ طنا ضغثا على آبالة فصب روميل جام غضـــبه على الاسطول الايطالى وفشله فى حمايتهما وعلى رأس الجنرال باربا سيتى الذى جاء للاجتماع به بدلا من كافالليرو .

التوقيت الصيفى :

أما فى جبهة الفيلق العشرين فقد ســاد النشاط استعدادا للهجوم الشــامل وكانت ليلة ٢٩ من اكتوبر هى الليلة الوحيدة التى لم تتخللها عمليات تذكر منذ بدء الهجوم وقد عقد مونتجمرى اجتماعا آخر كان الغرض منه ايجاد حل لمشكلة البحث عن منطقة تناسب اجراء تجميع النيوزيلنديين خلف الجبهة وكذا نظام تحرك المدفعية لتعزيز زحفين فى اتجاهين مختلفين يتمان فى ليلتين متلاحقتين ثم كانت هناك مشكلة ثالثة ولو انها جاءت عفوا الا أنها ذات أثر حاسم بعيد المدى ألا وهى التوقيت الصـــيفى الذى وضعت الخطة وأبلغت للفرق المختلفة على أســاسه ثم جاءت أوامر القيادة العليا للشرق الأوســط بان يعود مسرح المعركة كله الى التوقيت العادى للقاهرة اعتبارا من منتصف الليل يوم ٣١ من اكتوبر سنة ١٩٤٢ فيتم تأخير الساعات فى الساعة الواحدة صباحا ساعة واحدة . وكان قد تحددت هذه الليلة كى يهاجم فيها النيوزيلنديين ومن ثم تكهن مونتجمرى بما ســوف يحدثه هذا الامر من ارتباك وعلى هذا أصــدر أوامره بالا يتم تغيير التوقيت فى منطقة الجيش الثامن حتى تنتهى المعركة وقد استطاع بذلك ان يمنع حدوث ارتباك فى الجبهة الا ان الارتباك حدث فى أماكن أخرى . ذلك أن سلاح الطيران البريطانى كانت قواعده تقع بعيدا عن منطقة الجيش الثــامن وعلى هذا فان الطــائرات التى تقوم بمهاجمة العدو وتسهيل مهمة الزحف أمام المهاجمين كانت ستغادر قواعدها بحسب توقيت القاهرة وكذلك كان الأمر مع قطر السكك الحديدية وأخيرا تم الاتفاق على اتباع جرينتش .

وقد تم فى هذا الاجتماع أيضا الموافقة على أن يترك هارونج رووبك خلفه ويتجه شمالا فى ليلة ٣١ من اكتوبر وأن يسحب آلاى تشنجتون لاعادة تجهيزه وان يظل « لى » فى المؤخرة وتحت امره ديمبرلى وان يضم

ماتبقى من فرقة جيث هاوى الى القوات الواقعة تحت قيادة لامسدن وان يعطى الآلاى الرابع والعشرون دباباته الى الآلاى التالى وان تستكمل قوة هذا الآلاى الى ٨٢ دبابة شيرمان و ٧٢ كروسادر كما بلغت قوة الآلاى التاسع بانضمام النيوزيلنديين اليه فى الدبابات ٧٢طراز شيرمان ومرانت ٤٩ كروسادر ٠

أما قوات روميل فى تلك الليلة فكانت ١١٦ دبابة ألمانية ، ٢٢٠ دبابة ايطالية ومع قدوم الليل فى الليلة التالية ٣٠ من اكتوبر ـ تقدمت القوات ـ النيوزيلندية الى منطقة تجمعها وجاء فرابيورج الى الجبهة فلاحظ ما حل بقوات المشاة من تعب وخصوصا الآلاى ١٥٢ مشاة ٠ كما تبين أنه لم تكن هناك فرصة للآلاى ١٥١ مشاة أيضا كى يقوم بعمليات استطلاع كما أدرك الصعوبات التى تعترض جميع وحدات التعزيز اللازمة للآلايات مد كل هذا العدد الكبير من الفرق ٠ فقد كان على مدفعية فرقته أن تنتقل بعد قيامه بالهجوم لمساعدة الاستراليين وفى اللية نفسها ومن ثم استقر رأية على اعادة النظر فى أمر هجومه والتماس تأخيره ٢٤ ساعة مع ما فى هذا الامر من مضايقات ٠ منها قصر الفترة التى يظهر فيها القمر فى الليلة التالية وأخيرا رأى أنه قد يكون من المستحيل أن يعد قواته اعدادا كافيا للهجوم فى ظرف ٤٨ ساعة ومن ثم التمس من « ليس » تأخير هجومه الى مساء اليوم الأول من نوفمبر سنة ١٩٤٢ ٠ وقد ابلغت هذه الرسالة الى مقر قيادة الجيش الثامن فى الساعة الحادية عشرة والنصف ولم يرد الرد الا فى السادسة والنصف من صباح اليوم التالى عندما وافق مونتجمرى على مضضه » ٠

خسائر النيوزيلنديين :

وبينما كانت موافقة مونتجمرى هذه معلقة فى الميزان قام الاستراليون بتنفيذ هجومهم الذى لم يسفر فى الواقع الا عن الوصول الى الخطوط التى كان مقدرا للآلاى السادس والعشرين الاسترالى الوصول اليها قبل ذلك بليلتين . الا أن تقدم الآلاى بكتائبه الثلاث لم يكن مهمة سهلة فقد أصيب بخسائر كبيرة فى الرجال والعتاد وخصوصا الكتيبة ٤٨/٢ المتجهة الى الجنوب الشرقى والكتيبة ٢٤/٢ المتجهة الى الجنوب وعند الفجر تجمع الآلاى أو بمعنى أصح ما تبقى منه فى منطقة صغيرة يبلغ اتساعها نحو ميل من الشمال الى الجنوب ونصف ميل من الشرق الى الغرب وعلى بعد ميلين شمال شرق أقرب قوات بريطانية اليها وهى الآلاى العشرون وعلى بعد ثلاثة أميال الى الشمال من باقى الفرقة

ولم تستطع سوى الكتيبة ٣٢/٢ المحافظة الى حد ما على قواتها تحيط بها فلول الكتيبة الثامنة والأربعين فى مواجهة الجنوب الغربى وفلول الكتيبة ٢٤ فى مواجهة الجنوب ·

الا أن هذا الهجوم فاجأ العدو الذى كان يعمل فى ذلك الوقت على سحب الفرقة ٢١ البانزر من الجبهة للراحة واحلال فرقة تريستا محلهـا مفاجأة لم يكن يتوقعها وبعد أن قامت الدبابات من جبهة أخرى بهجوم صباح يوم ٣١ من أكتوبر تمكنت مدفعية العدو من وقفه ثم عاودت الهجوم المحاق بقوات هوايتهيد : تاركة الوحدة الأولى مع الآلاى العشرين وكان لهذه التحركات أثرها فى نفس المارشـــــال رومل فتوجه على الفور الى موقع شرقى جامع سيدى عبد الرحمن لمراقبة الأمور بنفسه واستدعى الجنرال فون توما والجنرال باير لاين رئيس أركان حربه لمقابلته هناك. وكانت وحدة الدبابات الاربعون البريطانية قد فقدت بعض دباباتها من طراز فالنين بفعل ألغام العدو كما فقدت قائدها بفعل نيران مدافــع العدو الا أنها تمكنت من ان تدفع طابورين من الدبابات الى شمال الخط الحديدى بعد صعوبة كبيرة · ومن ثم أمر رومل فون توما أن يهاجمهما بعد ذلك بساعة مستخدما فرقة البانزر الألمانية ٢١ والفرقة التسعين الألمانية الحقيقية تؤيده طائرات ستوكا المنقضة وجميع المدافع الألمانية الموجودة فى هذا القطاع وعندما تبين طابورى الدباباتالبريطانية المتقدمين دبابات فرقة البانزر الألمانية ٢١ تتخذ مواقع الهجوم قام هذان الطابوران بعبور الخط الحديدى فى الاتجاه الشمالى الغربى للهجوم عليها يؤيدهما مدافع عيار ٦ رطل التابعة لفرقة المدفعية ٢٨٩ المضادة للدبابات . وعلى كل حال فقد كانت قذائف المدفعية وقنـــابل سلاح الطـيران البريطانى كافية فى حد ذاتها لتبديد الهجوم الا ان هجوم الألمان تجدد بعـــد ذلك مرتين كل ساعتين بعد ذلك وفى الهجوم الاول تمكنت ١٨ دبابة ألمـــانية فعلا من اختراق خطوط البريطانيين ثم أرغمتها المدفعية والمدافعالمضادة للدبابات البريطانية على الانسحاب تاركة خلفها خمس دبابات ومدفعـــا عيار ٨٨ مم وفى الساعة الرابعة بعد الظهر قام الألمـــان بهجومهم الثانى فتقدمت ١٨ دبابة من شرق طريقها الى موقع هام على الجنـــــاح الشرقى للبريطانيين تستطيع منه أن تشغل فـــرقة الدبابات الاربعين عن خطهـــا الخلفى الأيمن وكان قائدها عائدا من زيارة قائد الآلاى الأربعين فأصابته قذيفة بريطانية ثم تبين بعد ذلك أنه بالرغم من أن جماعة الآلاى العشرين كانت قد وصلتهم للمساعدة فان الآلاى كله كان قد نقل الى موقعالكتيبة ١٣/٢ على بعد ميلين جنوبى السكة الحديدية .

وكانت جهود الجنرال «ليس» منصبة على الاستعدادات التى تقوم بها الفرقة النيوزيلندية للزحف أكثر مما هى منصبة على المعارك الدائرة فى جبهة الآلاى ٢٦ وقد تطلب الامر من هيئات أركان حرب كل من الفيلقين العاشر والثلاثين اتخاذ اجراءات حاسمة لنقل مراكز القيادة والوحدات وخاصة تلك التابعة للفيلق العاشر وتوفير المساحات اللازمة لذلك . وقد رات قيادة الجيش الثامن أنه ليس هناك ما يدل على انسحاب رومل بالرغم مما لوحظ على القطاع الشمالى فيما يختص بدباباته وانها أخذت تقل بشكل ظاهر وكان الاعتقاد سائدا بأن القوة الرئيسية للفيلق الافريقى الألمانى كانت تقبع فى مكان ما بالقرب من تل العقاقير فى حين ترابط الفرقة الألمانية التسعون الخفيفة بالقرب من سيدى عبد الرحمن . ثم تبين لقيادة الجيش الثامن أن فرقة البانزر ٢١ الألمانية قد اشتركت فى الهجوم على الآلاى السادس والعشرين البريطانى ومن ثم تكون عناصر النجاح قد توافرت لعملية الهجوم الشامل البريطانى . وفى الوقت نفسه وعلى الجانب الآخر من الجبهة . قام الجنرال فون توما والجنرال بابرلابن فى قيادة الفيلق الأفريقى الألمانى ببحث الموقف بحثا شاملا ومن ثم استقر رأيهما على سحب وحدات فرقة البانزر الألمانية التى كانت ترابط خلف الآلايين العشرين والسادس والعشرين البريطانيين ومع ما فى هذا من خسارة فى الأسلحة الثقيلة فانها قد تكون أخف وطأة بكثير مما لو قضى عليهما بالابادة الا أن هذا الرأى لم يعجب المارشال رومل وأصدر أوامر صارمة بمواصلة الهجوم فى اليوم التالى وهو قرار يتسم بسوء الحظ ولا شك انه كان ورقة رابحة فى يد مونتجمرى .

الهجوم الشامل :

وقد عقد مونتجمرى مؤتمرا هاما فى الساعة الثانية صباح اليوم التالى الموافق الأول من نوفمبر تحددت فيه ساعة الصفر فى الساعة الواحدة وخمس دقائق تلك الليلة للقيام بالهجوم الشامل . وتقضى الخطة بأن تحقق قوات المشاة أهدافها فى الساعة الرابعة الا الربع ثم تتوقف لمدة ساعتين تتقدم بعدهما قوات كارى قائد الآلاى التاسع المدرع مسافة ٢٠٠٠ ياردة وقبيل انتشار ضوء الفجر الى درب الرحمن ومن ثم تقوم قوات بريجز المدرعة باختراق خط الجبهة فى الخامسة والنصف وتمر بقوات كارى فى السابعة الا الربع بعد ذلك يتولى لامسدن قيادة المعركة حيث يكون بوسفيل على جناحه الايمن وفيشر فى الوسط وكوستانس

على الجناح الأيسر على رأس الآلاى السابع سيارات والآلاى الثانى المدرع والآلاى الثامن المدرع على الترتيب كما تقوم طائرات السلاح الجوى الملكى بالانقضاض على فرقة البانزر الحادية والعشرين والفرقة التسعين الألمانية الخفيفة .

وبينما كان الاجتماع منعقدا لتقرير الخطة السالفة كان الفيلق الافريقى بقيادة المارشال رومل يستعد لمعاودة الاتصال بقواته المعزولة وكان آلاى جودفرى الرابع والعشرون الاسترالى قد حل مكان الآلاى السادس والعشرين خلال الليل وتولى قيادة الوحدة ٤٠ دبابات والتى وصلت قوتها الى ١٦ دبابة فالنتين . وفى الثامنة والنصف رصد سلاح الطيران البريطانى قوة كبيرة من طيارات ستوكا متجهة الى الاستراليين ولكنه تمكن من ابادتها فى الجو قبل أن تلقى قنابلها وقد كان هذا هو السبب فى تأخير الهجوم الألمانى حتى منتصف النهار وهو الهجوم الذى استمر بقية النهار فى محاولات عدة أراد بها الألمان اختراق الخط الحديدى والطريق البرى الا أن الآلاى الرابع والعشرين ومعه بطارية روديسيا ٢٨٩ من المدافع المضادة للدبابات أخذا فى شدة وعنف يصدان موجات الهجوم المتتالية فى بسالة نادرة حتى الخامسة والربع حيث أصيب مركز القيادة بضربة مباشرة من الألمان قتل فيها قائد الآلاى وثلاثة من الضباط العظام كما جرح اثنان جروحا بالغة . ويبدو أنه فى وقت ما خلال المعركة أرغم هذا الآلاى على الارتداد جنوب الخط الحديدى ومن ثم تمكن الفيلق الافريقى بالاتصال بقواته المعزولة ثم سحب قواته فى أثناء الليل .

وخلال هذه الفترة الحاسمة من المعركة انتقل مركز الاهتمام الى الجنوب قليلا حيث هاجم الآلاى ١٥١ بمساعدة الدبابات ويكون الجناح اليمينى للنيوزيلنديين ـ فى اتجاه يعتدل نحو الشمال وتعرضت جماعاتهم المتقدمة لنيران حامية من العدو كما جرح قائد الجماعة وبمواصلة الهجوم ارتفعت اصاباتهم وفقدت الجماعات اتصالها ببعضها ولكنهم جميعا حاربوا بشجاعة فائقة برغم أن الدبابات التى كانت تؤيدهم لم تتمكن من الوصول اليهم وعندما حل الفجر كان هذا الآلاى العجيب قد حقق أهدافه وأسر ١٦٢ ألمانيا و١٨٩ ايطاليا . أما الى الغرب مباشرة فقد قام الآلاى الثامن المشاة الخفيف بالهجوم بالتقدم فى الوقت المحدود ووصل الى الهدف الاول فى الثانية والنصف صباحا بحسب الخطة ومع اصابته بخسائر فى الأرواح فى جماعاته المتقدمة بلغت مائة قتيل فانه

واصل تقدمه وحقق هدفه النهائى فى الساعة الرابعة صباحا بعد أن أسر ٥٠ جنديا ايطاليا .

والى اليسار من هذا الآلاى كان الآلاى التاسع مشاة الخفيف وقد حقق هدفه دون كبير مشقة ولم يخسر من الرجال سوى ٣٠ جنديا .

وفى أثناء ذلك تقدم الآلاى السادس الخفيف مشاة فى أثر آلاى من الفرقة نفسها وقد تصدت له قوات البانزر الخامسة عشرة وقوات ليتوريو الايطالية الا أن الدبابات التى تعززهما قضت على هذه المقاومة ووصلتا الى الأهداف النهائية المحدودة لهما مع الفجر .

وكان الموقع الذى حدد للآلاى ١٥٢ مشاة بقيادة « مرى » هو سد الجناح اليسارى للهجوم وقد شقت كتائبه طريقها الى الأمام ولكنها فى النهاية وصلت الى الأهداف المحدودة لها وبهذا يكون الجنرال فرايبورج قد قام بالمهمة الموكولة اليه وهى أن تحقق فرقة المشاة بقيادته أهدافها النهائية انتظارا لهجوم الفرقة الأولى المدرعة بقيادة بريجز ، ومن ثم قام فرايبورج بالاتصال تليفونيا بالجنرال «ليس» قائد الفيلق الثلاثين فى السابعة وخمس وثلاثين دقيقة وأخبره أن الآلاى التاسع المدرع أصيب بخسائر جسيمة وأن الآلاى الثانى المدرع بقيادة فيشر كان يتقدم ببطء وطلب اصدار الأمر له بالاسراع وقد وافق ليس على أن يتصل بالجنرال لامسدن قائد الفيلق العاشر لبحث هذا الموضوع . وفى خلال العشر دقائق التالية اتصل فرايبورج بالجنرال « ليس » ثلاث مرات طالبا سرعة وصول القوات المدرعة ولا سيما بعد أن لاحظ أن دبابات العدو تتحرك من الشمال للايقاع بقواته ثم مرت نصف ساعة وأصبحت بعدها قوات الآلاى التاسع المدرع فى موقف بائس نظرا لأن ما كان قد بقى لديها من دبابات لا يمكنه الصمود أطول من ذلك وعندئذ اتصل كارى قائد هذا الآلاى بالجنرال فرايبورج ليحثه على اجراء اللازم نحو الاسراع بدبابات فيشر الى الامام لمساعدته . ثم صدر بعد ذلك تحذير من قيادة الفيلق الثلاثين بأن قوات البانزر الحادية والعشرين من الشمال وفرقة البانزر الخامسة عشرة من الغرب تستعد للهجوم مما جعل الموقف أشد حرجا . والواقع لم تصل دبابات الآلاى الثانى المدرع لنجدة آلاى كارى الا فى الساعة العاشرة والدقيقة الأربعين بعد أن كاد الأمل فى تفادى الكارثة أن يتبدد وبعد أن خسر كارى سبعين دبابة هذا الصباح علاوة على ما فقده من الرجال والعتاد .

وكان من رأى كارى قائد الآلاى التاسع وفرايبورج قائد الفرقة النيوزيلندية انه بالقيام بالهجوم المركز على خط العدو سوف يتسنى فتح ثغرة تمر منها مصفحات الآلاى الثانى المدرع بقيادة فيشر خلال حاجز نيران المدافع الألمانية المضادة للدبابات وفيما وراء درب الرحمن . والواقع أن الموقف الآن قد تحسن كثيرا عما كان عليه لأربع ساعات خلت عندما حاول كارى القيام بهذه المهمة وفقد كثيرا من مصفحاته .

وكان من سوء حظ القوات الألمانية فى جيش البانزر الافريقى أن وقع الاختيار على هذه الليلة بالذات لتأخير الساعة والعودة بالتوقيت الى ما كان عليه قبل الصيف . مما سبب صعوبات كثيرة لهم وأصبحت فرصتهم فى تفادى الارتباك الناجم عن التوقيت الجديد ضئيلة عندما قامت الطائرات البريطانية بضرب مركز وأصابت احدى الطائرات مركز قيادة الفيلق الافريقى ولم يسلم فون توما نفسه من جرح أصابه فى تلك الغارة علاوة على تدمير كثير من وسائل الاتصال . ولم تعد الاتصالات التليفونية الى حالتها الطبيعية الا فى الخامسة والنصف ، وكان اتصال رومل بالجبهة لا يمكن أن يتعدى مركز القيادة الرئيسى بسبب هذا الاختلال . ولقد خيل للقيادة الألمانية أن الهجوم بدأ من نقطة تقع الى الشمال قليلا من نقطة الهجوم الفعلية واعتقدوا أنها ستبدأ بزحف من مواقع الاستراليين ويمتد الى موقع جنوب شرق سيدى عبد الرحمن ولم يعلموا بالهجوم الذى تم جنوبا من هذه النقطة الا فى الرابعة صباحا وأن الطوابير الزاحفة تسللت الى الجناح الأيسر لفرقة البانزر الخامسة عشرة ولكن خيل اليهم أيضا أن هذه هجمة أخرى يقوم بها الجيش الثامن وأن الهجوم الأول ما زال موجها الى النقطة الأولى ومن ثم صدرت الأوامر الى فرقتى البانزر بالهجوم فى الحال فى الساعة الخامسة الا الربع كل منها فى جبهتها ثم تتحرك فرقة البانزرات شمالا تجاه سيدى عبد الرحمن ثم تتحول شرقا لملاقاة القوات البريطانية الزاحفة من الشمال ولم يتبين جيش افريقية الألمانى الايطالى الموقف على حقيقته الا مع ضوء النهار بالرغم من أن تفاصيل الزحف البريطانى لم تكن اكتملت لديه وكانت اتصالات القيادة قد قطعت مع قوات فون راندو ووصلتها رسالة عن طريق جيش البانزر بايقاف تقدم الفرقة ٢١ البانزر . أما الجنرال فون اسبونيك على رأس الفرقة التسعين الألمانية الخفيفة فقد كان يعمل مباشرة تحت امرة رومل بدلا من فون توما كى يتفرغ الأخير لقيادة الهجوم المباشر فاجتمع بالجنرال فون فارست فى مقر قيادة فرقة البانزر الخامسة عشرة فى الثامنة والربع ومن ثم اتخذت

الترتيبات اللازمة للهجوم على النتوء البريطانى بوساطة الفرقة ٢١ البانزر فى الشمال فى حين تقوم الفرقة الخامسة عشرة البانزر ومعها كل ما تستطيع ضمه من دبابات فرقتى ليبتوريو وتريستا الايطاليتين للهجوم فى الوقت نفسه من جبهة الغرب ولم تكن قد تمت عناصر الهجوم الا فى الساعة الحادية عشرة صباحا وهو الوقت الذى وصل فيه أيضا الآلاى الثانى البريطانى المدرع بقيادة فيشر والآلاى التاسع المدرع ، بقيادة كارى فى الناحية البريطانية من الجبهة ٠

ولم يغب الارتباك الذى حدث فىصفوف الألمان عن عين مونتجمرى واتجه نحو مركز قيادة « ليس » قائد الفيلق العشرين التى نقلت الآن الى موقع غرب تل العيس وقد كانت الصورة التى رسمت له عن سير المعركة مشجعة تماما اذ تمكن الفيلق الثلاثون من تحقيق الأهداف التى وضعت له جميعا فى حين كانجناحه الأيمن المواجه لقوة رومل الأساسية قد نقلت له كل أسباب القوة والأمن ثم بدا من الواضح أن الفيلق العاشر الذى كانت الخطة تقضى بقيامه بالزحف بعد ذلك يلاقى مقاومة شديدة متزايدة من الألمان بالرغممن أنهم لم يكونوا قد قاموا بالهجوم المضاد بعد ولكن بدا أيضا أن القطاع الجنوبى لم يكن يتسم بمقاومة شديدة فقد تقدمت كتيبتان من السيارات المصفحة فى الصحراء المكشوفة ٠ ومن ثم قرر مونتجمرى أن ينتهز الفرصة السانحة فى هذه الجبهة فرأى أن تكون الخطة فى جبهة الفيلق العاشر بقيادةلامسدن أن يتجاهل كوسنانس قائد الآلاى الثامن المدرع ضغط العدد من الشمال وأن يزحف فى الاتجاه الجنوبى الغربى حول جناح فيشر الجنوبى بدلا من الانتظار حتى يمر بخطوطه ٠ وقد صدرت الأوامر الى الآلاى فى هذا الشأن عند العاشرة والنصف ثم يكون على الفيلق الثلاثين أن يزحف بعد الظهر الى النقطة ٣٨ بحيث يصبح على الجناح الأيمن للآلاى ١٥٢ مشاة بقيادة « مسرى » ثم يضم الى الفيلق الآلاى الهندى الخامس بمثابة احتياطى للمشاة ثم تتحرك الفرقة السابعة المدرعة بقيادة هارونج بأسرع ما يمكن كى تكون تحت قيادة لامسدن ثم يدفع به اذا سنحت الفرصة من الجناح الجنوبى نحو محطة الغزال على بعد ثمانية أميال غرب سيدى عبد الرحمن ثم يتحرك الآلاى الخفيف الرابع المدرع شمالا وينضم الى فيلق لامسدن ثم يستخدم هذا الآلاى فى استحداث ثغرة أخرى الى الجنوب قليلا فى الليلة التالية ومن ثم عاد مونتجمرى الى الى مقر قيادته بعد اتخاذ هذه القرارات ٠

توالى الخسائر على قوات المحور :

وفى الوقت نفســـه احتدم وطيس المعركة وانتشرت بسرعة حول درب الرحمن ووجد فيشر أن قواته لا تســتطيع التقدم نظرا لأن دباباته ومدافعه المضادة للدبابات كانت تعمل بشكل متواصل ضد العدو وخاصة فى القطاع الشمالى والقطاع الشمالى الغربى تســـاعده بطاريات المدافع وكانت العمليات فى هذا الميدان هى أكثر العمليات وحشية وضراوة فى معركة العلمين كلها فقد حاول جيش البانزر الافريقى لمدة ســـاعتين متواصلتين أن يدفع الآلاى الثانى المدرع الى الخلف الا أن هذا الآلاى صمد فى بســـالة نادرة وصب نيران مدافعه ومدافع دباباته تؤيده المدفعية الثقيلة من الخلف وسرب من الطائرات يتكون من ثمـــانى عشرة قاذفة قنابل ولقد ضحى رومل بمدافعه المضادة للطائرات كى يســـتخدم كل المـدافع عيار ٨٨ مم التى يستطيع الحصـول عليها فوصل مجموعهـــا ٢٤ مدفعا قبل أن يقضى عليها . ولقد بدأت الخسائر فى الدبابات الايطالية ترتفع ولم يستطع القواد الايطاليون الاحتفاظ بهـــا فى خط القتال ثم أدرك رومل وفون توما أن هجومهم المضاد الأول قد فشل وعندئذ أصدر أوامره ببدء الهجوم الثانى فى الساعة الثانية بعد الظهر وأن يجلب القوة الرئيسية لفرقة أرييت من الجنوب الى الشمال يعززها جزء كبير من المدفعية وبذا تجردت الجبهة الجنوبية من الاحتياطى وقد قرر أيضا أنه قد حان الوقت كى يقصر خط الجبهة فى القطاع الشمالى فترتد قواته الى سيدى عبد الرحمن .

وبينما يقوم كل من فيشر وفون توما بتوجيه الضربات كل منهما للآخر بذلت محاولات لدفع قوات كوستانس الى الجنوب الغربى ولقـــد استغرقت العملية بعض الوقت حتى يستطيع أن يخلص دباباته من نيران فرقة البانزر الألمانية الخامسة عشرة وعندما بدأت تتحرك فيما بعد عند الظهر تعرضت الى ستار النيران الألمانى ولم تستطع التقدم طوال النهـار وفقدت ست دبابات كروسادر الا أنها قالت انها دمرت ١١ دبابة للعدو والى يسار مؤخرة هذا الآلاى كان ويميرلى يعد العدة لهجوم آلاى سيفورت الثانى تعززه وحدة الدبابات الخمســون ومدفعية الميدان . ثم تحددت ساعة الصفر فى السادسة بدلا من الرابعة ثم تأخرت الى السادسة والربع مما سبب ارتباكا لرجال المدفعية ، الا أنه عندما بدأ التحرك سار كل شىء فى نظام دقيق ولم تصب قوات المشاة بخسائر أما الدبابات فقد دمرت أربع منها طراز فالنتين الا أن الآلاى أسر ١٠٠ جندى من فرقة تريستا ثم وقع بعدهم ٦٠ أسيرا آخر حتى قبل أن يبدأ الآلاى الخامس بقيادة « لى » فى الهجوم .

الانسحاب ..

وعندما فشل فون توما فى احراز أى نجاح من وراء هجومه الثانى دبر هجوما ثالثـــا قامت به وحدات من فرقة البانزر الألمانيــة الحادية والعشرين ضد جناح النتوء البريطانى الشمالى وذلك قبيل غروب الشمس الا أن هذا الهجوم لم يكتب له النجاح حتى بعد أن يبدأ ، اذا انخفضت قوة الفيلق الافريقى الى ٣٥ دبابة صالحة للعمل وكان قد أطلق كميات كبيرة من ذخيرته ومن ثم اتخذ روميل قراره المحتوم بالانسحاب الى فوكه على بعد ٦٠ ميلا الى الوراء منتزعا قواته من القطاع الجنوبى خلال الليل الى الخلف عند الخط القديم الممتد من قارة العبد الى جبل الكلخ . أما فى الشمال فقد عهد الى قواته المكونة من الفيلق الافريقى والفيلق العشرين والفرقة التســـعين المدرعة الخفيفة فقد قامت بمقاومة الجيش الثامن مع الانسحاب ببطء فى اليوم التالى الى الخط الممتد جنوب الدابة مســـافة عشرين ميلا فى حين تراجعت قوات المشاة اما سيرا على الأقدام أو على أية دبابة كانت صالحة فى ذلك الوقت .

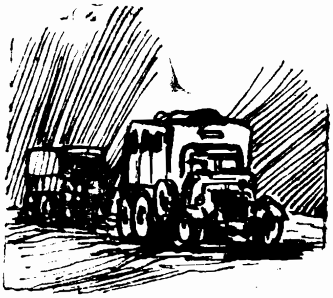
وقد أبلغ روميل قراره بالانسحاب الى مركز قيادة هتلر قائلا : ان قواته أصبحت الآن فى حالة فظيعة من الضيق الجسمانى والعقلى ولم تعد تتوقع صد العدو من اختراق خطوطها وهو اختراق وجد نفســـه مرغما عليه فى اليوم التالى وأنه ليس من المستحيل عليه أن يشتبك مع العدو الا أن النقص فى العربات والبترول لن يساعد على تحقيق مايمكن أن ينجزه .

وقد تضمن خطابه الى زوجته فى تلك الليلة رنة أسى عميق اذ قال :

« عزيزتى لو : ٣ من نوفمبر سنة ١٩٤٢ .

ان المعركة تنقلب بشدة ضدنا ونحن ببساطة قد سحقنا قـــوة العدو المتزايدة ولقد قمت بمحاولة كان الغرض منها خلاص جزء كبير من الجيش وأرجو أن تفلح اننى أقضى الليل مسهد الأجفان أنهك عقلى وتفكيرى للوصول الى طريقة تخرج بها قواتى المسكينة من هذا المأزق .

ونحن نواجه أياما عصـــيبة وربمـــا أعنف ما يمكن أن يتحمله الانسان ولا شك أن الموتى منا قد استراحوا فقد انتهت متاعبهم ولكننى أفكر فيك دواما بقلب مفعم بالحب وعرفان بالجميل وقد تتحسن الأمور مرة أخرى ونستطيع أن يرى كل منا الآخر ثانية .



الفصل الحادى عشر

الهروب

من ٣ إلى ٧ من نوفمبر ١٩٤٢

ومع انقضاء النهار فى اليـــوم الثانى من نوفمبر لم تكن الفـرقة البريطانية المـدرعة الاولى قد حققت أى تقدم ولكنهــا ادعت وربما كان ادعاؤها صحيحا انها عطلت ٦٢ دبابة للعدو فى مقـــابل عشر دبابات خسرتها وكانت خسائرها فى الرجال طفيفة جدا وكان الآلاى الثانى المدرع ما زال لديه مائة دبابة فى حين كان عدد دبابات الآلاى الثامن بقيـــادة فيشر ٨٦ دبابة كما أن الفرقة السابعة المدرعة بقيادة هاردنج التى كانت تقترب منهما كان بها من الدبابات ما يوازى الدبابات المجهز بهـا الآلاى الثانى والعشرون المدرع وكانت تقضى الخطة التى وضعها لامسدن قائد الفيلق العاشر بأن يتقدم الآلايان الثانى والثامن المدرعان بقيـــادة فيشر وكوستانس غربا لمسافة خمسة أميال فى حين يلتف الآلاى الســــابع سيارات جنوبا على درب الرحمن فى حين تتقدم الفرقة الســابعة المدرعة تلك الليلة للاستيلاء على المنطقة حول تل العقاقير التى كان على الفـــرقة الاولى المدرعة أن تستولى عليها فاذا ما حقق هـــذا الهدف بزحف الآلايين الثانى والثامن المدرعين مارين به على أن يتبعهما هاردنج على رأس الفرقة السابعة مع طلوع النهار ٠٠ وكان من جهاد تغييرهذه الخطة أنه لم ينفسح الوقت أمام آلاى السيارات السابع لاعداد هجومه المحدود له الســـاعة الواحدة والربع بعد منتصف تلك الليلة ومن ثم وضع تنفيذ خطة الهجوم على عجل لدرجة أن المدفعية التى أيدت الهجوم لم تكن كافية وقد تركت لكل كتيبة تدبير أمر زحفها ثم وكل لآلاى البنادق التقدم لمسافة ميل تجاه الغرب الى الموقع الذى رابط كتيبة لافر التاسعة طول اليوم ثم يتقدم بعد ذلك ميلا آخر ثم كان على الكتيبة ٢/٦٠ أن تستولى على تل العقاقير فتقطع ٢٠٠٠ ياردة غربا متقدمة من الركن الجنوبى الغربى للنتوء التى كانت تحافظ عليه آلاى المشاة ١٥٢ بقيادة «لرسى» ٠ أما فى الوسط فيقوم آلاى البنادق السابع بالتقدم الى درب الرحمن ولم يعزز هذا الآلاى بالمدفعيـة لأنه خيل خطأ للقيادة البريطانية ان مهمته كانت مقصورة على اعادة احتلال مساحة من الارض كانت تحتلها وحدة أخرى فى أثناء النهار ومن ثم واجهت الكتيبة الثامنة بنادق مقاومة عنيفة من جانب العدو الذى انتشر عليه على طول درب الرحمن ونظرا لان مدفعية الآلاى المضادة للدبابات لم تستطع التقدم للحاق بها خسرت الكتيبة كثيرا من الرجال عند تحقيق هدفهـــا

وبلغت قوتها ٦٠ رجلا وكانت الارض فى تلك المنطقة ذات طبيعة صلبة لم تمكنها من الحفر للاضمار داخل خنادق ومن ثم طلب بيرسون القائد السماح له بالارتداد وحصل على اذن بذلك فانسحبت الى خط بداية الهجوم ولقد حدث الشيء نفسه لشقيقتها الكتيبة السابعة فبعد أن احتلت مواقعها فى هدوء فوجئت بنيران حامية من العدو على الدرب نفسه فأصيبت بخسائر فادحة اضطرتها الى الانسحاب أيضا الى خط بدء الهجوم ٠ أما جبهة الجناح الأيسر للآلاى فقد واجهت الكتيبة الثالثة ٢/٦٠ صعوبات منذ البـــداية ذلك أن الكتيبة اعتقدت خطأ أن ساعة الصفر قد تأجلت لمدة ساعة ولكنها لاحظت أن المدفعية البريطانية أخذت تصب نيرانها بحسب البرنامج الأصلى فى حين لم تكن الكتيبة قد تحركت بالطبع الى الامام كى تكون خلف حاجز النيران ولم تستطع أن تتقدم سوى ٥٠٠ ياردة فى اتجاه الدرب وحفرت خنادقها فى هذا الموقع الا أنه مع طلوع النهار تبين لها أن هـــذا الموقع مكشوف تماما من الارض المرتفعة التى يشرف عليها تل العقاقير ٠

وعندما تبين قائد الفيلق العاشر ذلك وكان قد أبلغ بانســحاب الكتيبتين الاخيرتين رأى أن يهب الآلاى المدرع الثانى لنجدتها بالهجوم على تل العقاقير فى حين يتجه كوستانس الى جنوبى التل فى محاولة لزحزحة العدو ٠٠ ومن ثم زحف الآلايان فى حذر مع خيوط النهار الاولى ولكنهما لم يتقدما بالرغم من النيران الوحشية التى صبتها مدافع العدو المضادة للدبابات الواقعة على المرتفع الذى يشرف على الدرب وبالرغم من تدبير عدد كبير من هذه المدافع فلم يسفر هذا الزحف الا عن نبأ خاطىء ، وصـــل القيادة بأن الآلايين قد حققا هدفهما وأنهما استقرا بنجاح غربى الدرب ٠

كان مونتجمرى قد استدعى قواد الفيالق للاجتماع بهم فى التاسعة الا الربع نظرا لانه شعر أن رومل يقوم بمحاولة أخيرة يائسة ومن ثم رأى اعطاء الجانب الجنوبى للنتوء بالغ اهتمامه على اعتبار أنه أفضـــل نقطة لهجوم خاطف ٠ وبينما هم فى الاجتماع وردت أنباء عن وقوع انفجارات هائلة على جبهة الفيلق الثالث عشر وعن تراجع العدو فى هذا القطاع وكان لهذه الانباء مع الانباء الاخرى الخاطئة عن تقدم الفيلق العاشر أثر فى رسم صورة طيبة عن ضعف مقاومة العدو على الجبهة كلها ٠ عندئذ قرر مونتجمرى قيام ديمبرلى على رأس الفرقة الحادية والخمسين مشاة يعززه الآلاى الهندى الخامس بهجوم مركز فى الاتجاه الجنوبى الغربى تلك الليلة ٠٠

نعود الآن الى قيادة جيش رومل فعندما حل الفجر أدرك رومل أن تقريره الذى أرسله الليلة السابقة لابد أنه قوبل من القيادة العليا بالسخط

ومن ثم قرر أن يرسل ياوره الخاص الملازم برندت رأسا ليشرح الموقف الى هتلر مؤكدا سلامة الخطة ومطالبا بارسال الامدادوالتعزيزات وباعطاء روميل حرية العمل كاملة وبهذا يستطيع أن يخوض معارك ناجحة فيأثناء انسحابه يكبد فيها العدو خسائر فادحة حتى اذا ما وصلته الامدادات المطلوبة أمكنه هزيمته هزيمة منكرة أما اذا لم تصل الامدادات المطلوبة اطلاقا فهو يرى الانسحاب عبر البحر الابيض المتوسط الى ايطاليا والجلاء عن افريقية بكامل معداته وجيشه سليما ٠٠ ثم توجه روميل بعد ذلك لتفقد مواقعه الامامية وأدهشه أن سلاح الطيران البريطانى لم يكن قد قام بعد بتدمير مواصلاتالجيش الافريقى الالمانى علىالطريق الساحلى وعندئذ اتصل بالجنرال فون توما والجنرال بابرلين للحصول على آخر أنباءالقتال فأبلغاه أنه لا يبدو أن الجيش الثامن يقوم بمحاولة جدية للهجوم على الفيلق الافريقى ما زال لديه ٣٠دبابة وان وحدات الجيش الثامن ما زالت مشغولة باعادة التنظيم وسد الثغرات وأن جهودها مكرسة الى هجمات محلية وهى أنباء بعثت الارتياح الى نفس روميل ومن ثم قرر انتهاز فترة السكون هذه فى سحب معظم القوات الايطالية الى الوراء الا أن قرار الانسحاب هذا أدى الى ازدحام الطريق الساحلى مما استرعى انتباه سلاح الطيران البريطانى فقام بغارات مركزة على هذا الطريق فى موجاتمتتالية من الطائرات لدرجة أن روميل ذاته كاد أن يصاب فى طريق عودته الىمقر القيادة٠٠ثم ورد الرد من هتلر على تقرير روميل المرسل فى الليلةالسابقة فى الواحدة والنصف بتوقيتالالمان والثالثة والنصف بعد الظهر بتوقيت الجيش الثامن ويقول الرد :

خطاب هتلر

الى الفيلد مارشال اروميں روميل :

« ان الشعب الالمانى وأنا نتتبعالمعركة البطولية التى تدور علىأرض مصر بثقة تامة فى قيادتكم وفى شجاعة القوات الالمانية تحت قيادتكم ولا ينبغى أن يكون للموقف الذى تجدون أنفسكم فيه سوى حل واحد لن يكون سوى الاحتفاظ بمواقفكم فى عنف وعدم التخلىعن ياردة واحدة من الارض والقذف بكل رجل وكل بندقية فى المعركة وسوف تصل تعزيزات هائلة من قوات الطيران الى القيادة العليا كما أن «الدوتشى (موسولينى) والقيادة العليا فى ايطاليا يبذلان جهودا جبارة لموافاتكم بما يلزمكم لمواصلة النضال ٠٠ ان عدوكم بالرغم من تفوقه العددى والمادى لابد أنه أيضا قد استنفذ قوته ولن تكون هذه هى المرة الاولى فى التاريخ التى

ومن ثم قرر أن يرسل ياوره الخاص الملازم برندت رأسا ليشرح الموقف الى هتلر مؤكدا سلامة الخطة ومطالبا بارسال الامدادوالتعزيزات وباعطاء روميل حرية العمل كاملة وبهذا يستطيع أن يخوض معارك ناجحة فيأثناء انسحابه يكبد فيها العدو خسائر فادحة حتى اذا ما وصلته الامـدادات المطلوبة أمكنه هزيمته هزيمة منكرة أما اذا لم تصـل الامدادات المطلوبة اطلاقا فهو يرى الانسحاب عبر البحر الابيض المتوسط الى ايطاليا والجلاء عن افريقية بكامل معداته وجيشه سليما ٠٠ ثم توجه روميل بعـد ذلك لتفقد مواقعه الامامية وأدهشه أن سلاح الطيران البريطانى لم يكن قد قام بعد بتدمير مواصلاتالجيش الافريقى الالمانى علىالطريق الساحلى وعندئذ اتصل بالجنرال فون توما والجنرال بابرلين للحصول على آخر أنباءالقتال فأبلغاه أنه لا يبدو أن الجيش الثامن يقوم بمحاولة جـدية للهجوم على الفيلق الافريقى ما زال لديه ٣٠دبابة وان وحدات الجيش الثامن ما زالت مشغولة باعادة التنظيم وسد الثغرات وأن جهودها مكرسة الى هجمات محلية وهى أنباء بعثت الارتياح الى نفس روميل ومن ثم قرر انتهاز فترة السكون هذه فى سحب معظم القوات الايطالية الى الوراء الا أن قـرار الانسحاب هذا أدى الى ازدحام الطريق الساحلى مما استرعى انتباه سلاح الطيران البريطانى فقام بغارات مركزة على هذا الطريق فى موجاتمتتالية من الطائرات لدرجة أن روميل ذاته كاد أن يصاب فى طريق عودته الىمقر القيادة٠٠ثم ورد الرد من هتلر على تقرير روميل المرسل فى الليلةالسابقة فى الواحدة والنصف بتوقيتالالمان والثالثة والنصف بعد الظهر بتوقيت الجيش الثامن ويقول الرد :

خطاب هتلر

الى الفيلد مارشال اروين روميل :

« ان الشعب الالمانى وأنا نتتبعالمعركة البطولية التى تدور علىأرض مصر بثقة تامة فى قيادتكم وفى شجاعة القوات الالمانية تحت قيادتكم ولا ينبغى أن يكون للموقف الذى تجدون أنفسكم فيه سوى حل واحـد لن يكون سوى الاحتفاظ بمواقفكم فى عنف وعدم التخلىعن ياردة واحدة من الارض والقذف بكل رجل وكل بندقية فى المعركة وسوف تصل تعزيزات هائلة من قوات الطيران الى القيادة العليا كما أن «الدوتشى (موسولينى) والقيادة العليا فى ايطاليا يبـذلان جهودا جبارة لموافاتكم بما يلزمكم لمواصلة النضال ٠٠ ان عدوكم بالرغم من تفوقه العددى والمادى لابد أنه أيضا قد استنفذ قوته ولن تكون هذه هى المرة الاولى فى التـاريخ التى

سى فورت تؤيدها ما بقى من دبابات انخفضت الى اثنتى عشرة فى العدد٠

أما هجوم راسل على رأس القوات الهندية فلم يكن فى نتائجه كذلك فقد وصلته الاوامر بالتقدم حوالى منتصف النهار وقد بذلت له المدفعية عونا مركزا أطلقت فيها ٣٧٥٠٠ طلقة ٠٠ وكان على الكتائب الهندية أن تقوم برحلة طويلة قبل أن تصل الى خط بدايةالهجوم وقد أصدرالكولونيل القائم على أمر الكتيبة الاولى / الرابعة أوامره فى الساعة السابعة والربع بالتحرك من الجبهة اليمنى ٠٠ أما الجبهة اليسرى فقد كانت مهمة الكتيبة البالوك الثالثة / العاشرة ولكن قائدها لم يستطع العثور عليها وكانت الكتيبة عندما تبين أن كتيبة البالوك لم تزل مقفلة صدرت الاوامر الى قائدها بالتوجه الى المواقع التى كان مفروض عليها أن تحتلها ومعه ما أمكنه جمعه من فلول هذه الكتيبة ذلك أنه لم يكن من السهل تأجيل ساعة الصفر الى أبعد من ذلك اذا كان على القوات أن تحقق هدفها عند الفجر ٠٠ ومن ثم بدأ الهجوم فى الثانية والنصف صباحاوسارت العملية فى نظام تام ٠٠

ولقد وقع فى أيدى كتيبة أسكى مائة أسير من فرقة فارستالبانزر الالمانية فى أثناء الزحف ثم ثمانون أسيرا آخرون عندما وصلت الى هدفها التى وصلته قبل الموعد المحدود لها بقليل ٠٠ ولم تتعرض الكتيبتان الاخيرتان لمقاومة شديدة فوصلت كتيبة راجيونانا فى الموعد المحدود لها ولم تلحق بها الجماعات المفقودة منها الا بعد الظهر أما كتيبة البالوك التى عثر عليها بعد ذلك فوصلت الى هدفها فى الساعة التاسعة ومن ثم قامت الكتيبة السابعة باحتلال تل العقاقير دون مشقة مع طلوع النهار وبعد ذلك تقدمت بقية الوحدة الملكية والكتيبة الرابعة للسيارات المدرعة الى الجنوب ثم تحولت غربا ٠

ويبدو أن رومل كان يجهل هذا التهور الجديد فى الموقف وانه ما زال تحت تأثير الاعتقاد بأن مونتجمرى لن يقوم بأية تحركات فسحب الفيلق الافريقى لمسافة ستة أميال من الاتجاه الشمالى الغربى خلال الليل وجلب الفرقة الالمانية التسعين الخفيفة الى منطقة محطة الغزال الى اليسار فى حين رابط فى اليمين فيلق سيفانى العشرون بعد أن انضمت اليه فلول فرقتى آرينب وليتوريو يقودهما الجنرال نيويا الايطالى بدلا من الجنرال أورزى الذى لقى مصرعه قبل ذلك ببضعة أيام ، قد مرت برومل تلك الليلة ليلة سوداء اذ كان سلاح الطيران البريطانى يواصل ضرب طابور العربات على الطريق البرى دون رحمة فعطل منها الكثير وقد زاره

المارشال كيسلرنج فى الصباح الباكر ودارت بينهما مناقشة حامية فقد اعتقد رومل أن موقف هتلر المتفائل يعود الى تقارير سلاح الطيران الالمانى ومن ثم صب جام غضبه على رئيسه الذى أخبره أن تفاؤل هتلر يرجع الى التجارب التى مرت بها الجيوش الالمانية فى أحوال متشابهة على الجبهة الروسية ثم انطلق رومل بعد ذلك وما زال الغضب يلازمه الى زيارة مقر قيادة فون توما ..

وكان مونتجمرى قد أصدر أوامره مســـاء اليــوم السابق للهجوم النهائى والذى تبين أنه يسير بشكل مرض وتنفيذا لهذه الاوامر تقـــدم الآلاى الثانى المدرع بقيادة فيشر ولكنه توقف حتى ينقشع الضباب ومن ثم واصل تقدمه فى حذرتتقدمه الوحدة الثانية عشرة منالسيارات المدرعة ويتبعه بريجز قائد الفرقة الاولى المدرعة بنفسه داخل احـــدى الدبابات وقد أصيبتهذه الدبابة فىالساعة العاشرة صباحا عندما تعرضتدبابات الآلاى لنيران مراكز المؤخرة للفيلق الافريقى وكانت فرقة البانزر الحادية والعشرون ترابط على جبهة تمتد ثلاثة أميال شرقا وغربا على خط يقع الى الشمال الغربى من تل العقاقير ويتصل جناحها الايمن بالجناح الأيسر لفرقة البانزر الخامسة عشرة والتى تمتد جبهتها جنـــوبا بعد ذلك وقد يتجه هجوم فيشر رأسا الى هذه النقطة التى يتصل فيها جناحا الفرقتين الالمانيتين وعندما زاد ضغطه اضطر فون توما أن يجلب وحدة حرســـه الخاص الى الخط وما حل الظهر حتى أخذ الالمان فىالتراخى بعد أنأصيب الكثيرون من دباباته ومدافعه المضادة للدبابات وأبيدت فـــرقة الحرس الخاص عندما حاولت الاستيلاء على تل المبصرة الذى تركز فيه جنـــاح الموقف كله ثم أصيبت دبابة فون توما واستسلم للكابتن جرانت سنجر قائد فرقة الاستطلاع فى حين افلح الجنرال باريرلاين فى الهروب ســيرا على الاقدام ووصل الى مقر القيادة بعد ذلك بســـاعتين حيث أبلغ رومل بدقائق الموقف وقد تناول فون توما القائد الالمانى الأسير العشـــاء تلك الليلة مع مونتجمرى ..

أما رومل فقد أصابه القلق للانباء التى وصلته عن اشتداد ســحب الغبار فى الجنوب والجنـــوب الشرقى ثم أبلغه وســـتفال تليفونيا أن البريطانيين نجحوا تماما فى اختراق خطوط الدفاع الرئيسية فىالوسط ثم تواترت عليه الانباء بعد ذلك من جبهة ستيفانى قائد الفيلق العشرين بأنه واقع تحت ضغطشديد من البريطانيين وانحوالى مائةدبابة بريطانية أو أكثر قد التفت حول جناحه الأيمن .

وكان مصدر التهديد الأول الآلاى الرابع الخفيف المدرع بقيادة روديك

فى حين كان مصدر التهديد الثانى من الفرقة السابعة المدرعة بقيادة هاردنج والمعروفة بجرذان الصحراء التى بدأت التحرك فى الساعة الخامسة مساء اليوم السابق ووصلت الى منطقة الفور فى الثامنة وكان عليها بعد ذلك ان تتقدم فى الثالثة الا الربع وتمر بالآلاى الخامس الهندى الا أن هذا التحرك تأخر مرتين حتى يتمكن الهنود من انجاز مهمتهم ثم واصلت تقدمها أخيرا فى السادسة والنصف بوحدة الهوسار الحادية عشرة فى الصفوف الأولى ولكنها أبطأت بسبب الغبار والضباب والرمال الرخوة ولم تستطع المرور بالآلاى الهندى الا فى الثامنة صباحا وسرعان ما شوهد طابور طويل للعدو فصدرت الأوامر الى الآلاى المدرع ٢٢ بقيادة روبرتسى بمطاردته ٠٠ ولقد أوصاه هاردنج قائد الفرقة السابعة المدرعة الا يجعل لهذا الطابور الذى بدا انه لاتحميه سوى اثنتى عشرة دبابة ايطالية فرصة لتأخيره بل عليه اما أن يلتف حوله أو يضربه فى الوسط ويعود فى الحال الا ان روبرتسى وجد مقاومة شديدة تعززها مدافع مضادة للدبابات عيار ٨٨ مم واستمرت حتى الساعة الواحدة عندما بدا عليها بعض الضعف ومن ثم انتهز روبرتسى هذه الفرصة وقام بحركة التفاف الى الجنوب ثم ارتد غربا الا انه لاحظ على بعد ستة أميال فى هذا الاتجاه مزيدا من الدبابات والمدافع ومن ثم استأنف القتال مرة أخرى حتى حلول الظلام وحينئذ تمت الاحاطة بفرقة آريبت الايطالية وهى الفرقة التى كثيرا ما أشاد رومل ببسالتها ثم أبيدت كلها ولم يخسر روبرتسى سوى دبابة واحدة ولكنه استولى على ٢٩ دبابة ايطالية وأخذ ٤٥٠ أسيرا ٠٠

وخلال هذه الفترة قامت وحدات ذوى السترات الرمادية مع الآلاى الرابع الخفيف المدرع بقيادة روديك بابادة بطارية للمدافع الايطالية على بعد بضعة أميال الى الجنوب وأخذت ٣٠٠ أسير أما بقية الفرقة النيوزيلندية الرابعة فكانت ما زالت تحاول شق طريقها بوحدات متفرقة من كل نوع ٠ وعند الظهر أدرك لامسدن قائد الفيلق العاشر أن الآلاى الثانى المدرع بقيادة فيشر يواجه مقاومة عنيفة ثم وجد أن الآلاى الثانى والعشرين المدرع بقيادة روبرتسى قد أصبح قريبا من جناح فيشر الأيسر ولا يفصله عنه سوى المنطقة التى كانت محدودة للآلاى الثامن المدرع كى يسدها وكان هذا الآلاى ما زال متوقفا عند تل العقاقير منذ الفجر ومن ثم صدرت الأوامر بان يتجه هذا الآلاى بقيادة كوستانس الى درب الرحمن متجها الى الجنوب ثم يغير اتجاهه الى الجنوب الغربى وبذا يدور حول جناح هاردنج خلال الليل ثم يواصل سيره عند الفجر حتى يصل الى البداية ولكن الآلاى لم يستطع التحرك قبل الساعة الرابعة بسبب طائرات الانقضاض ستوكا

الألمانية ثم توقف عند الغسق على بعد ثلاثة أميـــال غربى الدرب وميلين جنوب شرق روبرتسى وعشرة أميال شرق روديك وعلى بعد ميل واحد من ذوى السترات الرمادية الذين كانوا فى تلك اللحظة منهمكين فى ابادة البطارية الايطالية ٠

محاولة تطويق قوات المحـور :

وهنا أدرك روميل بوضوح خطر الاحاطة المحدق بقواته من أن عدد ما يملك من الدبابات عشرة أضعاف ما لديه هو ولم تعد هناك فائدة ترجى من محاولة اطاعة أوامر الفوهرر (لقب هتلر) وبعد مناقشة الموقف مع بايرلاين الذى تولى الآن قيادة الفيلق الافريقى أعطى الامر فى الخامسة والنصف بتوقيت الجيش الثامن بالانسحاب العام على الفور لانقاذ ما يمكن انقاذه كما تبين له بجلاء أن الارتداد لن يتم الا عن طريق العربات وبذا هرعت كل مركبة نحو طريق الافلات ٠٠

وكان مونتجمرى يأمل فى الايقاع بجيش البانزر قبل أن يفلت ومن ثم وضع خطته كى تسرع الفرقة الثانية النيوزيلندية الى فوكة والى الآلاى الثامن المدرع بقيادة كوستانس بالاتجاه الى سيدى جلال بين فوكة والداية خلال الليل أما الفرقة الأولى المدرعة والفرقة السابعة المدرعة فقد أمرهما بالتوقف ثم عدلت هذه الخطة خلال الليـــل على أثر الأنبـاء التى أتى بها سلاح الطيران البريطانى بوجود طابور ألمانى هائل يرتد فى الطريق البرى بين فوكة والدابة ومن ثم صدرت الأوامر الى الفيلق العـاشر بقيـادة لامسـدن أن يتقدم فى جسارة لتأخير العدو عند مرتفع فوكة ..

والواقع أن كلا من فرايبورج وكوستانس لم يتقدما فعلا بل اندمج الآلاى الرابع الخفيف المدرع بقيادة روديك والآلاى الخامس النيوزيلندى بقيـادة ـ كيبرجر على أن يتبعهمـا فرايبورج فيما بعد عند السـاعة الحادية عشرة من الليلة نفسها عندما تكتمل الفرقة بوصول الآلاى السادس بقيادة جنترى وبقية فلول الفرقة ولم يشرع الآلايان اللذان اندفعا فى مواصلة تقدمهما قبل حلول الظلام وكان اندفاعهما فى الظلام وبين دروب يعتقد أن العدو ربما ما زال يحتلها اندفاعا بطيئا نوعا ما ٠٠

ثم وصلت فرايبورج أنباء تقول ان فرقة البانزر الخامسة عشرة تتجه أيضـا الى فوكة مما جعله يســارع فى ضم فلول فرقته ومن ثم حددت الساعة الخامسة والنصف كبدء تحرك قواته ٠٠

أما الآلاى الثامن ٠٠ المدرع بقيادة كوستانس فقد استأنف تقدمه بعد تزويد مركباته بالوقود فى الساعة السابعة والنصف فى الظلام الدامس وكان لهذا الظلام مضافا اليه الارتباك والصعوبة فى الاحتفاظ بالاتصال بين قواته أو الاتصال بقواعده أثر كبير فى تقرير عدم استئناف التقدم فى تلك الرقعة من الصحراء التى كان يحتلها العدو حتى ينبلج الفجر ولم تعلم الجهات العليا بهذا الأمر الا بعد مرور زمن طويل بتوقف بريجز قائد الفرقة الأولى المدرعة ٠

ثم أصدر الفيلق العاشر اوامر عدة منها أن يبقى فرايبورج فى المراكز التى يكون قد وصل اليها مع قدوم الصباح فى حين يتجه هاردنج على رأس الفرقة السابعة المدرعة الى الارض المرتفعة غرب محطة الغزال والى الجنوب الشرقى من الدابة ٠٠ أما الآلاى الثامن المدرع فعليه أن يصل الى سيدى جلال بين فوكة والدابة هذا فى الوقت الذى تتجه فيه بقية قوات الفرقة المدرعة الى جنوبى الدابة على أن تتحول قليلا الى الغرب اذا اعترضت سبيلها مقاومة عنيفة ٠٠

ثم عدلت هذه الاوامر فى الساعة الخامسة والنصف صباحا تعديلا بمقتضاه اتجه جيش هرسى قائد الفرقة العاشرة المدرعة الى نقطة على الطريق البرى ترتفع قليلا الى الغرب من فوكة على أن يلحق به كوستانس هناك بأسرع ما يمكن ثم تتجه الفرقة الاولى المدرعة رأسا نحو الدابة فى حين تلحق به من جهة اليسار الفرقة السابعة المدرعة بقيادة هاردنج لقطع الطريق البرى والخط الحديدى على بعد بضعة أميال تجاه الغرب ٠

أما قوات جنوبى افريقية وسيارات جنوبى افريقية المدرعة فكان عليها أن تسد الطريق عند مرتفع فوكه أما القوات النيوزيلندية فقد تقدمت للاستيلاء على مهابط الطائرات فى المنطقة قرب سيدى جنيش فى مساحة تبعد من ١٠ الى ٢٠ ميلا غرب فوكه وذلك بناء على طلب سلاح الطيران للحصول على قواعد متقدمة لطائراته ..

وقد اخذت الفرق المختلفة فى تنفيذ هذه الاوامر عند الفجر ولم تصادف فيشر عقبات كثيرة سوى مدفع عيار ٨٨ مم أطلق مدافعه قبل الوصول الى الدابة بثلاثة أميال فقتل الكابتن جرانت سنجر وهو الكابتن الذى كان قد وقع فى أسر الجنرال فون توما الالمانى ومن ثم التف الآلاى حول مرتفع الدابة من حافته الجنوبية وقطع الطريق من ناحية الغرب فى حين قامت وحدة البنادق التابعة للآلاى السابع سيارات باحتلال قرية الدابة ووقع فى يدها ١٥٠ أسيرا . ثم تحركت دبابات فيشر من

الآلاى الثانى المدرع بدفع بعض قوات العدو الى الغرب على الطريق وتوقفت بعد ذلك بعد أن قطعت عشرة اميال الى الغرب لاعادة تموينها .. أما آلاى روبرتسى الثانى والعشرين المدرع فقد تقدم على جناح فيشر الايسر ثم توقف على بعد خمسة اميال جنوبى الدابة عندما تبين أن العدو قد جلا عنها ..

اما آلاى كوستانس (الثامن المدرع) فقد بدأ تحركه فى السادسة صباحا وبعد معركة بسيطة مع طابور متوسط الحجم من الألمان – كان يسارع فى الهروب غربا – وصل الى سيدى جلال دون مقاومة تذكر ثم اتخذ مواقع القتال منتشرا على الطريق البرى والخط الحديدى وفى مواجهة للشرق وسرعان ما وصل طابور للعدو اسرته وحدة الدبابات الثالثة وقبيل الظهر شوهدت دبابات العدو مقتربة من الشرق واذ اصبحت اشد اقترابا لوحظ وتبين أنه يحتوى على عدد كبير من الدبابات والمدافع الايطالية عيار ١٣ مم وعدد كبير من سيارات اللورى تتقدم جميعا فى اطمئنان تام وسرعان ما فتحت نيران الآلاى الثامن المدرع كلها عليها بعد قيام تشكيلة على هيئة فرجار وهكذا تم تدمير الطابور جميعه فى ظرف ساعة واحدة وتم الاستيلاء على ١٤ دبابة المانية و ٢٩ ايطالية و ٤ مدافع و ١٠٠ سيارة لورى كما وقع فى قبضة الآلاى ألف أسير وقد تبين فيما بعد أن الآلاى دمر احدى عشرة دبابة أخرى . وكثير من العربات وجدت معطلة الى الجنوب والواقع أن هذه المعركة كانت موضع فخر كبير فيما بعد اذ قضت على نصف ما تبقى من قوة متحركة فى الفيلق العشرين الايطالى : المعروف بفيلق ستسيفانى .

أما الآلاى الرابع الخفيف المدرع بقيادة روديك النيوزيلندى فقد تقدم خارج نطاق حركة الالتفاف فى الساعة السادسة وكان هدف فرايبورج قائد الفرقة النيوزيلندية ان يتحرك هذا الآلاى عشرة اميال جنوبى فوكه حيث لا توجد مرتفعات ثم يلتف يمينا الى الطريق الغربى لفوكة حيث الارض المرتفعة وبعد مسيرة عشرين ميلا وبعد الفجر بقليل قابل ذوو السترات الرمادية عشرين دبابة ألمانية فدمروا ستا منها وهربت الدبابات الباقية نحو الغرب وبعد التغلب على طابور كان يعترض الطريق توقف الآلاى بسبب العثور على حقل ألغام يمتد جنوبا فى خط رأسى فوكه وكانت الثغرة الوحيدة فى هذا الحقل تحرسها مدافع العدو .. ولم تتمكن الوحدة الاولى من الدبابات عبور هذا الخط قبل الثالثة وكانت عملية العبور بالنسبة لباقى الآلاى بطبيعة الحال فى عبوره لهذا الحقل ..

فشل حركة التطويق :

ثم تبين لقيادة الجيش الثامن فى ذلك الوقت أنه لم ينجح فى قطع الطريق على جزء كبير من جيش العدو سوى الآلاى الثامن المدرع بقيادة كوستانس واضطر مونتجمرى أن يشق طريقه بصعوبة خلال مركبات الجيش الثامن عندما توجه لزيارة لا مسدن قائد الفيلق العاشر وهنـــاك وصلت أنباء من سلاح الطيران بوجود طابور هائل من العربات يبدأ على بعد أربعة أميال غربى فوكة ويمتد غربا الى مطروح على بعد ٥٠ ميلا منها وأدرك مونتجمرى فى الحال أن فرايبورج وجيت هرسى لن يتمـــكنا من الايقاع بهذا الطابور ، ولما انتهى مونتجمرى من بحث الموقف مع لامسدن فى الساعة الثانية الا ثلث صدرت الاوامر الى الفرقة الاولى المدرعة بقيادة بريجز بالتوجه فورا الى مرسى مطروح فى حركة التفاف واسـعة عبر الصحراء مارة ببير خالد على بعد ٤٠ ميلا جنوبى مطروح وعلى بعد ٧٠ ميلا من موقعه الحالى بجوار الدابة وكان على الفرقة أن تتحرك فى الحال وتقطع المسافة كلها خلال الليل ٠

أما هاردنج قائد الفرقة السابعة المدرعة فقد عهد اليه القيام بحركة كماشة سريعة للاستيلاء على المطارات الواقعة حول سيدى جييش بين فوكه ومرسى مطروح وأن يقطع الطريق شمالى هذه المطارات على القوات الهاربة فى ثلاثة مواضع وكان على جيش هاوسى أن يكتسح الطريق أمامه بين سيدى جلال وفوكه أما الجنرال لى على رأس الآلاى ١٣٣ مشاة فقد احتل موقع سيدى جلال بدلا من كوسناس الذى بدأ زحفه غربا فى الساعة الثالثة والنصف ولم يكن قد قطع سوى عشرة أميال عندما توقف لقضاء الليل ٠ أما الفرقة السابعة المدرعة بقيادة هاردنج فقد بدأت فى الواقع زحفهـا قبل تلقى الأوامر الاخيرة ومن ثم اصبح روبرتسى على بعد ١٢ ميلا جنوبى شرق فوكه وكان عليه أن يتحرك جنوبيا لتطهير ذيل الجزء المتقدم من الفرقة النيوزيلندية بين مقاومة العدو نظرا لانشغالها فى تطهير حقول الألغام أما هادرنج فقد وقع فى حقل للألغام الى الجنوب تبين فيما بعد أنها ألغام وهمية وكان من جراء ذلك أن تأخر الزحف ثلاث ساعات عن الموعد المحدود ولم يستأنف الزحف الا فى الساعة السادسة صباحا ثم توقف بعد ساعة بسبب قدوم القوافل وللتموين من البترول الا أن وحدة الخدمات الجوية الملكية لم تســتطع أن تقوم بعملها بسبب هطول أمطـار غزيرة فى تلك الليلة كما كانت قوافل سيارات اللورى الخاصة بالتموين تخوض رمالا حولتها الأمطار الى مستنقعات من الوحل بعيدة الغور ..

اما روبرتسى فقد وصل الى نقطة تبعد ٢٠ ميلا الى جنوب غربى فوكه و٢٥ ميلا جنوب شرق الهدف المحـدود له والواقع انه كان على مسافة بضعة أميال جنوب غرب روديك الا أن حقول الألغام الوهمية وهطول الأمطار بكثرة ونفاد ما لديها من وقود واسـتحالة تموينها به جعل تقدمها صعبا عسيرا وكذلك الحال بالنسبة لقوات كيبرجر قائد الآلاى الخامس النيوزيلندى وجبت هاوسى قائد الفرقة العاشرة المدرعة ٠

وعلى هذا ولت الفرصة التى كانت سانحة للاحاطة بقوات روميل او تطويقها غرب فوكه ولكن الآمال كانت مازالت معقودة على بريجز قائد الفرقة الأولى المدرعة ذلك أن قواته كانت تتقدم فعلا عندما وصلت التعليمات الجديدة فى الساعة الثانية الا أن كلمة الهجوم فسرت تفسيرا يشوبه كثير من التصرف اذ عقد اجتماع فى قيادة فيشر فى الخامسـة والثلث تقرر فيه بدء الزحف فى السـادسة الا أن الزحف كان بطيئا بسبب الظلام الدامس ووجود كثير من الخنادق ومجموعات كثيرة من العربات المتحركة التابعة لفرق الجيش الثامن الأخرى كانت تمر قاطعة الطريق مسافة من الزمن مما عطل القوات الزاحفة وعندما أتى الفجر لم تكن قد وصلت الا الى موقع يبعد ١٥ ميلا شرق بير خالد ولم تقطع سوى ٥٥ ميلا خلال الاثنتى عشرة ساعة السابقة ثم اعترضت القـوات الزاحفة المشكلة نفسها وهى نفاد الوقود واضطرارها الى انتظار قوافل التموين سواء الجوية أو البرية وهى قوافل عطلتها الامطار ٠

ثم تقدم الآلاى الثانى المدرع مرة أخرى فى الساعة الواحدة والنصف بقيادة الكولونيل ردسكوهارفى بدلا من فيشر الذى أصيب بمرض الصفراء ولحق به بريجز على رأس الفرقة الاولى المدرعة فى مساء اليوم السادس من نوفمبر الا أنه مع حلول الظلام لم تكن تلك القوات قد وصلت الا الى نقطة تبعد ستة أميال عن الطريق بين سيوه ومرسى مطروح وعشرين ميلا من النقطة التى تجمعت فيها عربات للعدو تبلغ حوالى ١٠٠٠ عربة ثم نفد الوقود من القوات الزاحفة وكانت قوافل تموينها مازالت على بعد ٨٠ ميلا الى الوراء واقفة دون حركة بسبب الوحول العميقة التى سببتها الأمطار الغزيرة وبينما هذه المأساة دائرة استأنف الآلاى الثانى والعشرون المدرع بقيادة روبرتسى زحفه ثانية عند بزوغ ضوء النهار وفى الحادية عشرة صباحا وصلته أنباء من الجماعات المتقدمة تفيد بوجـود تجمعات كبيرة للعدو وتتحرك على الطريق ٠ وبعد ذلك بنصف ساعة ظهر طابوران أحدهما فى أثر الآخر ولم يلحق الآلاى الطابور الأول الا انه استطاع

أن يقص أجنحة الطابور الثانى ومن ثم واصل تقدمه شمالا حتى نفد مالديه من بترول فتكررت المأساة واضطر الآلاى الى الانتظار حتى لحقت به قافلة التموين وبينما عملية تموين المركبات دائرة اذ تمكنت وحدة الهوســـار من تحديد بعض المطارات وحاولت تحديد مكان قوة العدو الرئيسية .. وعند الساعة الواحدة تأكدت الأنباء بأن فرقة البانزر قد توقفت عند حافة التل على بعد بضعة اميال غرب الآلاى بسبب نقص البترول أيضـــا ثم أخذت الامطار تهطل بغزارة ومن ثم تقدم روبرتسى مرة أخرى عند الساعة الثالثة منتهزا ضعف الرؤية لدى العدو بسبب الأمطار واشتبك مع العدو محاولا الالتفاف حول جنـــاحه الايمن وقد استمرت عملية التطويق حتى حلول الظلام فقام العدو بتدمير مابقى لديه من الدبابات والمدافع وتمكن من الافلات غربا فى الوقت الذى تزايد فيه هطول الأمطار ومن ثم تحولت الصحراء فى هذا الجزء الساحلى الى مستنقع كبير ..

وكانت الاوامر قد صدرت الى هاردنج قبل ذلك أن يقوم بحركة التفاف واسعة طولها ١٧٠ ميلا فى الصحراء ويطوق العدو قبل أن يتمكن من الوصول الى المرتفع الواقع عند الســـلوم والحلفـــاية الا أن الأمطار الغزيرة جعلت هذه الحركة تتوقف تماما ..

أما فرايبورج فى الشرق فقد توقفت قواته بسبب نقص التموينات ثم هطول الأمطار ولم يتمكن من تحقيق أى هدف سوى صد هجوم قام به العدو على مؤخرته وبالنسبة لجيش هاوسى فقد قضى الصباح فى محاولة للاســـتيلاء على مرتفع فوكه ووصـــل فعلا الى قمة المرتفع عند منتصف النهار بعد القيام بحركة تطويق مكنته من أن يأخذ ٣٠٠ أسير ايطالى وعندئذ زاره مونتجمرى الذى قضى معـــه بقيـــة النهار متفقدا المواقع بين فوكه وسيدى جلال حيث شاهد الامطار الغزيرة التى هطلت من السماء مما جعل موقف المطاردين والمطاردين على السواء ملىء بالمتاعب وفى الصباح صـــدرت الاوامر الى جيش هاوسى ان يرسل كل ما لديه من بترول الى بريجز قائدة الفرقة الاولى المدرعـــة الا أن هذا البترول لم يصله ..

ونظرا لان جميع وحـــدات الجيش الثـــامن التى كانت تعمل فى الصحراء أحاطت بها الاوحال الناشـــئة عن المطر من كل جانب فقـــد أصبحت كل الآمال المعقودة على التقدم مقصـــورة على الزحف المباشر على الطريق الســـاحلى وهو الطريق الذى كان مونتجمـــرى متلهفا على

تطهيره والتقدم فيه الى أقصى مايمكن ومن ثم صدرت الاوامر الى جيش هاوسى فى الثانية والنصف صباحا تلك الليلة بان يدفع آلاى كوسناسى الثامن المدرع فى الطريق البرى الى مرسى مطروح ومن ثم أخذ الآلاى فى التقدم فى السابعة والنصف صباحا يوم ٧ من نوفمبر محاولا السير فى تشكيلات صحراوية ومنتشرا على الطريق ولم يتقدم سوى ٥٠٠ ياردة حتى تبين أن هذا التشكيل غير عملى ومن ثم استغرقت اعادة تنظيم الآلاى كى يتحرك على الطريق ساعتين ونصف الساعة وعلى هذا لم تصل جماعات الآلاى المتقدمة الى المراكز الدفاعية لمرسى مطروح الا عند الظهر فوجدت نيرانا حامية من الفرقة الألمانية التسعين الخفيفة وكان الطريق الموصل الى مرسى مطروح مليئا بالفوضى والاضطراب مما أخر قدوم يانسى وحدات الآلاى ثم صدرت الأوامر الى وحدة الدبابات الثالثة بأن تطوق مركز الدفاع الجنوبى فى حين تقوم وحدة شيرود بهجوم مباشر الا أن قائدها لقى مصرعه فى حين أوقفت المدافع المضادة للدبابات حركة التطويق ولم يكن لدى الآلاى مهندسون كما كانت قوته فى المشاة ضعيفة جدا وذلك أن آلاى لى وكتيبة السيارات المدرعة كانتا منهمكتين فى حراسة ورعاية الأسرى عند سيدى جلال وعلى كل حال انقطعت الاتصالات مع الآلاى الثامن المدرع سواء مع قيادة الفرقة او مع الآلاى ١٣٣ مشاة ثم ظهر مونتجمرى على هذا المسرح وبدا أنه متلهف على الوصول الى مرسى مطروح ولم تنجح المحاولات العدة فى فتح ثغرة خلال استحكامات مطروح الا فى فجر اليوم التالى ٨ من نوفمبر ولكنها كانت بعد فوات الأوان اذ تمكن الالمان من الانسحاب .

اما فرايبورج وبريجز فقد تعززت قواتهما فى الوحل طول اليوم وكان على هاردنج أن ينتظر بعض الوقت حتى تجف الارض تحت أقدام قواته ومن ثم بدأ الزحف فى الثانية ولكنه كان زحفا بطيئا مؤلما وعندما حل المساء لم يكن قد قطع اكثر من ٢٠ ميلا ثم كان من شأن حركة الدبابات الدانية من تقدم وتقهقر فى الوحل أن عطل بعضها فانخفضت قوات آلاى روبرسى الثانى والعشرين المدرع الى ٤٧ جرانت وشيرمان، ١٥ ستيوارت ، ٣٠ كروسادر .

ولا شك أنها كانت فترة كافية لرومل يسترد فيها أنفاسه ويجمع فلول جيشه وكان يتمتع بميزة كبيرة فى هذا الانسحاب اذ كان الطريق

وراءه ممهـــدا ســـهلا بالرغم من نقص البترول الشـــديد لديه وقواته المكشوفة فى انسحابها أمام سلاح الطيران البريطانى قد حققا كثيرا من قيمة هذه الميزة وكان الجنرال جاندين نيابة عن كافاللبرد قد اتىلزيارة رومل الذى أوضح له بجلاء أن الامل الوحيـــد فى انقاذ القليل الباقى من جيشالبانزر المدرع يقبع فىالانسحاب بأقصى سرعة ممكنة لأكبرمسافة ممكنة وانالتوقف لانقاذ برقة أو طرابلس أمر غير ممكن وحتىالانسحاب ذاته سوف يعوقه نقصالبترول وقد كانتالصورة مظلمة بما فيهالكفاية الا أن ما فيها من ظلام اشتد سوادا بعد ذلك فى اليوم التـــالى عنـــدما وردت الانباء بنزول القوات الامريكية والبريطانية فى الناحية الاخرى من البحر الابيض المتوسط بقيادة ايزنهاور ..



الفصل الثاني عشر

الخاتمة

حققت معركة العلمين انتصارا باهرا أتى فى الوقت المناسب قبل نزول قوات ايزنهاور فى الطرف الآخر من البحر الأبيض المتوسط ولأول مرة منذ ثلاث سنوات خلت قبل ذلك دقت اجراس النصر فى كنائس بريطانيا ٠ ويبدو انه من الصعب تقدير خسائر رومل تقديرا دقيقا ٠٠ وعند بدء القتال كان لديه مائة الف جندى وقع منها ثلاثون الف أسير فى يد الجيش الثامن منهم عشرة آلاف اسير المانى ويحتمل أن يكون قد لقى مصرعه أو جرح خلال المعركة عشرون الفا اخرى بالرغم من أن الرقم الذى حدده الألمان كان الفا ومائة قتيل المانى وألفا ومائتى قتيل ايطالى ومن الجرحى ٣٩٠٠ المانى ، ١٦٠٠ ايطالى . أما فى العتاد فقد خلف روميل وراءه ألف مدفع و ٤٥٠ دبابة من الستمائة دبابة الألمانية التى كانت لديه قبل المعركة فى حين ترك الايطاليون خلفهم ٧٥ دبابة بسبب نقص البترول وبهذا لا يمكن ان يكون قد بقى للفيلق الافريقى عند انسحابه من مرسى مطروح سوى ٢٠ دبابة فى اليوم الثامن من نوفمبر سنة ١٩٤٢ وصلت الى ٨٠ دبابة عند مرسى بريحة عندما توقف روميل لالتقاط انفاسه اللاهثة بعد أن قطع ١٥٠٠ ميل كما لم ينج فى كل من الفرقة التسعين الألمانية الخفيفة وكذا الفرقة ١٦٤ الألمانية سوى آلاف واحد تقريبا فى كل فرقة ..

اما خسارة الجيش الثامن فبلغت ١٣٥٠٠ جندى وهو ما يعادل ٨٪ من جملة القوات التى استخدمت فى المعركة كما عطلت للجيش الثامن حوالى ٥٠٠ دبابة منها ١٥٠ دبابة لم تكن قابلة للاصلاح كما خسر مائة مدفع فاذا اخذنا فى الاعتبار النتائج الباهرة التى أسفرت عنها المعركة وجدنا ان هذا الثمن لم يكن باهظا بأية حال من الاحوال.

وفى فرحة النصر بعد الهزائم الخاطفة التى أصابت الجيش الثامن لم يكن هناك مجال للشعور بالعطف او لتعزيز موقف العدو أما الآن وبعد أن انصرم عشرون عاما على انقشاع الغبار الذى أثارته معركة العلمين فيمكننا أن نستعرضها دون شعور بالمرارة أو الحقد ولا يسع الانسان الا ان يقدر موقف جيش البانزر الالمانى الذى حارب ببسالة منقطعة النظير وفى ظروف تدعو الى اليأس وعلى الأخص نحو قائده الملهم المارشال أردين رومل ... فقد رأى ذلك الجيش العظيم الذى أنشأه من العدم وقيادته معارك عصيبة بكفاية ممتازة حتى كاد يحقق

أهدافه وراى وادى النيـل قابعا عند قدميه رآه بعد ذلك وقد تبدد أمام عينيه وقد اندثرت كل آماله فى اعادة بنـائه بعد أن وصلته انبـاء نزول ايزنهاور فى الطرف الآخر من البحر الابيض المتوسط ..

ويلقى روممل اللوم على أوامر هتلر الأخيرة لمعظم الخســائر التى اصابت جيشه فى المراحل النهائية وخاصة تركه الوحدات غير المتحركة من المشـاة الايطاليين وهى الأوامر التى وصلته فى الثالث من نوفمبر سنة ١٩٤٢ بايقاف الأمر الذى سبق لروممل اصداره بالانسحاب فى الليلة السابقة والواقع أنه يصعب على الانسان أن يتبين أن مثل هذا الامر قد سبب اختلافا كبيرا فى النتائج المحتومة حتى لو لم يصدر ذلك لانه لا يبدو أن أية محاولة كانت تغير مجـرى الحـوادث وفيما عدا فرقة بولونيا التى كانت تحتل القطاع الأوسط من الجبهة والتى لا يحتمـل ان تكون قادرة على الانسحاب فى أية من الحالتين فقد ثبت أن كلا من القوات التى احتلت الجبهة الشمالية او الجبهة الجنوبية كانت سائرة فى الانسحاب خلال الاربع والعشرين ساعة التى حاول روميل أن يطبق فيها أمر هتلر بالتوقف ...

وما من شك فى أن المعركة كانت نصرا مؤزرا بالنسبة لمونتجمرى وكتب تشرشل عنها قائلا :

يمكن أن يقال تقريبا اننا لم نحرز أى نصر قبل معركة العلمين أما بعد العلمين فلم نتكبد أى اندحار ولا مندوحة أن كلمة تقريبا هنا لاغنى عنها اذا أخذنا فى الاعتبار الانتصــارات الاولى فى الصحراء قبل قدوم روميل والانتصارات التى أحرزتها بريطانيا فى أثيوبيا ..

وكانت هزيمة الالمان فى العلمين وفشلهم أيضا فى الاستيلاء على ستلينجراد فى الوقت نفسه نقطة تحول فى الحرب العالمية الثانية وتعدد اسـباب النصر فى الأولى الى ما يتمتع به مونتجمرى من عزم وحسن ادراك ، للأمور والمهارة الفنية والى القوة المادية الهائلة التى زود بها من المـدافع والدبابات والطائرات والتفوق العددى فى الرجـال والى البسالة التى أبداها عدد قليل نسبيا من الجنود وخاصة المشاة وجماعات الدبابات وجنود المدفعية المضادة للدبابات. كما كانت مساهمة الآخرين كذلك من الجنود ورجال الطيران ضرورية الا أن العبء الأكبر من المعركة وقع على هذا العدد القليل نسبيا من الجنود فكانت الخسـائر فيهم فادحة ومازال الكثير من هؤلاء يرقد ساكنا تحت رمال العلمين وكما هى الحال فى كل المعارك يمكن القول أن القتلى والجرحى يكونون غالبا اشجع وأفضل الرجال ..

تم الكتاب

فهرس

الموضوع	الصفحة

الدار القومية للطباعة والنشر